

المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية  
كلية الدعوة والإعلام  
قسم الدعوة والاحتساب

# أسلوب التشبيه في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم الدعوة والاحتساب

إعداد

**حنان بنت منير المطيري**

إشراف

**د/ إبراهيم بن عبد الله المطلق**

الأستاذ المشارك في قسم الدعوة والاحتساب

العام الجامعي

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، مَنْ يهده الله فلا مضل له، ومَنْ يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٧﴾﴾<sup>(١)</sup>، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿٦﴾﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٦٦﴾﴾<sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>.

أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله عز وجل، هي طريق كل نبي، ومهمة كل رسول، ويأتي في مقدمتهم فضلاً ومكانة، نبينا محمد ﷺ الذي قال عنه ربنا - عز وجل - ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٦﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿١٧﴾﴾<sup>(٥)</sup>. فقام بهذه المهمة على أكمل وجه وأتم بيان، ثم تتابع بالتشرف على حمل لواء الدعوة من وفقه الله سبحانه وتعالى من أتباع هؤلاء المرسلين.

وبهذا فإن مهمة الدعاة إلى الله في هذا العصر تحتاج إلى إعداد وتخطيط وصبر، كما تحتاج إلى اختيار الأساليب المناسبة المؤثرة في حياة المدعوين، وأسلوب التشبيه في الدعوة إلى الله يحتاج إلى أن يبرز في صورة ميسرة؛ ليستفيد منه الدعاة في دعوتهم إلى الله، ويقدموا للمدعوين الإسلام بالطرق السليمة، وهذا يحتاج إلى تقريب وتوضيح وتشويق وتنويع، وبهذا ينجح الدعاة في أداء مهمتهم الجليلة، فيستطيعون الوصول إلى قلوب المدعوين من أجل قبول دعوتهم.

(١) سورة آل عمران، الآية / ١٠٢ .

(٢) سورة النساء، الآية / ١ .

(٣) سورة الأحزاب الآيات ٧٠ - ٧١ .

(٤) "خطبة الحاجة" سنن أبي داؤود، كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح، ص ٥٩١/٢، رقم/٢١١٨

(٥) سورة الأحزاب الآية / ٤٥ - ٤٦ .

ولمّا كان أول ما اشتغل به الباحثون في الأقسام الشرعية - على وجه الخصوص - خدمة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والوقوف على نصوصهما بالدراسة والاستنباط، فقد استرعى انتباهي أحد أهم الأساليب الظاهرة - في الكتاب والسنة - لكل ناظر فيهما وهو: أسلوب التشبيه.

من هذا المنطلق جاء موضوع هذه الدراسة (أسلوب التشبيه في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة).

## أ- التعريف بمصطلحات الدراسة:

### ١- تعريف التشبيه:

فعند عبدالقاهر: "أن يثبت لهذا معنى من معاني ذلك، أو حكماً من أحكامه كإثباتك للرجل شجاعة الأسد، وللحجة حكم النور في أنك تفصل بها بين الحق والباطل، كما تفصل بالنور بين الأشياء"<sup>(١)</sup>.

ومثله قال العسكري<sup>(٢)</sup> وابن الأثير<sup>(٣)</sup> والسكاكي<sup>(٤)</sup>

---

(١) أسرار البلاغة، عبدا لقاهر الجرجاني، تحقيق محمد الفاضلي، ص ٦٣-٦٤، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، المكتبة العصرية، بيروت.

(٢) الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبي هلال الحسن العسكري، تحقيق مفيد قميحة، ص ٢٦١، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لأبي الفتح ضياء الدين المعروف (بابن الأثير)، تحقيق محمد عبدا حميد، ج/١ ص/١٦٣، ١٤١٦هـ، المكتبة المعاصرة، بيروت..

(٤) مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف أبي بكر محمد السكاكي، ص ٣٣٢، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

## التعريف الإجرائي:

المقصود بأسلوب التشبيه في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة هو: توظيف أسلوب التشبيه في الدعوة إلى الله مع بيان مجالاته الدعوية وخصائصه وأهدافه، وضوابط توظيفه دعوياً، ثم كيفية الاستفادة منه في العصر الحاضر.

### ب- أهمية الموضوع:

١- كثرة ورود أسلوب التشبيه في نصوص الكتاب والسنة، وتعدد المجالات التي أُستخدم فيها في الدعوة إلى الله، مما يجعل تخصيص هذا الأسلوب بالدراسة أمراً مهماً يعود بالنفع بإذن الله تعالى.

٢- ما لأسلوب التشبيه من خصائص؛ لعل أبرزها تلك المرتبطة بخاصية إقناع المدعو؛ إذ هو يصور موضوع الدعوة تصويراً دقيقاً، ويقرّبه بعرض نظائره؛ ليكون أقرب إلى الذهن، وأبلغ أثراً في قبول الدعوة بإذن الله - تعالى -، والإقناع كما هو معلوم مدار قبول العمل.

٣- أن أسلوب التشبيه في التبليغ له تطبيقاته الواقعية على المدعوين، ومن هنا فإن إفراده بالدراسة يُمثل خدمة كبرى في التعرف على أحد أهم الأساليب المؤثرة في الدعوة.

٤- أن أفراد أسلوب التشبيه بالدراسة يجعل منه أسلوباً متاحاً لتوظيفه من قبل الدعاة في خدمة الدعوة في العصر الحاضر، وهذا ماتسعى هذه الدراسة إلى تحقيقه.

## ج- أسباب اختيار الموضوع وأهدافه:

### ● أسباب الاختيار:

- ١- الحاجة إلى الوقوف على نصوص التشبيه من الكتاب والسنة، ودراستها دراسةً دعوية.
- ٢- الحاجة إلى دراسات علمية متخصصة لأساليب الدعوة في الكتاب والسنة.
- ٣- حاجة الدعوة إلى التعرف على الأساليب العقلية في العصر الحاضر.

### ● أهداف الموضوع

- ١- التعرف على أسلوب التشبيه في الكتاب والسنة، وخصائصه، وأهدافه.
- ٢- بيان مجالات أسلوب التشبيه في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة.
- ٣- التعرف على ضوابط توظيف أسلوب التشبيه في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة.
- ٤- الوقوف على أوجه الاستفادة من أسلوب التشبيه في العصر الحاضر.

### د- تساؤلات البحث:

- ١- ما مفهوم التشبيه؟ وما أنواعه في الكتاب والسنة؟
- ٢- ما أهداف التشبيه في الدعوة إلى الله وما خصائصه؟
- ٣- ما سبل توظيف أسلوب التشبيه في مجالات الدعوة المختلفة؟
- ٤- ما ضوابط أسلوب التشبيه في الدعوة إلى الله تعالى؟
- ٥- ما أوجه الاستفادة من أسلوب التشبيه في الدعوة إلى الله تعالى؟

## هـ- الدراسات السابقة:

لم أعثر فيما أطلعتُ عليه من دراساتٍ وأبحاثٍ وكتبٍ على دراسةٍ شبيهةٍ بموضوعي، ولكن هناك بعض الدراسات التي تناولت جوانب مختلفة، وفيما يلي استعراضٌ لتلك الدراسات السابقة.

أولاً: دراسة قام بها الأستاذ عبد العزيز بن جليدان الظفيري في الأمثال القرآنية القياسية المتعلقة بكتب الله تعالى ورسله (١).

هدفت هذه الدراسة إلى إبراز الحقائق الإيمانية من خلال أسلوب الأمثال الذي يعدُّ جزءاً من البيان الإلهي، وبيان الحكم والفوائد العلمية المتعلقة بالعقائد. وتوصّلت إلى نتائج عدة من أبرزها:

أهمية دراسة الأمثال القرآنية القياسية؛ حيث أرشدت العقول إلى الحق بأوضح عبارة، وأحسن أسلوب، والتركيز على قضايا الإيمان بالكتب والرسل من خلال الأمثال.

ثانياً: دراسة قامت بها الأستاذة بلقيس بنت محمد الطيّب عن التشبيهات القرآنية عند ابن نايقا البغدادي (٢).

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة الجهود السابقة في خدمة التشبيه القرآني، وأثره فيمن بعده، والمجالات الجديدة التي يمكن طرّقها ودراسة التشبيه القرآني في البيئات الثقافية المختلفة التي عرفت قديماً.

وتوصّلت إلى نتائج عدّة من أبرزها:

التشبيه القديم كان له جانبان حسّي ومعنوي وقد ركّز القدماء على الحسّي منه، وقد كشفت هذه الدراسة عن تأثير الإسلام البالغ على المسلمين في العصر الإسلامي؛ إذ محا كل أثر للعقائد الجاهلية من نفوسهم.

---

(١) الأمثال القرآنية القياسية المتعلقة بكتب الله تعالى ورسله، للأستاذ عبد العزيز بن جليدان الظفيري، رسالة ماجستير مقدمة بكلية الدعوة بالمدينة المنورة، سنة ١٤٢٤هـ .

(٢) التشبيهات القرآنية عن ابن نايقا البغدادي، دراسة تحليلية، للأستاذة بلقيس بنت محمد الطيّب، رسالة ماجستير مقدمة لقسم اللغة العربية بكلية التربية للبنات بجدة، ١٤٠٧هـ .

ثالثاً: الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان باليوم الآخر للأستاذ محمد رفيق<sup>(١)</sup>.  
هدفت هذه الدراسة إلى أهمية أسلوب الأمثال في بيان حقيقة ما يكون في اليوم الآخر،  
وتقريب صورته إلى أفهام الناس، وبيان منزلة الأمثال القرآنية في بيان الدين وسياق حجج  
الحقّ والإقناع.

وتوصّلت إلى نتائج عدّة من أبرزها:

أنّ الأمثال في القرآن ضُربت لأغراض منها تقريب الممثل له إلى ذهن المخاطب، وإقامة  
الحجة والبرهان، والتربية والتهديب، وللإيمان باليوم الآخر فوائد وثمرات منها الفوز برضوان  
الله والجنة، وأنه من أعظم الدوافع على فعل الطاعة.

وأما الفرق بين دراستي وهذه الدراسات فإنّ:

هذه الدراسات منها ما اهتمت بالقرآن فقط، وبجانب العقيدة، ومنها ما اهتمت باللغة  
العربية خلافاً لدراستي التي لها منحى آخر، وهو دراسة أسلوب التشبيه في الدعوة إلى الله  
تعالى.

و- منهج البحث:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الاستدلالي والاستنباطي، "هو ما يقوم به على التأمّل  
في أمور جزئية ثابتة؛ لاستنتاج أحكام منها"<sup>(٢)</sup>.  
حيث ستقوم الباحثة بجمع النصوص الواردة في الكتاب والسنة في مجال البحث ومن  
ثمّ استنباط أساليب التشبيه، وبيان سماتها العامة وتطبيقاتها في مجال الدعوة.

(١) الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان باليوم الآخر للأستاذ محمد رفيق، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الدعوة  
وأصول الدين قسم العقيدة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، سنة ١٤٢٤هـ.

(٢) البحث العلمي، الدكتور عبد العزيز الربيع، ص ١٧٨، الطبعة الرابعة، ١٤٢٧هـ الرياض .

## شكر وعرفان

الحمد لله مستحق الشكر والثناء على ما وفق وأعان في إتمام هذا البحث، وأسأله سبحانه أن ينفع به، وأن يبارك فيه وأن يجعله في موازين الأعمال الصالحات.

ثم أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة الإمام محمد بن سعود، على إتاحتها الفرصة لإتمام مرحلة الماجستير، والشكر موصول لكلية الدعوة والإعلام ممثلة بعميدها فضيلة د/عبد الله المجلي ووكيلها منوّهة بالشكر الجزيل لقسم الدعوة والاحتساب ممثله برئيسه أ.د/عبد الله اللحيدان ووكيله

كما أتقدم بالشكر لفضيلة المشرف على هذا البحث د/ إبراهيم بن عبد الله المطلق الأستاذ المشارك في قسم الدعوة والاحتساب، على ما بذله وأعطى من وقته وجهده ومشورته ونصحه حتى خرج بصورته النهائية، و د/ حمود الخميس على مساعدته أثناء إعداد الخطة، فجزاهما الله خيراً وأجزل لهما الثواب.

كما أتقدم بالشكر لوالديّ الكريمين، أدام الله لهما الصحة والعافية على ما قدماه لي من تحفيز بسؤالهما إياي ومتابعتهما لي متابعة لا تنقطع بالسؤال والدعاء، فجزى الله والديّ عني أفضل ماجزى به والدأ عن ولده.

كما أتقدم بالشكر لزوجي/ عبد الكريم المطيري حيث كان له الفضل بعد الله سبحانه فيما وصلت إليه، وأشكره على ما قدّمه من دعمٍ وتوجيه أثناء إعداد هذه الرسالة، فله مني خالص الدعاء وأجزل الشكر.

كما أشكر كل مَنْ له فضل عليّ في هذا البحث من الأستاذات والأخوات والزميلات، والحمد لله أولاً وآخراً.

تقسيمات الدراسة :

المقدمة:

تمهيد:

المبحث الأول: أهمية التشبيه في الدعوة إلى الله تعالى.

المبحث الثاني: مزايا الأسلوب القرآني، والنبوي في الدعوة إلى الله تعالى.

### الفصل الأول

أنواع التشبيه في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة

المبحث الأول: التشبيه بالمحسوس في الدعوة إلى الله تعالى.

المبحث الثاني: التشبيه بالمعقول في الدعوة إلى الله تعالى .

المبحث الثالث: التشبيه بالمثل في الدعوة إلى الله تعالى.

### الفصل الثاني

أهداف التشبيه في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة وخصائصه

المبحث الأول: أهداف التشبيه في الدعوة إلى الله تعالى.

المبحث الثاني: خصائص التشبيه في الدعوة إلى الله تعالى.

### الفصل الثالث

مجالات التشبيه في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة

المبحث الأول: مجالات التشبيه في الدعوة إلى العقيدة.

المبحث الثاني: مجالات التشبيه في الدعوة إلى الشريعة.

المبحث الثالث: مجالات التشبيه في الدعوة إلى الأخلاق.

### الفصل الرابع

ضوابط التشبيه في الدعوة إلى الله وأوجه الاستفادة منه في العصر الحاضر

المبحث الأول: ضوابط التشبيه في الدعوة إلى الله تعالى.

المبحث الثاني: أوجه الاستفادة من التشبيه في الدعوة إلى الله في العصر الحاضر.

الخاتمة:

وتشمل أهم النتائج والتوصيات:

---

## **الفصل التمهيدي**

**المبحث الأول: أهمية التشبيه في الدعوة  
إلى الله تعالى**

## أهمية التشبيه في الدعوة إلى الله:

أسلوب التشبيه أحد فنون علم البيان، فيه إثراء أدبي وجمال فني، وإبداع في التصوير، وصورة حية وضّاءة، وقد أفاض العلماء قديماً وحديثاً في الحديث عنه، وعن أهميته في إبراز الفكرة وإيضاح المعنى، بإضفاء الظلال الرائقة على الصورة، ونقلها من عالم الخيال إلى عالم الحسّ والواقع.

وقد جيء به ليؤدّي رسالة ذات أثر، وليحقق أغراضه المقصودة، والأثر الذي يحدثه التشبيه في النفس ربما يزيد على ما يحدثه غيره من الأساليب، من حيث الجمهور الذي يتأثر به، ولهذا نجده في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، والسنة المطهرة.

وتبرز أهميته في أنه يقوم على إخراج الخفي إلى الجلي، وإدناء البعيد إلى القريب، وزيادة رفعة المعاني، وإبرازها وإيضاحها وإكسابها مزيةً وفضلاً لا يكونان به لولاه، فأسلوب التشبيه يقوم على إرادة إثبات صفة من الصفات مع زيادة إيضاح أو مبالغة، فيعمد إلى شيء آخر تتضح فيه هذه الصفة وتكون بارزةً جلية، ويعقد بين هذين الشئين مماثلة تكون أسلوباً لإيضاح الصفة والمبالغة في إثباتها<sup>(١)</sup>.

### أولاً: أقوال بعض العلماء في أهمية التشبيه.

قال الإمام الزركشي: (اتّفق الأدباء على شرفه في أنواع البلاغة، وأنه إذا جاء في أعقاب المعاني أفادها كملاً، وكساها حلّةً وجمالاً)<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام النووي: (وفيه جواز التشبيه، وضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الإفهام)<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر علم البيان وبلاغة التشبيهات في المعلقات السبع، مختار عطية، دار الوفاء، الإسكندرية، دط، دت، ص ٢٧.

(٢) البرهان في علوم القرآن، محمد الزركشي، ت محمد أبو الفضل، دار المعرفة، بيروت، د.ط، ١٣٩١ هـ، ص ٤١٤/٣.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢ هـ، ص ١٦/١٣٩.

وقال الإمام ابن القيم: (فائدة التشبيه الكشف عن المعنى المقصود مع ما يكتسب من فضيلة الإيجاز والاختصار)<sup>(١)</sup>.

وقال أبو هلال العسكري: (التشبيه يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغن أحد منهم عنه، وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية، ما يستدلّ به على شرفه، وموقعه من البلاغة)<sup>(٢)</sup>.

وقال أحمد بدوي: (الغرض من التشبيه هو الوضوح والتأثير، ذلك أن المتفنّن يدرك ما بين الأشياء من صلوات يمكن أن يستعين بها في توضيح شعوره فهو يلمح وضاءة ونوراً في شيء ما فيضعه بجانب آخر يلقي عليه ضوءاً منه فهو مصباح يوضح هذا الإحساس الوجداني ويستطيع أن ينقله إلى السامع)<sup>(٣)</sup>.

ويتّضح من أقوال العلماء السابقة أهمية التشبيه في الكشف عن الغوا مض، وتنبية الأذهان إلى الحقائق، وإبانة المصالح، وتقدير الحكم البالغة وهو من الأمور المستحسنة في العقول والتربية والتعليم.

### ثانياً: أهمية أسلوب التشبيه في الدعوة

الداعية بحاجة إلى تبسيط أفكاره وتقريب نظرياته، وعند استخدامه لأسلوب التشبيه، يستطيع أن يبرز المعقول في صورة المحسوس، الذي يلمسه المدعو فيقبله العقل؛ لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن، إلا إذا صيغت في صورة حيّة قريبة للفهم، وتبدو قدرة الداعية على نقل موضوع الدعوة نقلاً ملائماً للموضوع الذي يعالجه، وللغرض الذي يهدف إلى تحقيقه، مع مراعاة الجو النفسي، والدقة في اختيار الألفاظ الموحية المؤثرة للمعاني السامية الشريفة، مع جمال النظم، وبذلك تتحقق الغاية من أسلوب التشبيه وهو إيصال المعنى بصورة واضحة ومناسبة.

(١) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ت محمد عثمان، مكتبة القرآن، القاهرة، د.ط، د.ت .

(٢) الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص ١٨٣.

(٣) من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر، مصر، ط٣، ٢٠٠٥ م. ص١٤٧.

وقد أكد أحد علماء النفس على حدوث الاستجابة عند المدعو عن طريق التشبيه فقال: إنما يصار في التشبيه إلى توكيد المعنى في نفس المدعو عن طريق المبالغة في تحقيق الوصف، ففي كل تشبيه فرع هو المشبه، وهو المعنى المراد نقله وإظهاره وإحداث الاستجابة المناسبة تجاهه وهو الصورة الأصلية، وأصل وهو المشبه به أي: الصورة المشابهة التي يعرض المعنى من خلالها، ولكي تكون الصورة المشابهة الجديدة أكثر توكيداً للنفس، وأقدر على حدوث الاستجابة، لا بُدَّ أن تكون عناصرها أقوى تمكناً في الوصف، وأظهر في الوجه المشترك، فمن أراد تشبيه شيء بغيره، - كما يقول صاحب الطراز (فلا بد من أن يكون المشبه به أعلى حالاً من المشبه لتحصل المبالغة)<sup>(١)</sup>.

وذلك كما يقول عبد القاهر: (لأنَّ المشكوك فيه إنما يثبت ويتقرر في النفس بالقياس على المعروف)<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا نجد أنَّ الفكرة التي أراد إيصالها الداعية إلى المدعو تحققت من خلال إثارة الانفعال المناسب، وإحداث التخيل المطلوب الذي يدفع المدعو لاتخاذ موقف معين من ذلك<sup>(٣)</sup>.  
وأسلوب التشبيه أحد أساليب التصوير الفني، وقد أثنى عليه النقاد قديماً وحديثاً؛ لما له من أثر عظيم في بناء الصورة المؤثرة في العواطف والمشاعر الإنسانية، فهو يضيف على المعنى بهاءً وجلالاً وشرفاً ووضوحاً، ويزيده قوة وتأكيداً، ويمنحه الجدة والابتكار، ويرفع من قدر الكلام، فتهفو النفس له، ويتحرك القلب إليه؛ لأنه ينتقل بنا من المعنى الأصلي إلى صورته تشبيهية، وكلما جلا التشبيه المعنى، وزاده قوة ووضوحاً، كان أملك للنفس وأبعد للتأثير، خاصة إذا علمنا أنَّ القاعدة الأولى التي يتناول بها جميع الأغراض، هي التصوير والتوضيح بالانتقال من شيء إلى شيء آخر يشبهه ويشاكله، بقصد التأثير والإقناع والتأكيد، من أجل هدف أسمي وتحقيق الغرض الديني، الذي جاء من أجله أسلوب التشبيه في القرآن والسنة<sup>(٤)</sup>.

(١) الطراز، يحيى العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٧، د.ت، ص ٢٦٦/١.

(٢) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص ٢٠٢.

(٣) انظر الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، مجيد ناجي، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ، ص ١٩٨.

(٤) انظر البلاغة التطبيقية دراسة تحليلية لعلم البيان، محمد الجربي، مكتبة أنجلو المصرية، مصر، د.ط، ٢٠٠٠م،

ص ٦٣ و المعركة الأدبية بين العقاد وشوقي، محمد عمار، دار عالم الكتب، السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ،

ص ١٦ و البلاغة القرآنية، محمد القاسم، الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ، ص ٢٩٣-٢٩٤.

ثالثاً: أهمية التشبيه في القرآن الكريم

فالفارسي لكتاب الله - عز وجل - يجد تشبيهات كثيرة فسأعرض بعضاً منها

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوا كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ تَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (١).

قال أبو جعفر: عند تفسيره هذه الآية الكريمة (والذين جحدوا توحيد ربهم وكذبوا بهذا القرآن وبمن جاء به مثل أعمالهم التي عملوها {كسراب} يقول: مثل سراب... حتى إذا أتى الظمآن السراب ملتمساً ماءً يستغيث به من عطشه {لم يجده شيئاً} يقول: لم يجد السراب شيئاً، فكذلك الكافرون بالله من أعمالهم التي عملوها في غرور يحسبون أنها منجيتهم عند الله من عذابه، كما حسب الظمآن الذي رأى السراب فظنه ماءً يرويه من ظمئه حتى إذا هلك وصار إلى الحاجة إلى عمله الذي كان يرى أنه نفعه عند الله لم يجده ينفعه شيئاً؛ لأنه كان عمله على كفر بالله، ووجد الله هذا الكافر عند هلاكه بالمرصاد فوقاه يوم القيامة حساب أعماله التي عملها في الدنيا، وجازاه بها جزاءه الذي يستحقه عليها منه) (٢).

وقال الزمخشري: شُبِّهَ ما يعملُه مَنْ لا يعتقد الإيمان ولا يتبع الحق من الأعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه، ثم تخيب في العاقبة أمله، ويلقى خلاف ما قدر سراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه العطش يوم القيامة فيحسبه ماءً فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلون به إلى جهنم فيسقونه الحميم والغساق (٣).

قال ابن الجوزي: (فأعلم الله أن الكافر الذي يظن أن عمله قد نفعه عند الله كظن الذي يظن السراب ماءً، وعمله قد حبط قوله تعالى ووجد الله عنده أي قدم على الله فوقاه حسابه، جازاه بعمله وهذا في الظاهر خير عن الظمآن والمراد به الخبر عن الكافر) (٤).

وقال صاحب التحرير والتنوير: في هذه الآية عدة تشبيهات فأعمال الكافرين شبيهة بالسراب في أن لها صورة الماء وليست بماء. والكافر يشبه الظمآن في الاحتياج إلى الانتفاع

(١) سورة النور: ٣٩.

(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الإعلام، دم، دط، ٢٠٠٢م، ص ٣٣٣/٩.

(٣) انظر الكشاف، ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١٩٩٨ م، ص ٨٤٤.

(٤) زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٤ هـ، ص ٤٩/٦.

بعمله، وخيبة الكافر عند الحساب تشبه خيبة الظمآن عند مجيئه السراب، ومفاجأة الكافر بالأخذ والعتل من جند الله، أو بتكوين الله تشبه مفاجأة من حسب أنه يبلغ الماء للشرب فبلغ إلى حيث تحقّق أنه لا ماء فوجد عند الموضع الذي بلغه من يترصد له؛ لأخذه، أو أسره<sup>(١)</sup>.

يتضح مما سبق تشبيه أعمال الكفار من حيث إنها تظهر جميلة خيرة يظن نفعها ولكنها في الحقيقة باطلة لا ثواب لها؛ لأنها تجرّده من الإيمان بالله بصورة سراب بصحراء يظنه الظمآن ماء، فيذهب إليه فلا يجد شيئاً، والسراب هو ما يشاهد في الأفق البعيد عند اشتداد الحرّ يسرب كأنه ماء، وهنا وجه الشبه البداية الطيبة والنهاية السيئة وبطلان المتوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة والحسرة في النفوس على فوات المأمول المرجو<sup>(٢)</sup>.

وتبرز أهمية التشبيه في بيان حال المشبه، وتصويره تصويراً دقيقاً ليثبت في الذهن أنّ الأعمال بدون إيمان لا نفع لها، ولا جدوى منها مما يبعث على التنفير من الكافرين والترهيب من إتباع مسلكهم .

وقال تعال : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال البغوي: عند تفسيره لهذه الآية: (وسارعوا، أي بادروا وسابقوا إلى الأعمال التي توجب المغفرة).

وإلى جنة {عرضها السموات والأرض} أي: عرضها كعرض السموات والأرض كما قال في سورة الحديد ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ ذَٰلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

(١) انظر التحرير والتنوير من التفسير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، ١٩٨٤م، ص ٢٩١٨ .

(٢) انظر الصناعتين، أبي هلال العسكري، ص ٢٤٠ والبلاغة التطبيقية، محمد الجربي، ص ١٨٦-١٨٧ والبيان والقرآن، أمين أبو ليل، دار البركات، عمان، ط ١، ١٤٢٧هـ، ص ٦٣ .

(٣) سورة آل عمران: ١٣٣ .

الْعَظِيمِ ﴿٦﴾<sup>(١)</sup> أي: سعتها، وإنما ذكر العرض على المبالغة؛ لأنَّ طول كلِّ شيء في الأغلب أكثر من عرضه يقول: هذه صفة عرضها فكيف طولها؟ قال الزهري: إنما وصف عرضها فأما طولها فلا يعلمه إلا الله<sup>(٢)</sup>.

وقال الزمخشري: (عرضها كعرض السماء والأرض، والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأسطه، وخصَّ العرض؛ لأنه في العادة أدنى من الطول للمبالغة)<sup>(٣)</sup>.

يتضح مما سبق تشبيهه في قوله "عرضها" أي عرض الجنة، بعرض السموات والأرض، أي عرضها كعرض السموات والأرض مع بيان أن الأداة محذوفة، وهذا من أبلغ أنواع التشبيه؛ لحذف الوجه والأداة معاً؛ لما فيه من التعميم والمبالغة في سعة الجنة، واستطاع التشبيه أن يوضِّح ويبرز ما لا يدرك بالبديهة في صورة ما يدرك بالبديهة فأعطانا صورةً للجنة في سعتها واضحة جلية غير متناهية في العظم فإذا كان عرضها كأعظم ما عرفته الإنسانية وهو عرض السموات والأرض<sup>(٤)</sup>.

وتبرز أهمية التشبيه في بيان حال المشبه وتصويره في النفس، تشويقاً إلى الجنة بحسن الصفة، والترغيب فيها، والحثُّ على الفوز بنعيمها عن طريق الإيمان والعمل الصالح، وهذا التشبيه يوقع في النفس الإحساس بعظمة الجنة ومدى سعتها، وسعادة المتنعمين بنعيمها، وما أعده الله لعباده المتقين.

#### رابعاً: أهمية التشبيه في السنة المطهرة :

إنَّ المتَّبِع لسيرة خير البشرية نبيِّنا محمد ﷺ يجد أنه استعمل أسلوب التشبيه عند دعوته لأصحابه وتوجيههم إلى أمرٍ ما، ومن ذلك ما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (تري المؤمنين: في تراحمهم،

(١) سورة الحديد: ٢١.

(٢) معالم التزليل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، ت: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م، ص ١٠٣.

(٣) الكشاف، الزمخشري، ص ٢٠٧.

(٤) انظر الصناعيتين، أبي هلال العسكري، ص ٢٤١ والبلاغة التطبيقية، محمد الجربي، ص ٢٠١.

وتوادهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضواً، تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى<sup>(١)</sup>.

قال ابن حجر: عند شرحه لهذا الحديث {قوله ترى المؤمنين في تراحمهم قال ابن أبي جمرة المراد: مَنْ يكون إيمانه كاملاً، قوله وتوادهم}<sup>(٢)</sup> قوله وتعاطفهم قال ابن أبي جمرة: الذي يظهر أن التراحم والتوادم والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى، لكن بينها فرق لطيف، فأما التراحم فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضاً بأخوة الإيمان، لا بسبب شيء آخر، وأما التوادم فالمراد به التواصل الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي وأما التعاطف فالمراد به إعانة بعضهم بعضاً... المؤمنون كرجل واحد إذا اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر... قوله كمثل الجسد أي بالنسبة إلى جميع أعضائه، ووجه الشبه فيه التوافق في التعب والراحة قوله تداعى أي: دعا بعضه بعضاً إلى المشاركة في الألم ومنه قولهم (تداعت الحيطان) أي تساقطت أو كادت، قوله (بالسهر والحمى) أمّا السهر فلأنّ الألم يمنع النوم، وأما الحمى فلأنّ فقد النوم يثيرها... قال القاضي عياض: فتشبيهه المؤمنين بالجسد الواحد تمثيل صحيح وفيه تقريب للفهم، وإظهاراً للمعاني في الصور المرئية، وفيه تعظيم حقوق المسلمين والحض على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضاً، وقال ابن أبي جمرة: شبه النبي ﷺ بالإيمان بالجسد وأهله بالأعضاء؛ لأنّ الإيمان أصل وفروعه التكليف، فإذا أحلّ المرء بشيء من التكليف شأن ذلك الإخلال الأصل، وكذلك الجسد أصل كالشجرة وأعضاؤه كالأغصان فإذا اشتكى عضو من الأعضاء اشتكت الأعضاء كلها كالشجرة إذا ضرب غصن من أغصانها اهتزت الأغصان كلها بالتحرك والاضطراب<sup>(٣)</sup>.

ويدلُّ هذا الحديث على أنّ المجتمع الذي تسود أفراده المودة والمحبة والرحمة والشفقة والتعاطف، لا شك يكون كتلةً واحدةً مترابطةً ومتآزرةً، ما تنوب أحد نائبة إلا ووجد

(١) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم ٥٦٦٥، ص ٢٢٣٨/٥ وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم الناس وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم ٢٥٨٦، ص ١٩٩٩/٤.

(٢) وتوادهم بتشديد الدال والأصل التوادد فأدغم والتوادد تفاعل من المودة والود والوداد. بمعنى وهو تقرب شخص من آخر بما يجب.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، ت: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، دار الفكر، دمشق، سورية، د.ط، د.ت، ص ٤٣٩/١٠ - ٤٤٠.

الجميع حوله، ولا تحل بأحدهم مصيبة إلا ووجد مَنْ يواسيه ويقف معه، وما رزق أحدهم برزق إلا وأشرك إخوانه فيه، وليس هذا محض خيال، أو كلمات مثاليه قالها رسول الله ﷺ، ثم لا تجد لها على أرض الواقع ما يؤكد لها بل العكس هو الصحيح لقد طَبَّقَ أتباع رسولنا - عليه أفضل الصلاة والسلام- كل ما وجههم إليه أحسن تطبيق، وضربوا لنا أروع الأمثلة في المحبة والتكافل والمواساة، كمواساة الأنصار للمهاجرين بأموالهم ومساكنهم<sup>(١)</sup>.

وروى الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: {إنَّ من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنما مثل المسلم، فحدثوني ماهي؟ فوقع الناس في شجر البوادي. قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ماهي يا رسول الله؟ قال: هي النخلة} <sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر رحمه الله: (بركة النخلة موجودة في جميع أجزائها، مستمرة في جميع أحوالها فمن حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعاً، ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها، حتى النوى في علف الدواب والليف في الحبال وغير ذلك مما لا يخفى، وكذلك بركة المسلم عامة في جميع الأحوال، ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته... ثم قال: وفيه إشارة إلى أنَّ تشبيه الشيء بالشيء لا يلزم أن يكون نظيره من جميع وجوهه، فإنَّ المؤمن لا يماثله شيء من الجمادات ولا يعادله)<sup>(٣)</sup>.

وقال بدر الدين العيني: (فالمسلم هو المشبه والنخلة هو المشبه بها، وأمَّا وجه الشبه فقد اختلفوا فيه؛ فقال بعضهم هو كثرة خيرها ودوام ظلها وطيب ثمرها ووجودها على الدوام فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى ييبس، وبعد أن ييبس يتخذ منها منافع كثيرة من خشبها وورقها وأغصانها فيستعمل جذوعاً وحطباً وعصياً ومحاضر وحصراً وحبالاً وأوابي وغير ذلك مما ينتفع به)<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، زياد العاني، دار عمار، عمان، ط١، ١٤٢٠هـ، ص٤٢٨.  
(٢) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قول المحدث حدثنا أو أخبرنا أو أنبأنا، رقم ٦١، ص٤٣/١  
وصحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين، باب مثل المؤمن مثل النخلة، رقم ٢٨٨١، ص٤/٢١٦٤.  
(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ص١/١٤٥.  
(٤) عمدة القارئ، بدر الدين العيني، دار الفكر، بيروت، ط١، د.ت، ص١٤/٢.

ويتّضح مما سبق تشبيه أصل دين المسلم ونفع عمله بأصل النخلة ونفعها، ووجه الشبه: رسوخ الأصل وطيب الثمرة، وتبرز أهمية التشبيه في بيان معرفة فضل المؤمن وبركته عن طريق تشبيهه ببركة النخلة التي يتلذذ الناس بمنافعها في حياتهم اليومية.

وبعد عرضنا للشواهد السابقة نخلص إلى أن التشبيه أداة فطرية ذهنية عند المتكلم، لا يرى التعبير عنها كافياً في تصويرها، في صورة أشد وضوحاً، فمن الأشياء المحدث عنها ما يكفي اللفظ الجرد في بيانه، ومنها ما لا تكمل دلالاته ولا تتمكن في النفس صورته ولا يملك الحس والوجدان مدلوله، إلا بإخراجه عن طريق التشبيه، ويتخذ من التصوير أداة ناجحة فعالة، للوصول إلى هدفه من شغل الحس الظاهر والباطن، وامتلاك النفس بكل ما فيها، لأنّ هذا الأسلوب أقرب إليها وهي به آنس، لا سيما أنّ الرسالة التي جاء بها تجديداً للقيم، وتعديلاً للمفاهيم وتعريفاً بأنماط المعاني، ذلك التصوير المقنع الذي ينتجه المتكلم بكل قوى نفسه ليسكن أعماق نفس صاحبه؛ وذلك لأنّ تصوير المعنى يعبر بالصورة المحسوسة المتخيّلة، عن المعنى الذهني والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني لطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها، فيمنحها الحياة الشاحصة، أو الحركة المتجدّدة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاحصاً حيّ، وإذا الطبيعة البشرية مجسّمه مرئية<sup>(١)</sup>.

(١) انظر الحديث النبوي الشريف من الوجة البلاغية، عز الدين علي السيد، دار اقرأ، بيروت، ط ١٩٨٤، م١،

---

## المبحث الثاني

### مزايا الأسلوب القرآني والنبوي

#### في الدعوة إلى الله تعالى

**المطلب الأول: مزايا الأسلوب الـ رآني في الدعوة إلى الله تعالى.**

**المطلب الثاني: مزايا الأسلوب النبوي في الدعوة إلى الله تعالى.**

## المطلب الأول: مزايا الأسلوب القرآني في الدعوة إلى الله تعالى.

يتميز الأسلوب القرآني بمزايا فريدة عالية، في بلاغته وفصاحته، وفي تفرده وتمييزه عن أساليب أهل البيان وأهل الكلام.

ولقد تحدّث العلماء عن جوانب كثيرة من مزايا الأسلوب القرآني، بعضها يتعلق بنظامه وتأليفه الصوتي، وبعضها يتعلق بمعانيه وترابطها، وبعضها يتحدّث عن أثره النفسي، والبعض يتحدّث عن حسنه الدائم المتجدد الذي لا يملّه سامعه مهما تلي عليه. ومن أبرز مزايا الأسلوب القرآني ما يلي:

### أولاً: نظامه الصوتي:

إنّ اللفظ المفرد هو جزء من التركيب، فهو لبنة من بناء النظم، ولاشك أن له حسناً، فقد يكون لفظ أخف من غيره، وأجمل إيقاعاً، وأحلى جرساً، وقد يكون أقرب إلى الجزالة والرصانة، بل الفصاحة والجلالة.

وعن هذا التميّز الذاتي للفظ يقول ابن الأثير: (إن الألفاظ داخلة في حيز الأصوات؛ لأنها مركبة من مخارج الحروف، فما استلذه السمع فهو الحسن، وما كرهه ونبا عنه فهو القبيح)<sup>(١)</sup>.

قال محمد دراز: (وأول ما يستدعي انتباهك من مزايا أسلوب القرآن خاصية تأليفه الصوتي في شكله وجوهره، دع القارئ المجوّد يقرأ القرآن ويرثله حق ترتيله، ثم انتبذ منه مكان قصياً لا تسمع فيه جرس حروفه، ولكن تسمع حركاتها وسكناتها، ومداتها وغنائها، واتصالاتها وسكناتها، ثم ألق سمعك إلى هذه المجموعة الصوتية، فستجد لحناً غريباً عجيباً، واتساقاً واثلاً لا تجده في كلام آخر، هذا الجمال التوقيعي في لغة القرآن لا يخفى على أحد ممن يسمع القرآن، حتى الذين لا يعرفون لغة العرب فكيف يخفى على العرب أنفسهم؟ إن أول شيء أحسسته تلك الأذن العربية في نظم القرآن هو ذلك النظام الصوتي البديع الذي قسمت فيه الحركة والسكون تقسيماً منوعاً يحدّد نشاط السامع لسماعه)<sup>(٢)</sup>.

(١) المثل السائر، ابن الأثير، ص ١٧٠/١.

(٢) النبا العظيم، محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، د.ط، د.ت، ص ١٠٤ - ١١٠.

ومن الأمثلة على ذلك:

قال تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ مَا كُنْتُمْ مِنْهُ تُحِيدُونَ ﴾ (١).

تأمل كلمة تحيد في هذه الآية ( تقع الرهبة في صدرك وأنت تسمع لاهثاً مكروباً صوت الدال المنذرة المتوعدة، مسبوقة بالياء المشبعة المديدة في تلك اللفظة) (٢).

وتأمل كلمة زحزح في هذه الآية ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (٣)

فكأن هذه اللفظة توحى لك بهذا القلق الذي يملأ صدور الناس، في ذلك اليوم لشدة اقتراهم من جهنم، كأنما هم يبعدون أنفسهم عنها في مشقة وخوف وذعر (٤).

#### أ- الإيحاء الصوتي:

إن أصوات القرآن الكريم هي نفسها أصوات الحروف العربية، ولكن أسلوبه أفاد من الصوت ما فارق به أساليب الكلام العربي الأخرى، وذلك يتضح في ظاهرتين:

#### الظاهرة الأولى: القيمة التعبيرية للصوت

حيث يشترك الصوت في الدلالة على المعنى، وقد شغلت هذه القضية الباحثين في اللغات الإنسانية، وفي مختلف الثقافات منذ القديم إلى يومنا هذا، ولم يضعوا بعد شروطاً كافية في حصر رمزية الصوت، وضبطها، وإنما بقيت شروطها ذوقية. (٥)

وتظهر قيمة الصوت التعبيرية في هذه الآية قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا

يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴾ (٦) وَهُمْ

(١) سورة ق: ١٩.

(٢) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم دم، ط ٤، ٢٠٠٠م، ص ٣٣٥.

(٣) سورة آل عمران: ١٨٥.

(٤) انظر من بلاغة القرآن، احمد بدوي، ص ٦٧.

(٥) انظر الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقران الكريم، محمد الكواز، جمعية الدعوة، د.م، ط ١، ١٤٢٦هـ،

ص ٣٣٢.

يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرَجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ<sup>٤</sup> أَوْلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا  
يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ<sup>٥</sup> فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾<sup>(١)</sup>.

ففي كلمة يصطرخون، لو جيء بدلها بكلمة يصيحون أو يستغيثون أو يصرخون، لم يدل على المعنى الدقيق الذي دلّت عليه كلمة يصطرخون، وذلك "لأنه صراخ بجهد وشدة، وقد استعمل في الاستغاثة للدلالة على جهد المستغيث بصوته"<sup>(٢)</sup>.

### الظاهرة الثانية: التلاؤم

يبيّن التلاؤم القيمة الذاتية للألفاظ، لا من حيث ارتباطها بالدلالة، وإنما من حيث الاستجابة الحسيّة، التي يجدها المتلقي مستمعاً أو قارئاً، وبيان ذلك أنّ الكلمة حين تتّصل بالكلمة، تتولد بينهما درجات من التلاؤم، تساعد في تجلية المعاني، وفي التأثير على إحساس المتلقي.

وينشأ التلاؤم من تتابع أجراس حروفها، وتوالي الأصوات التي تتألف منها في النطق، وفي الوقوع على السمع، فالتلاؤم وصف لا بد منه لكي يكون الكلام خفيفاً على اللسان، مقبولاً في الأذن، موافقاً لحركات النفس، مطابقاً لطبيعة الفكرة أو الصورة أو العاطفة التي يعبر عنها، وهو في الكلمة ائتلاف الأصوات وحلاوة الجرس، وفي الكلام تناسق النظم، وتناسب الفقرات<sup>(٣)</sup>.

### ب- صلة اللفظ بالمعنى

إن الألفاظ لها صلة وثيقة بدلالاتها، أي: يكون في اللفظ إيجاء بالمعنى، فقد يأتي اللفظ مفرداً، فيرسم في الذهن صورة المعنى، تارة بجرسه الذي يلقيه في الآذان، وتارة بظله الذي يلقيه في الخيال، ولا يمكن أن يفصل في عملية التواصل في الخطاب بين اللفظ الدال والمعنى الذي هو به قائم، ولا أن يعطى لأحدهما أهمية على الآخر، لأن لكل واحد منهما خصوصيته، وخير الكلام ما تسابق لفظه إلى السمع، ومعناه إلى القلب.

(١) سورة فاطر: ٣٦ - ٣٧.

(٢) الكشف، الزمخشري، ص ٣١٠/٣.

(٣) انظر الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقران الكريم، محمد الكواز، ص ٣٣٤ ودراسات في القرآن والسنة، أحمد العمري، دار المعارف، القاهرة، ط ١، ١٩٨٢م، ص ٨٢.

قال السيوطي (إن المعنى الواحد قد يخبر عنه بألفاظ بعضها أحسن من بعض، وكذلك كل واحد من جزئي الجملة، قد يعبر عنه بأفصح ما يلائم الجزء الآخر، ولا بد من استحضار معاني الجمل، أو استحضار جميع ما يلائمها من الألفاظ، ثم استعمال أنسبها وأفصحها واستحضار هذا متعذر على البشر، في أكثر الأحوال؛ فلذلك كان القرآن أحسن الحديث وأفصحه)<sup>(١)</sup>.

(والصوت يحقق الوصول إلى أغراض إيحائية، بالمعاني الطبيعية التي تضيف إلى المعاني العرفية للألفاظ، أبعاداً إضافية ما كان لها أن تتحقق، لولا ما تحمله حكاية الصوت من طاقة إيحائية، وتوضح الطاقة الإيحائية للصوت كذلك، في إبداع القرآن ألفاظاً لم تكن من قبل، أو تحويل الألفاظ من معانيها التي كانت عليها، إلى معانٍ أخرى تتناسب مع إحياء أصوات الألفاظ)<sup>(٢)</sup>.

ومعنى ذلك أن اختيار اللفظة له شأن مهم في التناسق الرفيع، وكذلك وضع اللفظة في مكانها، ويتم ذلك الأثر في بلاغة التعبير.

ونحن لا نستطيع أن نلتمس هذه الدلالة البلاغية، إلا من خلال التركيب، فاللفظة المفردة قد تكون مهياًة بجرسها لإبراز تلك الدلالة فيحتويها السياق، فتندفق تلك اللمحات المضئية من خلال السياق<sup>(٣)</sup>.

ومن هنا فإن القرآن الكريم مثلما يختار الألفاظ المعبرة، يختار المعاني الصحيحة المناسبة، للغرائز الإنسانية، والعواطف البشرية، ليكون لها تأثير على النفوس<sup>(٤)</sup>، وهذا ما يفسر اقتناع بعض الأعاجم بالحقائق القرآنية بعد قراءة القرآن، بغير اللغة العربية، وما كان يشدهم هو صحة المعنى، وسلامته ومناسبته للفترة الإنسانية المستقيمة.

(١) انظر الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، دار إحياء العلوم، د.م، ط ١٩٩٢، ص ٣، م، ص ٢٢/٢.

(٢) البيان في روائع القرآن، تمام حسين، عالم الكتب، القاهرة، دط، ١٩٩٣م، ص ٢٣٩.

(٣) انظر من أساليب التعبير القرآني، طالب الزوبعي، دار النهضة العربية، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م، ص ٣٥٨ وللاستزادة أساليب الإقناع في القرآن الكريم، بن عيسى باطاهر، دار الضياء للنشر، الاردن، ط ١، ٢٠٠٦م، ص ٢٤٨ وما بعدها.

(٤) انظر من بلاغة القرآن، احمد بدوي، ص ٢٥٣.

وهذا النظام الصوتي، يهزّ المشاعر هزاً عميقاً، ويحدث في القارئ أو السامع نشوة وطرباً، ويجدّد نشاطه، ويزيده رغبةً في الإقبال عليه، ولذلك كان له الأثر في تثبيت المعاني في ذهنه.

### ثانياً: الأسلوب الفريد:

نزل القرآن الكريم بأسلوب العرب، وعلى وفق طرائق العرب في التعبير والأداء، فهو يستعمل حروفهم وألفاظهم، ووجوه تأليفهم للكلام في جمل وتراكيب، ولولا ذلك لما فهموه، ولا تذوّقوه، ولا أحسّوا به ذلك الإحساس الباهر.

وقد أطل العلماء الكلام على هذا الوجه، وهو خروج الأسلوب القرآني على جميع ما عرفوه من طرائق التعبير عند العرب، أهل الفصاحة والبيان.

قال السيوطي: (إنّ القرآن منطوق على وجوه من الإعجاز كثيرة، منها صورة نظمه العجيب، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب، ومنهاج نظمه ونثره الذي جاء عليه، ووقفت عليه مقاطع آياته، وانتهت إليه فواصل كلماته، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له)<sup>(١)</sup>.

ولكن القرآن الكريم وهو يستعمل المادة اللغوية المطروحة بين أيدي العرب، من حروف وكلمات، ويراعي قواعدهم في تأليفها، يأتي بها في أسلوب فريد متميز، أسلوب جديد لم تعرفه العرب في كلامها، وسوف نتطرق إلى بعض مزايا هذا الأسلوب الفريد منها:

### أ- الإجمال والبيان

الإجمال والبيان أمران متقابلان لا يجتمعان في كلام واحد، إن وجد الأول اضمحل الثاني، وإن وجد الثاني زال الأول، فكلام البشر إما أن يكون مجملاً، وإما أن يكون مبيناً، ولا يكون بحال من الأحوال مجملاً مبيناً، في آن واحد هذا في كلام البشر، أما القرآن الكريم كلام الله ﷻ، فالأمر غير ذلك فهو خارق للعادة فلا عجب إذاً أن يجتمع في آية واحدة منه البيان والإجمال جميعاً.

(١) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ص ١ / ٤١٥.

وهذه مزية من مزايا الأسلوب الفريد، التي نجدها في القران ولا نجدها فيما سواه، ذلك أن الناس إذا عمدوا إلى تحديد أغراضهم لم تتسع للتأويل، وإذا أجملوا، ذهبوا إلى الإبهام، أو إلى اللغو الذي لا يفيد، ولا يكاد يجتمع لهم هذان الطرفان في كلام واحد، أمّا القران فعندما نقرأ آيةً منه نجد في ألفاظها من الشفوف والإحكام، ما يتسابق به مغزاها إلى نفسك، دون كدّ خاطر ولا استعادة حديث، كأنك لا تسمع كلاماً بل ترى صوراً وحقائق ماثلة، وهكذا يجيئ إليك أنك قد أحطت به خيراً، ووقفت على معناه محدوداً<sup>(١)</sup>.

ومن الآيات التي جمعت بين الإجمال والبيان قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ

حِسَابٍ ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولقد وسعت هذه الآية الواحدة طوائف متعدّدة، يستدلون بها على اختلاف آرائهم على ما ذهبوا إليه والآية هي نفسها، فانك لو قلت في معناها: إنه سبحانه يرزق من يشاء بغير محاسب يحاسبه، ولا سائل يسأله لماذا ييسط الرزق لهؤلاء، ويقدر على هؤلاء؟ أصبت، ولو قلت: إنه يرزق بغير تفتير ولا محاسبة لنفسه عند الإنفاق خوف النفاذ، أصبت، ولو قلت إنه يرزق من يشاء من حيث لا ينتظر ولا يحتسب، أصبت، ولو قلت إنه يرزق بغير معاتبه ولا مناقشه له على عمله، أصبت، ولو قلت يرزقه رزقاً كثيراً لا يدخل تحت حصر وحساب، أصبت، ومن وقف على علم التأويل، واطّلع على معترك إفهام العلماء في آية رأى من ذلك العجب العجاب<sup>(٣)</sup>.

فهلاً تأملت معناها (البيان) الذي تبادر إلى ذهنك، ثم إلى هذه المعاني التي (أجملت) فيها بعد أن أمعنت النظر ذلكم المراد بقولنا: إن آيات القران تجمع بين الإجمال والبيان، وهو أمر لا تجد مثله فيما سواه.

(١) انظر دراسات بلاغية في القران الكريم والحديث الشريف، محمد شرشر، دار الطباعة الحميدية، القاهرة، ط ١، ١٩٧٨م، ص ١٣٧، ١٣٨ وخصائص القران الكريم، فهد الرومي، د.ن، د.م، ط ٤، ١٤٠٩ هـ، ص ٤٥ .

(٢) سورة البقرة: ٢١٢.

(٣) انظر النبأ العظيم، محمد دراز، ص ١١٧، ١١٨.

## ب- إيجاز اللفظ ووفاء المعنى:

اللفظ والمعنى طرفان متقابلان إن أدنيت هذا أبعدت الآخر، إما أن يجمع بليغ من البشر بين إيجاز اللفظ ووفاء المعنى فإن هذا متعذر، وحين نقول متعذر، لانعني أبداً أنه لا يتسنى له الإتيان به على الإطلاق، وإنما نقصد ونؤكد على أنه لا يملك أن يكون كل كلامه على هذا النمط، وإلا فقد عرف أهل البلاغة الإيجاز مع وفاء المعنى وضربوا له الأمثلة.

ومهما أوتي البليغ من البلاغة فإنه قد يملك أن يجمع بين هذين الأمرين الإيجاز اللفظي والوفاء بالمعنى، في جمل معدودة، لكن الإعياء والفتور لا بد أن يلحقا به في بقية كلامه فينحل من عقدة كلامه ما كان وثيقاً، وينفلت من يده زمام الكلام الذي كان يطوِّعه ويملكه، ثم يجد من العبارات التي كانت قبل قليل تنقاد له جموحاً، ويجد في امتطائها مشقة<sup>(١)</sup>.

يقول محمد دراز: (فإن أردت أن تقرأ كلاماً جمع بين هاتين الغائتين، من أوله إلى آخره، فاقراً القرآن الكريم، حيث البيان الذي لا تحس فيه عوجاً ولا أمتاً، يؤدي لك معنى بلا قصور في عناصره الأصلية، ولا صورته الكمالية، بأحسن عبارة لا غرابة في ألفاظها، ولا كدر في كلماتها، ولا زيادة في كلمة، ولا قصور في حرف، بل تجد في كل كلمة جزءاً من الصورة لا بد منه، إن حذفها نقص من الصورة قدرها، وإن أبدلتها شدت من الصورة عرضها، فلا ترغب به بديلاً، ولا ترضى بغيرها مثيلاً<sup>(٢)</sup>).

وفي القرآن الكريم آيات عدة، تؤدِّي لك المعنى الوافر الثري، في اللفظ القاصد النقي، ومن الآيات قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَكَفَرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر خصائص القرآن الكريم، فهد الرومي، ص ٤٧، ٤٨ والخصائص الموضوعية والأسلوبية في حديث القرآن عن

القرآن، عبد العزيز العمار، دن، دم، ط ١، ١٤٢٨ هـ .

(٢) النبأ العظيم، محمد دراز، ص ١١١، ١١٢ .

(٣) سورة البقرة: ٩١ .

هذه قطعة من فصل من قصة بني إسرائيل، والعناصر الأصلية التي تبرزها لنا هذه الكلمات القليلة تتلخص فيما يلي:

١- مقالة ينصح بها الناصح لليهود؛ إذ يدعوهم إلى الإيمان بالقرآن.

٢- إجابتهم لهذا الناصح.

٣- الرد على هذا الجواب بركنيه.

فانظر كيف جمع القرآن هذا المعنى الكثير، في هذا اللفظ الوجيز، آمنوا بما أنزل الله، وسر ذلك أنه عدل بالكلام عن صريح اسم القران، إلى كنياته فجعل دعاءهم إلى الإيمان به، دعاء إلى الشيء بحجته، وبذلك أخرج الدليل والدعوى في لفظ واحد. ولو أن محامياً بليغاً وكَلَّتْ إليه الخصومة بلسان القران في هذه القضية، ثم هدي إلى استنباط هذه المعاني التي تختلج في نفس الداعي والمدعو، لما وسعه في أدائها أضعاف أضعاف هذه الكلمات، ولعله بعد ذلك لا يفي بما حولها من إشارات، واحتراسات، وآداب، وأخلاق<sup>(١)</sup>.

### ج- مراعاة العام والخاص

هاتان الغائتان متباعدتان عند الناس، فلو أنك خاطبت الأذكياء، بالخطاب الواضح المكشوف الذي تخاطب به العامة، لتزلت بهم إلى مستوى لا يرضونه لأنفسهم في الخطاب، ولو أنك خاطبت العامة باللمحة والإشارة التي تخاطب بها الأذكياء، لجئتهم من ذلك بما لا تطيقه عقولهم، فلا غنى لك - إن أردت أن تعطي كلتا الطائفتين حظها كاملاً من بيانك - أن تخاطب كل واحدة منها بغير ما تخاطب به الأخرى، فأما أن جملة واحدة تلقى إلى العلماء والجهلاء وإلى السوقة والملوك وإلى الصغير والكبير، والأذكياء ومن دونهم فيرى كل منهم مطلبه ويدرك من معانيه ما يكفيه فذلك مالا نبجده على أتمه وأكمله إلا في القران الكريم وحده<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر دراسات بلاغية في القران الكريم والحديث الشريف، محمد شرشر، ص ١٤٠.

(٢) انظر النبأ العظيم، ص ١١٣ وطرق العرض في القران، بن عيسى باطاهر، مجلس النشر العلمي، الكويت، د. ط.

١٤٢٢هـ، ص ٣٣.

فهو قران واحد يراه البلغاء أوفى كلام بلطائف التعبير، ويراه العامة أحسن كلام، وأقربه إلى عقولهم، لا يحتاجون فيه إلى ترجمان، ميسر لكل من أراد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ

لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٧﴾<sup>(١)</sup>.

والآيات هي هنا وهناك لم تتغير ولم تتبدل، ولا نقصد - معاذ الله - إن الآية تحتمل وجهين متعارضين وجهاً للعامة ووجهاً للخاصة، بل هو معنى واحد، لكنه من العطاء بحيث يدرك منه كل قارئ قدر طاقته، ووسع عقله وفكره، فلا يحمله مالا يطيقه، ولا يقصر عن حاجته.

ثالثاً: تداخل المعاني والأفكار:

لم يعرف كتاب الله التفصيل والتقسيم، بل تداخل معانيه جميعها، حيث إنه لم يوبَّ إلى فصول وأجزاء على طريقة كتب النشر، بل إنَّ السورة الواحدة تشتمل على أنواع كثيرة من الموضوعات، وهو يخرج فيها من غرض إلى غرض، من وعدٍ إلى وعيد، ومن توحيد إلى تشريع، ومن أحكام إلى وعظ وتعليم وذلك لحكمة عظيمة، وهي أن تتضافر جميع المعاني على تحقيق الغرض الأساسي للقرآن الكريم، وهو أنه كتاب تشريع وهداية، ودعوة للناس إلى عبادة الله وتوحيده، وهو يبيِّث هذا المعنى الأساسي في ثنايا أي موضوع آخر، كما أن جميع المعاني الفرعية تتجه إلى تحقيق هذا الغرض وترسيخه<sup>(٢)</sup>.

قال الخطابي: (وأما قولهم: لو كان نزول القرآن على سبيل التفصيل والتقسيم، فيكون لكل نوع من أنواع علومه حيز وقبيل، ولكان أحسن نظاماً وأكثر فائدة ونفعاً، فالجواب أنه إنما نزل القرآن على هذه الصفة من جمع أشياء مختلفة المعاني في السورة الواحدة، وفي الآية المجموعة القليلة العدد، لتكون أكثر لفائده، وأعم لنفعه، ولو كان لكل باب منه قبيل، ولكل معنى سورة مفردة، لم تكثر عائده، ولكان الواحد من الكفار والمعاندين المنكرين له، إذا سمع السورة منه، لا تقوم عليه الحجة به إلا في النوع الواحد الذي تضمّنته السورة الواحدة فقط،

(١) سورة القمر: ١٧.

(٢) انظر خصائص القرآن، فهد الرومي، ص ٤٩.

فكان اجتماع المعاني الكثيرة في السورة الواحدة أوفر حظاً، وأجدى نفعاً من التمييز والتفريد للمعنى الذي ذكرناه، والله أعلم<sup>(١)</sup>.

إنّ هذه الميزة، في أسلوب القرآن الكريم، وهي تداخل المعاني والعلوم في السورة الواحدة، تجعل هذه المعاني جميعها حاضرة أمام قارئه، لا يستغرق في معنى وينشغل عن غيره؛ فإنه حينما يبدأ بعرض قصة لا يدعك تنسى - ولو في مرحلة من مراحلها - ذلك المعنى الكلي الذي ذكرناه، فهو يمزجها بما ليس منها من تهديد، أو وعد ووعد، أو نصيحة ووعظ، تحقيقاً للغرض الذي من أجله تساق القصة، وحفظاً للفكر أن يتشتت مع أجوائها وأحداثها، فينسى مساقها الأصلي<sup>(٢)</sup>.

#### رابعاً: المناسبة بين المعاني ( الترابط )

وهي أن تحتوي السورة الواحدة أو الآية الواحدة أحياناً على معانٍ كثيرة، وتكون هذه المعاني المختلفة مرتبطة فيما بينها ولا شتات فيها.

قال الإمام الزركشي: (المناسبة علم حسن لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام، أن يقع في أمر متّحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة، لم يقع فيه ارتباط ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه، إلا بربط ركيك يصاب عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرّعت لأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض)<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام السيوطي: (للآيات الكريمة مناسبة؛ لأنها على حسب الوقائع تترتّب، وعلى حسب الحكمة ترتّبياً وتأصيلاً، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ، مرتّباً سورته كلها وآياته بالتوقيف، كما أنزل جملة إلى بيت العزّة، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كلّ آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكتملة لما قبلها أو مستقلة، ثم

(١) بيان إعجاز القرآن للخطابي (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، الخطابي، ت محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، د.ط، ١٩٨٦م، ص ٥٤.

(٢) انظر في الإعجاز البلاغي للقران الكريم، وليد قصاب، دار القلم، الإمارات، ط ١، ١٤٢١هـ، ص ٤٠ وأساليب القران، عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية، د.ط، ١، ١٣٨٩هـ، ص ٣٢.

(٣) البرهان في علوم القران، الزركشي، ص ٣٦/١.

المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جمّ، وهكذا في السور يطلب وجه اتّصالها بما قبلها وما سيقّت له" (١).

وعلم المناسبة يؤمن بأن المعاني الكثيرة التي توجد في السورة الواحدة أو الآية الواحدة - بل سور القرآن كلها عند بعضهم - ليست متنافرة أو متباعدة، أو غير مترابطة، بل إنّ مرجع الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها، عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول والنظرين والضدين ونحوه (٢).

وهذه بعض النماذج على المناسبة بين المعاني:

قال تعالى: ﴿يَبْنَىْ ءَاَدَمَ قَدْ اُنزَلْنَا عَلَیْكُمْ لِبَاسًا یُوَارِیْ سَوْءَ تَکُمْ وَرِیْشًا ط وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِکَ خَیْرٌ ذَٰلِکَ مِنْ ءَاٰیَتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ یَذَّکَّرُوْنَ ﴿٦٦﴾﴾ (٣).

إنّ الترابط بین هذه الآية وأول السورة هو من قبیل الاستطراد، قال الزمخشري: (هذه الآية واردة على سبیل الاستطراد، عقیب ذکر بدو السوءات، وخصف الورق علیهما إظهاراً للمنه فیما خلق من اللباس، ولما فی العري وكشف العورة من المهانة والفضیحة وإشعاراً بأن التستر باب عظیم من أبواب التقوى) (٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٧﴾﴾ (٥).

إنّ الترابط بین هذه الآية وأول السورة، أنّ أول السورة كان حديثاً عن القرآن، وإنّ من شأنه الهداية للقوم الموصوفين بالإيمان، فلما أكمل وصف المؤمنين عقّب بحديث الكافرين، فهذا من باب المضادة في الترابط، فبینهما جامع وهمي بهذا التضاد، وحكمته التشويق والثبوت على الأول، كما قيل: وبضدّها تبیین الأشياء (٦).

(١) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ص ٢٨٨/٢.

(٢) انظر المصدر السابق، ص ٢٨٩/٢.

(٣) سورة الأعراف: ٢٦.

(٤) الكشف، الزمخشري، ص ٧٤ / ٢.

(٥) سورة البقرة: ٦.

(٦) انظر الإتيان، السيوطي، ص ٢٩٨/٢.

## خامساً: تأثيره النفسي:

إن في القرآن لميزة عجيبة لا توجد في كلام بشر، هي قدرته الباهرة على النفاذ إلى نفوس الناس جميعاً، كباراً وصغاراً، علماء وعامة، وتأثيره على القلوب والأفئدة، فاستجابت له نفوس المؤمنين.

يقول الخطابي مشيراً إلى هذا الوجه من وجوه إعجازه: ( قلت في إعجازه وجهاً آخر ذهب عنه الناس، فلا بالكاد يعرفه إلا الشاذ من أحدهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس؛ فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً، ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب)<sup>(١)</sup>.

ولقد كان القرآن الكريم - بهذا التأثير النفسي الذي له - سبباً في إسلام قوم كثيرين، إذ خشعت له قلوبهم، وقرتْ بعظمته عقولهم، ونفذ إلى ضمائرهم وأفئدتهم واستشعرته نفوسهم، فلم يملكوا إلا الانصياع لكلمة الحق التي أتى بها.

وقد يتصل بالتأثير النفسي للقرآن الكريم جانباً آخر تحدّث عنه العلماء، وعدوه وجهاً من وجوه إعجازه، وهو عدم الملل منه، وبهذا الجانب يبين الأسلوب القرآني كذلك أساليب البشر، ويتميّز عنها، إذاً المعروف أنه ما من كتاب على وجه الأرض إلا وتخلق جدته مع الأيام، ويعتري الملل النفوس من تكرار قراءته وإعادة النظر فيه، إلا هذا الكتاب؛ فإنه متجدد باستمرار، لا يفتأ يجذب الأفئدة والعقول كلما تلي أمامها<sup>(٢)</sup>.

وإن في القرآن الكريم من الجمال والتألق ما يجعله غضاً طرياً على مرور الأيام، فيه من الثراء والغنى والتأثير مالا ينفد، فهو كثير العجائب لا تنقضي غرائبه، إنه كالمنجم الذي يزودك في كل مرة تقرؤه، بما لم يزودك به أو تكشفه في مرة سبقت.

وقد عدّه العلماء - كما ذكرنا - هذا وجهاً من وجوه إعجازه.

يقول السيوطي: (إن سامعه لا يحجه، وقارئه لا يملّه، فتلذذ له الأسماع، وتشغف له القلوب فلا تزيده تلاوته إلا حلاوة ولا ترديده إلا محبة، ولا يزال غضاً طرياً، وغيره من الكلام - ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغاً - يمل مع التريده، ويعادى إذا أعيد؛ لأن إعادة

(١) بيان إعجاز القرآن، الخطابي، ص ٧٠.

(٢) انظر في الإعجاز البلاغي للقرآن، وليد قصاب، ص ٣٨.

---

---

الحديث على القلب أثقل من الحديد، وكتابنا - بحمد الله - يستلذ به في الخلوات، ويؤنس به في الأزمات، وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك، ولهذا وصف رسول الله ﷺ القرآن، بأنه لا يخلق على كثرة الردّ، ولا تنقضي عبره، ولا تفتني عجائبه، ليس بالهزل لا يشيع منه العلماء، ولا تزيغ به الأهواء<sup>(١)</sup>.

وهذا بعض من أبرز مزايا الأسلوب القرآني، والقرآن حي باستمرار في الضمائر والنفوس، جديد دائماً، باهر على مدى الأزمان والأيام ما قرأه قارئه إلا وأحسّ أنه يقرأه لأول مره.

---

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، ت احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١،

١٩٨٨م، ص ١٨٤/١

## المطلب الثاني: مزايا الأسلوب النبوي في الدعوة إلى الله تعالى .

إنَّ جماليات الأداء الأسلوبي في الحديث النبوي، تتعدّد وجوهها وتتنوّع طرائفها، ولكن الأثر الباقي في النفس الإنسانية، المؤمنة برسالة الإسلام، والتي تعمّق فيها الإحساس بعظمة الشخصية المحمدية، هذا الأثر الباقي هو الإحساس بجمال المنطق، وحلاوة التعبير، وشرف المعنى وصحته، وسموّ قصده وحكمته.

قال أبو حيان يصف بلاغة السنة: (والثاني سنة رسول الله ﷺ فإنها السبيل الواضح، والنجم اللائح، والقائد الناصح، والعلم المنصوب، والأمم المقصود، والغاية في البيان، والنهاية في البرهان، والمفزع عند الخصام، والقدوة لجميع الأنام)<sup>(١)</sup>.

وفصاحته ﷺ أمر لا يشكُّ فيه عاقل؛ ذلك أن القوم الذي أرسل إليهم هم أئمة البيان، وهم في خصومته قوم لد، لا تنقطع بهم حجة، ولا يعوزهم منطق بليغ، وقد نعتوا الرسول بأوصاف عدّة كيداً ومخاصمة، ولكنهم لم يستطيعوا أن ينعتوه، بما ينال من فصاحته؛ لأنهم يعلمون أن مثل هذه الفرية، زائفة وباطلة لدى الناس جميعاً.

وهو ﷺ أفصح العرب لكن الفرق بينه وبين الفصحاء يتفّق مثله في الناس ويبقى في حدود الطاقة البشرية وليس أمراً خارقاً للعادة بالكلية، بل إن الفرق بينه وبين الفصحاء يشبه الفرق بين البليغ والأبليغ، والحسن والأحسن<sup>(٢)</sup>.

ومن أهم مزايا الأسلوب النبوي ما يلي:

أولاً: الجزالة والوضوح.

إنَّ من أهم مزايا أسلوب الحديث، جمعه بين الجزالة في المفردات والوضوح في الدلالة، وإذا اقترن الوضوح بالجزالة في الكلام، كان قطعة رائعة من البيان الساحر، وأضحى صالحاً لأن يلقى على جماهير الناس، وأنه حينئذٍ لخلق أن يفتح مغاليق قلوبهم إلى النور، ويقودهم على درب الخير، وهذا ما نقرؤه في السيرة النبوية، من تأثير الحديث في الصحابة واستحواذه على إعجابهم.

(١) البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، ت إبراهيم الكيلاني، دار أطلس، د.م، ط ١، ١٩٦٤م، ص ١٨/١.

(٢) للاستزادة انظر النبا العظيم، محمد دراز، ص ١٠٢ وما بعدها.

وهذا الوضوح لا تحجبه مفردات غريبة، ولا أساليب معقّدة، وجزالة لا يفارقتها  
الوضوح والبيان ولا تنافسها جزالة في متانة التركيب، وفخامة الإيقاع، وعدم الابتذال<sup>(١)</sup>.  
ولو تناولنا ألفاظ النبي ﷺ مفرداً مفرداً لا نجد فيها ما ينكر بعض حروفه بعضاً، فلا  
تثقل على اللسان في لفظ، ولا تعثر بالنطق في كلمة، كما نجد ما نوسة الاستعمال فلا  
غرابة، واضحة الدلالة، جارية على القياس، تتساند في أداء المعنى والوفاء بالغرض<sup>(٢)</sup>.

قال الأستاذ عبّاس العقاد: (إن السمة الغالية على أسلوب النبي ﷺ هي سمة الإبلاغ  
قبل كل سمة أخرى، بل هي السمة الجامعة التي لا سمة غيرها؛ لأنها أصل شامل لما تفرّق من  
سمات، هي منها بمثابة الفروع، وكلام النبي ﷺ المحفوظ بين أيدينا إمّا معاهدات أو رسائل  
وإما خطب وأدعية ووصايا وأجوبة عن أسئلة)<sup>(٣)</sup>.

أما إذا نظرنا إلى عامة الأحاديث فإننا نجد هذه المزية (الوضوح مع الجزالة) هي الطابع  
العام لأحاديث النبي ﷺ لأن مهمته الأولى هي تبليغ هذه الرسالة، والنفاز بها إلى قلوب  
الناس، ولن يكون هذا إلا بالكلام الواضح المفهوم الجزل المتين.

### ثانياً: الإيجاز:

الإيجاز هو تأدية المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، وقد أجمع النقاد قديماً وحديثاً على  
الثناء عليه، وتقديمه وإحلاله المرتبة السامية في الكلام العربي المبين، وعلى أنه أشدّ تأثيراً في  
السامعين وقرّروا أنه لا يقوى عليه إلا الفصحاء.

والإيجاز قوة في التعبير وامتلاك لخاصية اللغة، وهو أصلح للحفظ والرواية، ولا بُدّ في  
الإيجاز المعتبر من الوضوح التام، فإن لم يكن الكلام وافياً بالغرض، دالاً على المراد فهو  
الإخلال وهو عيب في الكلام كالتطويل<sup>(٤)</sup>.

ولا يؤتى الإيجاز إلا من رُزقَ حدّة في الذهن، وإرهاقاً في الإحساس البياني، ومعرفة  
تامة بدلالة المفردات، وإدراكاً واعياً لأحوال المخاطبين، وقد اجتمع ذلك في الرسول ﷺ  
على أكمل وجه.

(١) للاستزادة انظر البيان النبوي، محمد رجب البيومي، دار الوفاء، المنصورة، ط ١، ١٤٠٧هـ، ص ٢٤٩.

(٢) انظر الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، عز الدين علي سيد، ص ٦٢، ٦١.

(٣) عبقرية محمد، عباس العقاد، المكتبة العصرية، دم، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ٧١.

(٤) انظر الحديث النبوي رؤية جمالية فنية، صابر عبد الدائم، دار الوفاء، الإسكندرية، دط، ص ٥٧.

قال ابن رشيقي القيرواني بعد أن أورد عدة أحاديث أمثلة على الإيجاز: (ومثل هذا كثير في كلامه ﷺ ومن أولى منه بالفصاحة وأحق بالإيجاز)<sup>(١)</sup> وقد قال ﷺ: {بعثت بجوامع الكلم}<sup>(٢)</sup>. وقال أبو هلال العسكري: بعد أن أورد روائع من كلامه ﷺ (فمعاني هذا الكلام أكثر من ألفاظه، وإذا أردت أن تعرف صحة ذلك، فحلها وابنها بناءً آخر فإنك تجدها في أضعاف هذه الألفاظ)<sup>(٣)</sup>.

وليس معنى هذا أن كلامه ﷺ في هذه الخطب الطويلة قد جانب الإيجاز فإننا عندما ننظر في هذه الخطب الطوال التي رويت نجد سمة الإيجاز ملازمة لجملة، وهذا نجد فيما نقل أبو سعيد الخدري رضي الله عنه من هذه الخطبة قال: قال رسول الله ﷺ: {إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء}<sup>(٤)</sup>.

والرائع في إيجاز الحديث أنه بعيدٌ عن التكلف، وقد نهى النبي ﷺ عن التكلف والتصنع في قوله ﷺ {إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسانكم أخلاقاً، وإن من أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارين<sup>(٥)</sup> والمتشدقين<sup>(٦)</sup> فما المتفيهقون؟<sup>(٧)</sup> قال: المتكبرون}<sup>(٨)</sup>.

- 
- (١) العمدة، ابن رشيقي القيرواني، ت محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٤، دت، ص ٢٢٤/١.
- (٢) صحيح البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ نصرت بالرعب مسيرة شهر، ص ١٠٨٧/٣، رقم ٢٨١٥.
- (٣) الصناعتين، العسكري، ص ١٧٨.
- (٤) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة، ص ٢٠٩٨/٤ رقم ٢٧٤٢.
- (٥) الثرثار: بثائين مثلين مفتوحين هو الكثير الكلام تكلفاً. انظر تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت، ص ١٣٦/٦.
- (٦) المتشدد: المتطاول على الناس بكلامه والذي يتكلم بملء فيه تفاسحاً وتعظيماً لكلامه انظر تحفة الاحوذى، ص ١٣٦/٦.
- (٧) والمتفيهق: أصله من الفهق وهو الامتلاء وهو الذي يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه ويغرب به تكبراً وارتفاعاً انظر تحفة الاحوذى، ص ١٣٦/٦.
- (٨) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب معالي الأخلاق، رقم ٢٠١٨، ص ٣٧٠/٤، وصححه الألباني في كتاب السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، د.ط، د.ت، ص ٤١٨/٢.

والإيجاز في كلام النبي قليل النظير في كلام البشر ومن الأمثلة على إيجازه  
عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه  
أحدًا بعدك، قال: {قل: آمنت بالله ثم استقم} (١).  
قال السيوطي: (هذا من جوامع الكلم، والاستقامة درجة بها كمال الأمور وتمامها،  
وبوجودها حصول الخيرات ونظامها، ولا يطبقها إلا الأكابر؛ لأنها الخروج عن المعهودات  
ومفارقة الرسوم والعادات، والقيام بين يدي الله على حقيقة الصدق) (٢).  
ويتّضح الإيجاز في هذا الحديث في أن هاتين الكلمتين جمعنا كلَّ خير، وأحاطتا بجوانب  
الإسلام كلها.

ولقد أشار هذا الحديث إلى مبادئ الإسلام وخيري الدنيا والآخرة، وهما ركنا الحياة  
السامية، التي حرص الإسلام على أن ينعم بها كل إنسان، هذان الركنان هما العقيدة الحقة،  
والسلوك المستقيم، فالإيمان بالله يمثّل العقيدة الصحيحة، والاستقامة على ما يقتضيه هذا  
الإيمان، تمثّل السلوك الذي يثبت إيمان صاحبه وصدقه في ذلك.

### ثالثاً: الأصالة:

الأصالة أن يكون أسلوب الرجل خاصاً به، لا ينهج فيه نهج غيره، وأن تكون في  
عباراته، طرافة وجدة، مع حلاوة ملموسة، تحمل من يأتي بعده أن يحرصوا على اقتباسها  
واستعمالها.

وتلك هي الصفة الجوهرية للأسلوب البليغ، وملاك الأصالة أن لا تكتب كما يكتب  
الناس، وأن تكون أصيلاً في نظرتك وكلمتك، وفكرتك وصورتك ولهجتك، فلا تستعمل  
لفظاً عاماً، ولا تعبيراً محفوظاً، ولا استعارة مشاعة (٣).

ويراد بالأصالة في الأسلوب، بناؤه على ركنين أساسيين، هما خصوصية اللفظ وطرافة  
العبرة، أمّا خصوصية اللفظ فهي دلالته التامة على المعنى المراد، ووقوعه الموفق في الموقع

(١) صحيح مسلم في كتاب الإيمان، باب أوصاف الإسلام، رقم ٣٨، ص ٦٥/١.

(٢) الديباج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، دار الكتب العلمية،  
بيروت، ط ١، ٢٠٠٦م، ص ٥٦/١.

(٣) انظر دفاع عن البلاغة، أحمد حسن الزيات، عالم الكتب، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٧م، ص ٨١.

المناسب، وآيته مطابقتها لمعناه ومبناه، فإنك لا تستطيع أن تبدله، ولا أن تنقله وهي أصل الدقة في التعبير، والوضوح في المعنى، والصدق في العبارة؛ لأنَّ الكلمة إذا تمكَّنت في موضعها الأصيل، دلَّت على المعنى كله، فإذا حشرت حشراً، أو قسرت قسراً دلَّت على بعض المعنى أو أبانت عن غيره، أمَّا الركن الآخر طرافة العبارة، فإنه الابتكار في حكاية الخبر وتصوير الفكر، وهيهات أن تجد الجملة المبتكرة التي تثير الإعجاب وتحدث الأثر إلا إذا وجدت الكلمة الخاصة التي تحدّد الفروق، وتحدّد العلاقة وتبعث الحركة<sup>(١)</sup>.

وبخصوصية الكلمة وجد العبارة يتحقق الطبع في الأسلوب.

وقد اتَّصف الحديث النبوي بالأصالة في الكلمة، والتركيب والطبع وتّضح فيه الأصالة في الكلمات الحديثية كما تتّضح الأصالة في العبارات الحلوة والتراكيب الجميلة، التي ارتجلها الرسول ﷺ كقوله ﷺ ((هذا حين حمي الوطيس<sup>(٢)</sup>))<sup>(٣)</sup>.

قال النووي: (وهذه اللفظة من فصيح الكلام وبديعه، الذي لم يسمع من أحد قبل النبي ﷺ)<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر الحديث النبوي، محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٥، ١٤٠٧هـ، ص ٩٧.

(٢) الوطيس بفتح الواو وكسر الطاء المهملة وبالسين المهملة هو شبه التنور يسجر فيه ويضرب مثلاً لشدة الحرب التي يشبه حرها حره انظر شرح النووي على مسلم، ص ١١٦/١٢.

(٣) نص الحديث عن ابن عباس قال شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ فلم نفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء أهداها له فروه بن نفاثة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطلق رسول الله ﷺ يركض على بغلته قبل الكفار قال عباس وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ (أي عباس ناد أصحاب السمرة) فقال عباس (وكان رجلاً صيتاً) فقلت بأعلى صوتي أين أصحاب السمرة؟ قال فو الله لكان عطفهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا يا لبيك يا لبيك قال فاقتتلوا والكفار والدعوة في الأنصار يقولون يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار قال ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا يا بني الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمطاول عليها إلى قتالهم فقال رسول الله ﷺ ((هذا حين حمي الوطيس)) قال ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال (انهمزوا ورب محمد) قال فذهبت انظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى قال فو الله ما هو إلا أن رماهم بحصياتهم فما زلت أرى حدهم كليلاً وأمرهم مدبراً) صحيح مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، ص ١٣٩٨/٣، رقم ١٧٧٥.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ص ١١٦/١٢.

---

وتتجلّى لنا في الحديث سمة الأصالة، ونتيجتها الطبع الصافي، الذي يورث الأسلوب والدقة والحيوية، والوضوح والروعة.

إنّ السمات السابقة كلها تضيف على كلام النبي ﷺ وعلى أسلوبه، صفة التكامل والصدق والجمال، وقوة المواجهة وقوة الإقناع، وجمال منطق النبي ﷺ نابع من إنسانيته ووحى الله ﷻ ، وحتى قبل أن يهبط عليه الوحي كان منطقه جميلاً؛ لأن الحق سبحانه يعدّه لتبليغ الرسالة العظمى، وأداء الأمانة المثلى.

---

---

## الفصل الأول

**أنواع التشبيه في الدعوة إلى الله في ضوء**

**الكتاب والسنة**

**المبحث الأول: التشبيه بالمحسوس في الدعوة إلى الله**

**تعالى.**

**المبحث الثاني: التشبيه بالمدلول في الدعوة إلى الله**

**تعالى.**

**المبحث الثالث: التشبيه بالمثل في الدعوة إلى الله**

**تعالى.**

# الفصل الأول

## أنواع التشبيه في الدعوة إلى الله

### في ضوء الكتاب والسنة

تمهيد:

قبل أن نستعرض أنواع التشبيه في الدعوة إلى الله في الكتاب والسنة، لا بد أن نذكر رأي البلاغيين وعلماء اللغة حول أقسام التشبيه وأنواعه.

قسّم جمع من علماء البلاغة<sup>(١)</sup> التشبيه باعتبار طرفيه، من حيث كون أحد الطرفين معقولاً أو محسوساً، إلى أربعة أقسام، وهي تشبيه المحسوس بالمحسوس، وتشبيه المعقول بالمعقول، وتشبيه المحسوس بالمعقول، وتشبيه المعقول بالمحسوس.

ومن تعريفات التشبيه التي لحظت هذه التقسيمات تعريف الرماني للتشبيه بقوله: (التشبيه هو العقد على أحد الشئيين، يسدّ مسدّ الآخر في حسّ أو عقل، ولا يخلو التشبيه من أن يكون في القول أو في الأنفس، كتشبيه ماء بماء، أو ذهب بذهب، أو في العقل، كتشبيه قوة زيد، بقوة عمرو، فالقوة لا تشاهد ولكنها تعلم)<sup>(٢)</sup> ومعنى حسية الطرف أن يكون مدركاً هو أو مادته التي يتركّب منها بإحدى الحواس الخمسة الظاهرة وهي: البصر والسمع والشمّ والذوق واللمس، وبمثلة المدرك بإحدى هذه الحواس، ضوء الشمس فإنه مدرك بحاسة البصر، وتغريد الطائر فهو مدرك بالسمع، وطعم الفاكهة يدرك بالذوق ورائحة المسك بالشم، ونعومة الحرير تدرك بحاسة اللمس، ونستطيع أن نجعل هذا حسياً حقيقياً؛ لأنّ الطرف ذاته قد أدركناه ووقفنا عليه بإحدى الحواس<sup>(٣)</sup>، وأمّا عقلية الطرف

(١) هذا التقسيم تبنّاه السكاكي والجرجاني والعسكري وغيرهم من علماء البلاغة، انظر فن التشبيه، علي الجندي، مكتبة نهضة مصر، ط ١، ١٩٥٢م، ص ٨٨.

(٢) النكت في إعجاز القرآن، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ت: محمد زغلول سلام، محمد خلف الله أحمد، دار المعارف، ط ٤، ١٩٧٦م، ص ٨٠.

(٣) انظر علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، بسيوني عبد الفتاح بسيوني، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م، ط ١، ص ٢١.

فمعناه ألا يكون هذا الطرف مدركاً بالحواس، ويكون من المعاني التي يدركها المرء بعقله، مثل العمل والحياة والذكاء والمروءة، أو يكون من المعاني التي يحسّها بوجوده نحو الفرح والحزن والخوف، فلا مدخل للحواس الخمس في إدراك هذه الأمور وإنما مجال إدراكها هو العقل، أو الشعور الوجداني والحس الباطني<sup>(١)</sup>.

ومذهب الحكماء أن المدرك بالحواس الخمسة: إنما هي الأعراض وخواص الأجرام لا ذوات الأجرام، فالبصر يدرك اللون، والسمع يدرك الصوت، والشم يدرك الرائحة، والذوق يدرك الطعم، واللمس يدرك الحرارة واللين<sup>(٢)</sup>، وفي ذلك يقول ابن رشيقي: (وقوع التشبيه إنما هو أبداً على الأعراض، لا على الجواهر؛ لأن الجواهر في الأصل كلها واحد، اختلفت أنواعها أو اتفقت)<sup>(٣)</sup>.

وقد فطن العلماء من قديم إلى أن الحواس منافذ للعقل، تمدّه بالمعارف المختلفة، ويشرف منها على دنيا الناس يلتقط منها ما شاء، وفي ذلك جاء قولهم: مَنْ فقد حسّاً فقد علماً، ومعرفة الأشياء بالحواس الخمس إنما تكون بجودة الشيء، بالنظر أن يكون حسناً رائقاً، وبالخيشوم أن يكون طيباً، وبالمذاق أن يكون حلواً عذباً، وبالسمع أن يكون صافي الوقع والصوت، وباللمس أن يكون ليّناً ناعماً<sup>(٤)</sup>، فأقسام التشبيه باعتبار طرفيه هي:

**أولاً: تشبيه الحسوس بالحسوس:**

وهو تشبيه صورة بصورة، أو إخراج ما تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه<sup>(٥)</sup>، حيث يكون طرفا التشبيه حسيين، والمراد بالحسي ما يدرك بإحدى الحواس الخمس، وهي البصر والسمع والشم والذوق واللمس، ومعنى هذا أن كل طرف من الطرفين يكون من المبصرات، أو المسموعات، أو المشمومات، أو المذوقات، أو الملموسات<sup>(٦)</sup>، وقد وقع هذا النوع كثيراً في القرآن والسنة، وغايته التصوير للمرئيات والمسموعات بصورة خاصة،

(١) انظر علم البيان، بسيوني عبد الفتاح بسيوني، ص ٢٢.

(٢) انظر فن التشبيه، علي الجندي، ص ٣٨.

(٣) العمدة، ابن رشيقي القيرواني، ص ٢٣٠/١.

(٤) انظر فن التشبيه، علي الجندي، ص ٤٠.

(٥) المرجع السابق، ص ٨٧.

(٦) انظر علم أساليب البيان، غازي يموت، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥م، ص ١٠١.

فالصور الحسية أقوى في الدلالة على المعنى والإحساس به من الصور الذهنية التي تهدف إلى الإقناع<sup>(١)</sup>.

ثانياً: تشبيه المعقول بالمعقول:

(وهو تشبيه معنى بمعنى، أو إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما لا تقع عليه)<sup>(٢)</sup>، حيث يكون طرفا التشبيه عقليين لا يدركان بالحواس، وإنما نشعر بهما في نفوسنا ونحسهما بمعانيهما في الوجدان، وجمال الطرفين العقليين، أنهما لا ينكشfan بالبصيرة إلا بالتأمل والتفكير، وبضرب من التأويل لا ينقاد إلا لفكر ثاقب، وخيال واثب<sup>(٣)</sup>.

ويدخل في العقلي الوهمي والوجداني، فالوهمي: هو ما ليس مدركاً بإحدى الحواس، لكنه لو أدرك لكان مدركاً بها كرؤوس الشياطين، في قوله تعالى: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّه رُؤُوسُ

الشَّيَاطِينِ﴾<sup>(٤)</sup>.

(فالشياطين غير مدركة بالحواس؛ لأنها من عالم مختلف عن عالم الإنسان، وإضافة الرؤوس إليها، وهي أمور محسوسة، لا يغيّر من الأمر شيئاً، فإذا كنا لا نعرف شكل الشيطان، فكيف ندرك شكل رأسه إلا توهماً، وأمّا الوجداني: وهو ما يدرك بالوجدان من الأحاسيس والمشاعر المختلفة كالمحبة والكراهية، واللذة والألم، والشبع والجوع، والرضى والغضب، والحبّ والبغض، فطرفا التشبيه هنا عقليان، لا يدركان بأيّ من الحواس، وإنما نشعر بهما في نفوسنا ونحسهما بمعانيهما في الوجدان، فالفرق بين الطرف الوهمي والطرف الوجداني أو الخيالي، أن الأخير هيئته التركيبية لا وجود لها ولا تحقق، ولكن أجزاء هذه الهيئة ومادتها موجودة ومدركة بالحواس، أمّا الوهمي لا وجود له ولا لأجزائه حتى تدرك وتشاهد، ولكن لو قدّر وفرض وجوده وتحققه كان مدركاً بالحواس)<sup>(٥)</sup>.

(١) المرجع السابق، ص ١٠٣.

(٢) فن التشبيه، علي الجندي، ص ٨٧.

(٣) انظر: علم أساليب البيان، غازي يموت، ص ١٠٤.

(٤) سورة الصافات: ٦٥.

(٥) علم البيان، بسيوني عبد الفتاح بسيوني، ص ٢٢.

### ثالثاً: تشبيه المعقول بالחסوس:

وهو تشبيه معنى بصورة، أو إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه<sup>(١)</sup>، وهذا كثير الوقوع في الكتاب والسنة، وله أهمية كبيرة في الدعوة إلى الله، وسنعرض له بالتفصيل في المبحث القادم.

### رابعاً: تشبيه الحسوس بالمعقول:

وهو تشبيه صورة بمعنى أو إخراج ما تقع عليه الحاسة إلى ما لا تقع عليه<sup>(٢)</sup>، ومن أقل التشبيهات أن تشبه الحسوس بالمعقول؛ لأن الحسوس تدركه النفس أكثر من المعقول، فالذي يشبه الحسوس بالمعقول يكون على خلاف الأصل؛ لأن الأصل أن تشبه المعقول بالحسوس؛ لأن المعقول ليس واضحاً وليس ظاهراً كالحسوس. فتشبيه الحسوس بالمعقول لا نكاد نجد له أثراً، في الكتاب والسنة وهذا في الخطابة أمر طبيعي، بحكم وظيفتها أو مهمتها، فالعقل مستفاد من الحس، ورسم الفكرة المجردة بصور محسوسة، يدرك الجميع مكوناتها، ويجعلها أقرب إلى الفهم، أو إلى أذهان الجمهور مهما اختلفت مستويات مداركهم، والشيء الحسوس أقرب إلى العقل وأثبت عنده من المجرد، ولذلك أشار البلاغيون القدماء إلى أن التشبيه، لكي يقوم بمهمته في الإيضاح، يجب أن يقوم على إخراج النفوس (من خفي إلى جلي) على حد تعبير عبد القاهر الجرجاني<sup>(٣)</sup> أما تشبيه الحسوس بالمعنوي، أو إخراج النفوس من الجلي إلى الخفي، فلم يقبله البلاغيون، وأشاروا إلى قبح التشبيه حين يخرج الظاهر إلى الخافي، والمكشوف إلى المستور، لأنه عندئذ سيقوم بعكس المهمة المنوطة به<sup>(٤)</sup>. قال النويري: (تشبيه الحسوس بالمعقول فهو غير جائز؛ لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتبهة إليها، ولذلك قيل: مَنْ فقد حساً فقد علماً، فإذا كان الحسوس أصلاً للمعقول فتشبيبه به

(١) انظر فن التشبيه، علي الجندي، ج ١، ص ٨٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٧.

(٣) انظر أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني ص ١٠٢.

(٤) انظر أساليب التصوير في خطابة صدر الإسلام، عدنان محمد أحمد، مجلة التراث العربي، دمشق العدد ٧٨، السنة.

٢ كانون الثاني ٢٠٠٠ م، رمضان - شوال ١٤٢٠ هـ، ص ٧٧.

---

---

يكون جعلاً للفرع أصلاً، والأصل فرعاً<sup>(١)</sup>.

وبعد هذا العرض اللغوي لأقسام التشبيه، يتبين أن أكثر أنواع التشبيه التي وردت في الكتاب والسنة، والتي لها فائدة عظيمة في الدعوة، تشبيه المحسوس بالمعقول وتشبيه المحسوس بالمحسوس، كما أن أسلوب التشبيه التمثيلي، وضرب الأمثال من أهم الأساليب المستخدمة في الدعوة إلى الله.

وبناءً على ذلك فإننا سنقسّم هذا الفصل إلى المباحث التالية:

**المبحث الأول:** التشبيه بالمحسوس في الدعوة إلى الله تعالى.

**المبحث الثاني:** التشبيه بالمعقول في الدعوة إلى الله تعالى.

**المبحث الثالث:** التشبيه بالمثل في الدعوة إلى الله تعالى.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،

ط ١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤ م، ص ٢٧٢/٢.

## المبحث الأول

### التشبيه بالمحسوس في الدعوة إلى الله

#### المطلب الأول: أثر تشبيه المحسوس بالمحسوس بالدعوة إلى الله:

كما أن تشبيهات القرآن الكريم احتوت في كثير في صورها، على تقريب المعقول بالمحسوس، فإن صوراً كثيرة أخرى وردت بتقريب المحسوس بالمحسوس، يعرف ابن القيم رحمه الله الأمثال في القرآن بقوله: (أمثال القرآن لا يعقلها إلا العالمون وأنها تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر)<sup>(١)</sup>.

فتشبيه المحسوس بالمحسوس استعمل كثيراً في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وهذا النوع من التشبيه له فائدة كبيرة، في الدعوة إلى الله، وفي هذا التشبيه يكون الطرفان المشبه والمشبه به حسيين مدركين بالحواس، وقد جرى بعض دارسي البلاغة على تقسيم المحسوسات بحسب الحواس الخمس، وتفصيل الشواهد عليها، ولكن ما يهمنا في هذا الدراسة هو إبراز أهمية هذا النوع من التشبيه في الدعوة إلى دين الله سبحانه وتعالى، وإظهار استعمال هذا الأسلوب في الكتاب والسنة.

إن استخدام هذا الأسلوب من التشبيه يدل على بقاء الصورة ضمن سمة الوضوح، ذلك أن ما تقع عليه الحاسة أوضح في الجملة مما لا تقع عليه، والمشاهد أوضح من الغائب، وما يدركه الإنسان بجواسه أوضح مما يعرفه من غيره<sup>(٢)</sup>، وانظر إلى قوله تعالى عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِكَ تُؤْمِنُ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰئِن لَّيُطَمِّنَنَّ قَلْبِي﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات

الأزهرية، مصر، القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص ١/١٥٠.

(٢) انظر علم أساليب البيان، غازي يموت، ص ١٠٢ والصورة بين البلاغة والنقد، أحمد بسام، المنارة للطباعة والنشر،

د.م، ط ١، ١٤٠٤هـ، ص ٣٤.

(٣) سورة البقرة: ٢٦٠.

---

---

فالمعاينة الحسية أدعى لإيضاح الحقائق، حين تقتضيهما البلاغة بالحسّ، تتأكدان وتتجليان. والتشبيه الحسيّ غاية التصوير للمرئيات والمسموعات بصورة خاصة وفي هذا النوع من التشبيه مهارة وبراعة وصدق؛ وذلك لاعتماده على الصور الحسية، فالصور الحسية أقوى في الدلالة على المعنى والإحساس به<sup>(١)</sup>.

وستناول في المطلب التالي، بعضاً من صور تشبيه المحسوس بالمحسوس التي جاء في الكتاب والسنة، منها تشبيهات نعيم أهل الجنة، وتشبيهات جهنم وأهلها، وتشبيهات أهوال يوم القيامة، وتشبيهات عقاب الله الذي أنزله على الكافرين.

---

(١) تأملات ابن القيم في الأنفس والأفانق، أنس عبد الحميد، دار الهدى للنشر، د.م، ط ١، د.ت، ص ٧٧ .

## المطلب الثاني نماذ من التشبيه بالمحسوس في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة

أولاً: تشبيهات نعيم أهل الجنة:

لقد وعد الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين في الآخرة داراً يتنعمون فيها جزاءً على طاعتهم وأعمالهم الصالحة في الدنيا وهي الجنة، والجنة هي دار السلام والنعيم الدائم المقيم الذي لا ينقطع ولا ينتهي، للمؤمنين فيها كل ما تشتهي أنفسهم، ولا هم فيها ولا حزن ولا تباغض، بل أهلها فرحون راضون مسرورون بما منَّ الله عليهم، فالجنة هي الفوز العظيم وهي الغاية التي يسعى إليها المؤمن.

لذلك فإن الكتاب والسنة فيهما ذكرٌ كثيرٌ لأحوال الجنة ونعيمها، ويستخدم القرآن الكريم والسنة المطهرة في كثير من المواضع أسلوب التشبيه في وصف أحوال أهل الجنة ونعيمهم، حتى تحنَّ إليها نفوس المؤمنين، فالجنة فيها النعيم المقيم، ففيها القصور والغرف والخيام، وفيها الحلي والفرش والأرائك، وفيها الحور العين والغلمان، وفيها الأشجار الفواكه والأثمار، وغير ذلك من صنوف النعيم التي نعلمها والتي لا نعلمها.

وقد وصف الله سبحانه في كتابه العظيم الكثير من صور نعيم أهل الجنة، وكذلك النبي الكريم عليه الصلاة والسلام في كثير من الأحاديث، وذلك لتحرك همم المؤمنين للفوز بجنات النعيم، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، والهدف من ذلك تشويق المؤمنين إلى ذلك النعيم المقيم، حتى يعرف الناس ما أعدَّ الله لعباده المؤمنين قياساً على ما يرونه من حولهم من النعيم في هذا الحياة الدنيا، وإن كان ما أعدَّه الله لعباده المؤمنين لا يقاس بنعيم الحياة الدنيا، ففي الحديث القدسي يقول ربنا سبحانه وتعالى: {أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر} (١).

وبما أن ما أعدَّه الله في جنات النعيم لعباده المتقين، فيه ما لم تره العيون ولم يخطر على القلوب، فإن نصوص الكتاب والسنة شُبِّهتْ مظاهر النعيم في الجنة بما تعرفه العقول وتأنس له النفوس، وذلك لتشويق العباد لما أعدَّ الله للطائعين في جنات الخلد.

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة الجنة وما جاء أنها مخلوقة، ١١٨/٤، برقم ٣٢٤٤.

## في آي رآن الكريم:

من التشبيه الذي جاء في وصف نعيم أهل الجنة وصف القرآن الكريم لجمال نساء أهل الجنة، وتشبيهه لحسنهن بما يتعارف الناس عليه من أصناف الجمال والحسن والكمال، وبما تشوق إليه نفوس الناس.

فقد شبه سبحانه الحور العين في الجنة باللؤلؤ المكنون، في قوله تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٣﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٤﴾ ﴾<sup>(١)</sup> ففي الآية تشبيه نساء أهل الجنة في صفاء بياضهن وحسنهن باللؤلؤ المصان في أصدافه فلم تمسه الأيدي، ولم تقع عليه الشمس والهواء فكان في نهاية الصفاء<sup>(٢)</sup>.

ومن التشبيه في ذلك وصف القرآن الكريم للهور العين اللواتي أعدهن الله لعباده المتقين، قوله تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتٌ آلْطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾<sup>(٣)</sup>.

فتصف الآية الكريمة (الحور العين في الجنة بأهن قد قصرن أبصارهن على أزواجهن فلا يمددنها إلى غيرهم لعفتهن وحياتهن، ولفرط محبتهن لأزواجهن، كما وصفهن باتساع العيون وحسنها، ففي هذه الصورة التشبيهية الرائعة شبه القرآن الكريم نساء الجنة ببيض النعام المكنون فلم تمسه الأيدي، ولم يصبه الغبار لحسنه وصفائه ورونقه)<sup>(٤)</sup>.

وفي آية أخرى وصفهن الله سبحانه بالياقوت والمرجان في قوله تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَصِيرَاتٌ

آلْطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٥٥﴾ فَبِأَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٥٦﴾ كَأَنَّهُنَّ

آلْيَاقُوتٌ وَآلْمَرْجَانُ ﴿٥٧﴾ فَبِأَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٥٨﴾ ﴾<sup>(٥)</sup> فالنساء في جمالهن وصفاء ألوانهن والوجوه المشربة بالحمرة كأهن الياقوت في صفاء لونه، والمرجان في حمرة الدافئة.

(١) سورة الواقعة: ٢٢-٢٣.

(٢) انظر التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، واجدة الاطرقجي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، د. ط، ١٩٧٨م، ص ٢٣٣.

(٣) سورة الصافات: ٤٨-٤٩.

(٤) التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، واجدة الاطرقجي، ص ٢٣٣.

(٥) سورة الرحمن، الآيات: ٥٦ - ٥٩.

لقد شبهت الآيات الكريمة نساء أهل الجنة ببيض النعام، واللؤلؤ المكنون والياقوت والمرجان وكل هذه الأمور حسية معروفة عند الناس بجمالها وحسنها ونفاستها، ولو تأملنا في الآيات لوجدناها تعمل على إظهار جمال الحور العين والإبداع في تصوير حسنهن من خلال صورة التشبيه، فهنَّ ببيض النعام ذو اللون الأبيض المشوب بصفرة، وذاك أجمل وأحسن ألوان النساء، والبيض قد كنَّ وُسْتَرٌ فلا يصل إليه غبار، ووصفهن أيضاً باللؤلؤ المكنون والياقوت والمرجان، والنفس شديدة الرغبة في هذه الأنواع الكريمة وتلك الأحجار النفيسة وشديدة الحرص عليها، وذاك عامل نفسي قوي يجبُّ هؤلاء النساء، ويعلى شأنهنَّ في نفس المؤمن<sup>(١)</sup>.

والتشبيه باللؤلؤ والمرجان لما قد عرف عن العرب من أنهم يستعملونه كوسيلة للزينة النفسية، وهو معروف بالنعومة واللمعان، وكانوا ينظرون إلى هذه الجواهر على أنها ثمينة ونادرة، لا يراها إلا ذوو الفضل والنعمة، ولهذا شُبِّه بها الحور العين في الجنة لجمالها وتعلق النفوس بها، وكذلك حال المؤمنين يحرصون بغاية النعم، وبأحلى المنن في جنات الخالدة<sup>(٢)</sup>. (ولعلَّ الصورة التشبيهية التي وضَّحت المعنى المراد من الجمال والبهاء، قد عقدت صورةً حسيةً كاملة الأبعاد حتى أصبح الطرفان في الصورة واضحين في مجال التشبيه من حيث البهاء والصفاء)<sup>(٣)</sup>.

والقرآن الكريم حين يشبِّه محسوساً بمحسوس، يرمي أحياناً إلى رسم الصورة كما تحسَّ بها النفس، ففي قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾<sup>(٤)</sup>، هذه الجبال تصور للعين الأمواج الضخمة، كما تصوِّر لنا ما يحسُّ به ركاب هذه السفينة، كما يرمي أحياناً إلى اشتراك الطرفين في صفة محسوسة، ولكن للنفس كذلك نصيبها في اختيار المشبه به الذي له تلك الصفة، ففي قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْثِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾<sup>(٥)</sup> ليس

(١) انظر من بلاغة القرآن، محمد شعبان علوان، نعمان شعبان علوان، الدار العربية للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١٥٣.

(٢) انظر التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، واجدة الاطرقجي، ص ١٢٨.

(٣) القرآن المعجزة الكبرى، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، مصر، د.ط، ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م، ص ٢٥٥.

(٤) سورة هود: ٤٢.

(٥) سورة الواقعة: ٢٢ - ٢٣.

اللؤلؤ المكنون لونا فقط، وإنما هو لون صافٍ حيٌّ فيه نقاء وهدوء، وهي أحجار كريمة، تصان ويحرص عليها، وللنساء نصيبهن من الصيانة والحرص، وهنَّ يتخذنَّ من تلك الحجارة زينتهنَّ، فقربت الصلة واشتد الارتباط، الصلة من حيث الرفق والحذر الذي يجب أن يعامل بها كلاهما<sup>(١)</sup>.

### في سنة النبي ﷺ :

ومن ذلك وصفه عليه السلام لوجوه أهل الجنة بأنها على صورة القمر ليلة البدر، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: {ليدخلنَّ الجنة من أمي سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر}<sup>(٢)</sup>. يخبر النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث (أنَّ أقواماً من أمته يدخلون الجنة عن آخرهم، ويشبّه وجوههم بالقمر ليلة البدر، وليلة البدر هي ليلة تمامه وكمالها في الحسن والإضاءة، والتشبيه بالقمر إنما يراد به الملاحمة، ولهذا يمثّل للمرأة الحسناء بأنها بدر، فلا أحسن من هذا المنظر، وفي هذا التشبيه حثٌّ للمؤمنين على طاعة الله والعمل الصالح، ليكونوا من أهل الجنة، وتشبيه صور أهل الجنة بالقمر ليلة البدر هو تقريب لما عرفه الناس وعينوه من الجمال والحسن والكمال، قال القرطبي: المراد بالصورة الصفة يعني أنهم في إشراق وجوههم على صفة القمر ليلة تمامه وهي ليلة أربع عشرة، ويؤخذ منه أن أنوار أهل الجنة تتفاوت بحسب درجاتهم)<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث آخر، يتحدّث النبي ﷺ عن درجات أهل الجنة، وكيف يتراءون في الجنة، فيقول: {إنَّ أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرّي الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين}<sup>(٤)</sup>. (فإنَّ الله سبحانه جعل الجنة درجات بعضها أعلى من بعض، فأهل الجنة تتفاوت مراتبهم ودرجاتهم، فشبهه ﷺ حال غرف أهل الجنة وبُعدها عن بعض وما بينها من

(١) انظر التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، واجدة الأطرقي، ص ١٢٨.

(٢) صحيح البخاري، باب بدء الخلق، كتاب صفة الجنة وما جاء أنها مخلوقة ٤/١١٨، برقم ٣٢٤٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ٤١٣/١١.

(٤) صحيح البخاري، باب بدء الخلق، كتاب صفة الجنة وما جاء أنها مخلوقة، ٤/١١٩، برقم الحديث ٣٢٥٦.

المسافات ورؤيتها بعيدة برؤية الكوكب الدرّي في المشرق أو المغرب، والمعنى أنّ أهل الجنة تتفاوت منازلهم بحسب درجاتهم في الفضل، حتى إنّ أهل الدرجات العلا ليراهم من هو أسفل منهم، كما يتراءى الناس في الدنيا الكوكب الدرّي، أي: لصفاء لونه ونوره وعلوّ ظهوره<sup>(١)</sup>. فيشبهه النبي عليه الصلاة والسلام النظر للمؤمنين في الدرجات العليا في الجنة، بالنظر في الدنيا إلى الكواكب المضيئة في السماء، وصورة التشبيه توحى بالرفعة والنقاء والإشراق.

ويخبر النبي ﷺ في حديث آخر عن فضل الآخرة على الدنيا، فعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: {موضع سوط في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها، ولغدوة في سبيل الله أو روحة خيرٌ من الدنيا وما فيها}<sup>(٢)</sup>.

شبه النبي ﷺ موضع السوط، وهو موضع بسيط في اتساعه، وهذا الموضع البسيط من الجنة خير من الدنيا وما فيها، قال المناوي: (حُصَّ السوط بالذكر؛ لأن من شأن الراكب إذا أراد التزول في منزل أن يلقي سوطه قبل أن يتزل، معلما بذلك المكان الذي يريده لئلا يسبقه إليه أحد)<sup>(٣)</sup>.

وإذا كان هذا الفضل في موضع سوط من الجنة، فما ظنك بجنة عرضها كعرض السموات والأرض أُعدَّت للمتقين، قال القرطبي: (قوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَّعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾<sup>(٤)</sup>)، وهذا بالنسبة إلى ذاتها، وأمّا بالنسبة إلى الآخرة فلا قدر لها ولا خطر، وإنّما أورد ذلك على سبيل التمثيل والتقريب وإلا فلا نسبة بين المتناهي وبين ما لا يتناهي<sup>(٥)</sup>. فالنبي ﷺ، حتى يبيّن للمؤمنين عظمة الجنة التي أَعَدَّها الله لهم، قَرَّبَ لهم هذا المعنى بأمرٍ مادي معتاد لديهم يقيسون عليه، وكل ذلك دعوة وترغيب للمؤمنين ليعملوا بعمل أهل الجنة ليكونوا من أهلها المفلحين.

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ملا علي القاري، دار الكتب العلمية، ت: جمال العتيابي، ط ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ص ٢٣٢/١٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب مثل الدنيا في الآخرة، ٨/٨٨، برقم ٦٤١٥.

(٣) فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، د. ط، ١٤١٥هـ — ١٩٩١م، ص ٣٢١/٦.

(٤) سورة النساء: ٧٧.

(٥) فتح الباري، ابن حجر، ص ٢٣٢/١١.

وقريبٌ من هذا التشبيه ما رواه المستورد بن شدّاد عن النبي ﷺ قال: {والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع} (١).

فالنبي عليه الصلاة والسلام يشبّه حجارة الدنيا بجانب عظمة الآخرة في المدة والمقدار، بالماء الذي يعلق في الإصبع إذا غمسه المرء في البحر، فهذا مثل الدنيا، والآخرة كسائر البحر. وهذا تشبيه تقريبي، وإلاً فأين المناسبة بين المتناهي وغيره، والمراد: أن نعيم الدنيا بالنسبة لنعيم الآخرة في المقدار كذلك، أو ما الدنيا في قصر مدتها وفناء لذتها بالنسبة للآخرة في دوام نعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالأصابع إلى باقي البحر (٢).

### ثانياً: التشبيهات في وصف النار وأهلها:

كما أعدّ الله لعباده المؤمنين دار النعيم المقيم، فكذلك أعد للكافرين والعصاة دار العذاب الأليم، فقد خلق الله تعالى النار وجعلها مقراً لأعدائه المخالفين لأمره، وملاًها من غضبه وسخطه، وأودعها أنواعاً من العذاب الذي لا يطاق، وحذّر عباده، وبين لهم السبل المنجية منها لئلا يكون لهم حجة بعد ذلك، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٣).

### في القرآن الكريم:

وجاء وصف جهنم في القرآن الكريم في الكثير من الآيات، وشبّهت الآيات عذاب جهنم الشديد، تخويفاً للناس وترهيباً من سوء المصير، ومن الآيات التي جاء فيها وصف عذاب جهنم قوله سبحانه: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿١٠٠﴾ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ ﴿١٠١﴾﴾ (٤).

تصف الآية الكريمة (نار جهنم بأنه يتطاير منها شرر متفرق، كل شرارة من شررها التي ترمي بها كالقصر في العظم والارتفاع، وكالإبل الصفر في اللون والكثرة والتتابع

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، ص ١٥٦/٨، برقم ٧٣٧٦.

(٢) انظر فيض القدير، المناوي، ٤٦٥/٦.

(٣) سورة البقرة: ٢٤.

(٤) سورة المرسلات: ٣٢ - ٣٣.

وسرعة الحركة<sup>(١)</sup> إذ هذا من شأن هذه الإبل عند اجتماعها واضطراب أمرها، وهذه كلها أمور حسية ومغزى التشبيه بالشر هو التأكيد والتخويف من النار التي ترمي بهم تعظيماً لشأنها وإرهاباً للكافرين من سطوتها<sup>(٢)</sup>.

في سنة النبي ﷺ :

في أحاديث النبي ﷺ وصف مفصّل لصور العذاب في جهنم، فهو عليه الصلاة والسلام قد عرضت عليه الجنة والنار، ورأى ما أعدّه الله لأهل النار من العذاب، ومن الصور التي نقلها النبي ﷺ عن حال أهل النار قوله: {ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث} <sup>(٣)</sup>.

وهذه الرواية بيّنت لنا فيها عليه الصلاة والسلام (الحال التي يصير إليها جسم الكافر من بشاعة وعظم خلقه ليزداد في التعذيب والإيلام، وكيف سيكون شكله وهيئته وجسمه، فشبه النبي ﷺ ضرس الكافر، أو نابه بجبل أحد، وهو جبل عظيم في المدينة، والمقصود بأنه كأحد في المقدار والحجم؛ وذلك لكونه أبلغ في إيلامه)<sup>(٤)</sup>، أمّا جلده فهو مسيرة ثلاثة أيام وإنما جعل كذلك لأنّ عظم جسده تضاعف في إيلامه، فجلده سيصبح عظيماً في الحجم وسيتم حرقه وإعادةه كلما نضج، وفي كل مرة يتم تغييره قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ <sup>(٥)</sup>.

فقد ضحّم الله سبحانه أجسام الكفار نكايّة بهم، وزيادة لهم في الشقاء والعذاب، وإنما عظم الله أجسامهم؛ لأنّها وقود النار التي بها تتقد، والعقل يعجز عن تصوّر هذا الشكل الرهيب العظيم، ولذلك فإنّ النبي عليه الصلاة والسلام قد استعمل هذا التشبيه تقريباً

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط ٢،

١٤١٨هـ، ص ٣٢٦/٢٩.

(٢) انظر القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، عالم الكتب، ط ٢، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص ٥٠.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون الجنة يدخلها الضعفاء، ١٥٣/٨، برقم ٧٣٦٤.

(٤) فيض القدير، المناوي، ٣٣٥/٤.

(٥) سورة النساء: ٥٦.

للصورة إلى أذهان الناس، والتشبيه بين أمرين حسيين، ضرس الكافر وجبل أحد، والغرض من هذا التشبيه بيان مقدار العذاب الذي سيلحق بالكافر في جهنم والعياذ بالله تعالى.

### ثالثاً: التشبيهات في وصف أهوال يوم القيامة:

تحدّث القرآن، والسنة المطهرة عن أهوال يوم القيامة التي تشده الناس وتزلزل قلوبهم، وقال تعالى في وصف هول ذلك اليوم: (يوماً يجعل الولدان شيباً)، فوصف سبحانه في كتابه الكريم يوم القيامة وأهواله، والنار وعذابها، وأحوال المجرمين في ذلك اليوم الرهيب، ومن أعظم تلك الأهوال ذلك الدمار الكوني الشامل الرهيب الذي يصيب الأرض والسماء والكواكب، فشُبّهت الآيات والأحداث أهوال ذلك اليوم، وما ستصير إليه المخلوقات المختلفة في ذلك اليوم المهول، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۖ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۖ﴾<sup>(١)</sup> قال الرازي عند تفسيره لهذه الآية: (هنا تشبيه السماء بالمهل، وقد فسّر المهل بالرصاص المذاب، وعكر القطران، والفضة إذا أذيت)<sup>(٢)</sup>، وشبّهت الآية الجبال يومئذ بالعهن وهو الصوف المنفوش، وإنما وقع التشبيه به؛ لأن الجبال جدد بيض وحممر مختلف ألوانها وغرايب سود، فإذا بُسّت وطيّرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح<sup>(٣)</sup>.

فالآيات الكريمة شبّهت التغيّرات الكونية المادية التي ستحصل يوم القيامة بالأموار المحسوسة، فتصوّر الآيات ذلك المشهد العظيم للناس، حيث ستكون السماء كالزيت المغلي، أو المعادن المذابة على مهل، والعرب تذكر تغيير السماء في شدة الأمر وصعوبته حسبما يعهدونه من أحوالهم من الجذب والحرب ونحو ذلك، وتكون الجبال بألوانها المختلفة كالصوف الملون، فإذا طارت في الجوّ أشبهت الصوف المنفوش إذا طيرته الرياح، والمراد أنّ الجبال في ذلك اليوم تتهافت من خشية الله، وتنهار خشوعاً لقدرته، وما ظهر من أمره فتشبيه السماء بالمهل والجبال بالعهن كلاهما حسّي<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة المعارج: ٨-٩.

(٢) مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ٢٥/١٦.

(٣) انظر المصدر السابق ٢٥/١٦.

(٤) انظر القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص ٤٩.

ومن مشاهد يوم القيامة قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾<sup>(١)</sup>.

فقد شبه سبحانه (انشقاق السماء بانشقاق الورد، والوردة تنشق من أعلاها حين يفتح برعومها)<sup>(٢)</sup>. فإذا جاء يوم القيامة، انصدعت السماء، وتبددت وصارت كوردة حمراء، وذابت مثل الدهن، أو تلونت كالجلد الأحمر، والمراد أنها تذوب كما يذوب الزيت، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها، فتارة حمراء، أو صفراء، أو زرقاء، أو خضراء، وذلك من شدة الأمر، وهول يوم القيامة<sup>(٣)</sup>، والوردة تكون في الربيع أميل إلى الصفرة، فإذا اشتدَّ البرد كانت وردة حمراء، فإذا كان بعد ذلك كانت وردة أميل إلى الغبراء، فشبه تلون السماء حال انشقاقها بالوردة، وشبَّهت الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه، والمشبه والمشبه به كلاهما حسي، أي من قبيل تشبيه المحسوس بالمحسوس<sup>(٤)</sup>.

وفي مشهد آخر من مشاهد أهوال يوم القيامة، يصف ربنا حال الجبال، ويشبه سيرها بسير السحاب، فيقول سبحانه: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنَّعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾<sup>(٥)</sup>.

(فوقت النفخة تنظر إلى الجبال تظنها ثابتة في مكانها لعظمتها وهي تمرّ مرّ السحاب أي في السرعة؛ لأن الأشياء الكبار إذا تحركت في سمت واحد، فلا تكاد تتبين حركتها)<sup>(٦)</sup>. إن الجبال من هول ذلك اليوم تزول من مواضعها فلا يكون لها ثبات، وإنما تمرّ في الجو مر السحب التي تسيّرهما الرياح سيراً حثيثاً، وذلك تعبير عن شدة الأمر وهول الموقف عند النفخ في الصور وبعث الأموات. ورغم سيرها إلا أنك تحسبها جامدة غير زائلة؛ لتناسب

(١) سورة الرحمن: ٣٧.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٧٩/١٣.

(٣) انظر التفسير المنير، الزحيلي، ٢٧/٢١٨.

(٤) انظر الجدول في إعراب القرآن، محمود بن عبد الرحيم صافي، دار الرشيد، دمشق، ط ٤، ١٤١٨ هـ، ص ١٠٠/٢٧ وأسباب السلامة من أهوال القيامة، طه العفيفي، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط ١، ١٤٠٣ هـ، ص ١٣٠.

(٥) سورة النمل: ٨٨.

(٦) التفسير المنير، الزحيلي، ٢٠/٤٠.

سيرها، واستواء مدها، فحركة الجبال والسحاب مما يقع تحت الحس<sup>(١)</sup>.

وفي مشهد جديد لأهوال اليوم الآخر يصف القرآن الكريم حال الكافرين، فيصفهم بالجراد المنتشر، قال سبحانه: ﴿ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ تَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ

﴿ ٧ ﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿ ٨ ﴾ ﴾<sup>(٢)</sup>.

تصف الآية الكريمة حال أولئك الكفار في ذلك اليوم، ذليلة أبصارهم ينظرون بذلّ وهوان، يخرجون من القبور على هذه الحال من الذلّ، كأنهم لكثرتهم واختلاطهم وانتشارهم وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب إجابة للداعي جرادٌ منتشر منبث في الآفاق، مختلط بعضه ببعض<sup>(٣)</sup>.

ووصف سبحانه حال الناس في ذلك الموقف العظيم فشبههم بالفراش المبتوث، قال سبحانه: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿ ٤ ﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿ ٥ ﴾ ﴾<sup>(٤)</sup>.

(تشبه الآية الناس يوم القيامة بالفراش المبتوث ووجه الشبه بينهم، الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطير إلى الداعي من كل جانب، كما يتطير الفراش إلى النار)<sup>(٥)</sup>. والفراش هو الطير الدقيق الذي يتهافت على النار حتى يحترق، فقد شَبَّهت الآية الناس يوم القيامة وتطيرهم إلى الداعي حين يدعوهم إلى المحشر بالفراش المتطير إلى النار في كثرتهم وانتشارهم وذلتهم وضعفهم واضطرابهم<sup>(٦)</sup>.

وقيل: (يكونون أولاً كالفراش حين يموجون فزعين لا يهتدون أين يتوجهون؛ لأنّ الفراش لا جهة لها تقصدها، ثمّ كالجراد المنتشر إذا توجّهوا إلى المحشر فهما تشبيهان باعتبار

(١) انظر القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص ٤٥.

(٢) سورة القمر: ٧ - ٨.

(٣) انظر التفسير المنير، الزحيلي، ١٥٠/٢٧.

(٤) سورة القارعة: ٤-٥.

(٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، ت: مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م، ص ٤٨/٤.

(٦) انظر القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص ٤٧.

وقتين<sup>(١)</sup> فتشبيهه الناس عامة بالفراش المبتوث، وتشبيه الكافرين بالجراد المنتشر، من تشبيهه المحسوس بالمحسوس.

#### رابعاً: التشبيهات في وصف عقاب الله للكافرين:

من سنة الله في هذا العالم أن يمدد للظالمين مدداً، ثم إذا أصرّوا على كفرهم واستكبارهم يتزل عليهم عذاباً أليماً من عنده سبحانه، فقد أهلك قوم لوط بالصيحة، وقوم عاد بالريح العاتية، وقوم نوح بالطوفان، وفرعون وقومه بالغرق، وقارون وداره بالخسف.

وقد وصف الله سبحانه في كتابه أحوال هذه الأمم عند نزول العذاب عليها، وشبّه العذاب الذي حلّ بهم، تخويفاً للناس من سوء العاقبة، وإنذاراً لهم من نفس المصير، ومن ذلك وصفه سبحانه للعذاب الذي أرسله على قوم عاد، وما أصبح عليه حالهم بعد تعرّضهم لعذاب الله وسخطه: قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

يصف الله سبحانه في الآية الكريمة العذاب الذي أنزل على قوم عاد، ويشبّه حالهم بعد تعرّضهم لعذاب الله حين أرسل عليهم ريحاً صرصراً، فشبّههم سبحانه بأعجاز النخل، وشبّهوا بأعجاز النخل؛ لأنّ الريح كانت تقطع رؤوسهم فتبقى أجساداً بلا رؤوس فيتساقطون على الأرض أمواتاً كأنهم أعجاز نخل، وهي أصولها بلا فروع، ويزيد هذا التشبيه حسناً، أنهم كانوا ذوي جثث عظام طوال<sup>(٣)</sup>.

والتشبيه بالنخل في الآية الكريمة مما يوضّح الغرض، ويقرب الصورة لقرب المشبه به ووضوحه في أذهانهم ووقوعه تحت حواسّهم، فالنخل شامخ متعال منتصر متمسك بالأرض فقد فرقت جذوره بعيدة في الأرض فعل الإنسان في هذه الدنيا يتعالى ويتكبر ويتسامى على منّ حوله، ويبثّ صلاته بعيداً في أرض حتى لكأنه خالداً عليها، حتى إذا ما جاء أمر الله وقع على الأرض صريعاً كأنه أعجاز النخل الخاوية، وشبّهوا بالنخلة الخاوية؛ لأنها تبدو قوية

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص ٥٨/٢٠.

(٢) سورة القمر: ١٨-٢٠.

(٣) انظر مدارك التنزيل، النسفي، ص ٣/٣٧٩ و روح المعاني، الالوسي، ص ٧٤/٢.

ظاهرها صلب وباطنها خوار، وقال تعالى أعجاز النخل؛ لأنها أعجاز فقط فلا فروع ولا أغصان قد انقطع عنها كل ما كان متصلاً بها في الحياة، أعجاز حاوية صرعى أمام إرادة الله ومشيعته<sup>(١)</sup>. (وتشبيه القوم بأعجاز النخل من تشبيه المحسوس بالمحسوس، فقد شبههم القرآن حين تقتلع الريح رؤوسهم عن أجسادهم فتجعلهم بلا رؤوس بأعجاز النخل المقتلع من مغارسه، فالطرفان حسيان)<sup>(٢)</sup> (وهذا التشبيه قد أخرج ما لم تجر به عادة إلى ما قد جرت به، فقد شبه الأمر غير المعتاد بما جرت به العادة والمعروف ببلاد العرب)<sup>(٣)</sup>، وفي الآية دلالة على عظيم القدرة، والتخويف من تعجيل العقوبة.

ومن صور التشبيه في العذاب الواقع على الكافرين، وصف العذاب الذي أنزله الله على قوم أبرهة حين قدموا لهدم الكعبة المشرفة، فأنزل الله عز وجل عليهم العذاب، وأرسل عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فشبه حالهم بعد تعرضهم للعذاب بالعصف المأكول.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾<sup>(٤)</sup>.

(فقد شبه سبحانه أصحاب الفيل، بعد أن سلط الله عليهم جماعات الطير ترميهم بقذائف من الحجارة حتى أهلكهم الله، شبههم بالعصف المأكول وهو قشر البر بعد نزع الحب منه لخلوه من ثمره وتطاييره، أو بالتبن الذي أكلته الدواب وراثته، فشبه تفرق أجسامهم بتفرق أجزاء الروث الذي تروثه الدواب)<sup>(٥)</sup> فالمشبه هو أصحاب الفيل والمشبه به هو العصف المأكول، وهو من تشبيه المحسوس بالمحسوس.

(١) انظر التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، واجدة الأطرقي، ص ١٦٢.

(٢) من بلاغة القرآن، محمد شعبان علوان، نعمان شعبان علوان، ص ١٥٢.

(٣) دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن، عبد العزيز الحناوي، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، د.ط، ١٩٨٤م، ص ١٥٦.

(٤) سورة الفيل: ١-٥

(٥) الجدول في إعراب القرآن، محمود بن عبد الرحيم صافي، ٣٠/٤٠٨.

ومن وصف صور العذاب التي أنزلها الله على الكافرين المعاندين، قوله تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿٧﴾ وَلَا يَسْتَتِنُونَ ﴿٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿١٠﴾ ﴾<sup>(١)</sup>.

قال القرطبي: (يخبر الله سبحانه عن أهل مكة أنه ابتلاهم واختبرهم، وأعطاهم أموالاً؛ ليشكروا لا ليطروا، فلما بطروا وعادوا محمداً ﷺ ابتلاهم بالجوع والقحط، كما ابتلى أهل الجنة المعروف خبرها عندهم، وذلك أنها كانت بأرض اليمن بالقرب منهم على فراسخ من صنعاء وكانت لرجل يؤدّي حقّ الله تعالى منها، فلما مات صارت إلى ولده، فمنعوا الناس خيرها وبخلوا بحقّ الله فيها، فأهلكها الله من حيث لم يمكنهم دفع ما حل بها)<sup>(٢)</sup>.

فشبّهت الآية جنتهم بالصريم، وهو الليل البهيم في احتراقها وسوادها، وسمي الليل صريماً؛ لأنه يصرم أي يقطع عن التصرف، فالجنة هي البستان، والصريم سواء أردنا به الليل أو البستان الذي لا ثمر فيه كلاهما حسّي<sup>(٣)</sup>.

وبعد وصف القرآن الكريم صور العذاب التي أنزلها الله بالكافرين من الأمم السابقة، ترى بعض الكفار يستهزئون بعذاب الله ويستعجلونه، إمعاناً في الكفر والتكذيب والعناد، قال تعالى: ﴿ وَدَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ تُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ<sup>٤</sup> وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

قال الرازي رحمه الله: (الوعد بالعذاب إذا كان في الآخرة دون الدنيا فاستعجاله يكون كالحلف، ثم بين أن العاقل لا ينبغي أن يستعجل عذاب الآخرة فقال: (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ) يعني فيما ينالهم من العذاب وشدّته (كَأَلْفِ سَنَةٍ) لو بقي وعذب في كثرة الآلام وشدتها، فبين سبحانه أنهم لو عرفوا حال عذاب الآخرة وأنه بهذا الوصف لما استعجلوه،

(١) سورة القلم: ١٧-٢٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ت: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط ٢، ١٣٧٢هـ، ٢٣٩/١٨.

(٣) انظر القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص ٤٩.

(٤) سورة الحج: ٤٧.

وإنَّ اليومَ الواحدَ وألفَ سنةٍ بالنسبةِ إليه على السواء؛ لأنه القادر الذي لا يعجزه شيء، فإذا لم يستبعدوا إمهالَ يومٍ فلا يستبعدوا أيضاً إمهالَ ألفِ سنةٍ<sup>(١)</sup>.

فيومٍ واحدٍ من أيام العذاب عند الله لهؤلاء الكافرين في الثقل والاستطالة كألف سنة من السنين التي يعرفها هؤلاء الكافرون، فكيف يستعجلون بالعذاب لولا أنهم على جهل عظيم.

في سنة النبي ﷺ :

أولاً: الزهد في الدنيا

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكي وقال: {كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل}<sup>(٢)</sup>.

قال الكشميري: (الغريب مَنْ هو في دار الغربة، وعابر سبيل مَنْ هو في قطع السبيل)<sup>(٣)</sup> فالنبي ﷺ يوجّه نصيحة للمؤمن ألاّ تركز إلى الدنيا ولا تتخذها وطناً، ولا تحدّث نفسك بطول البقاء فيها، ولا بالاعتناء بها، ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب في غير وطنه ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله<sup>(٤)</sup>.

قال ابن بطلال: (الغريب قليل الانبساط إلى الناس، بل هو مستوحش منهم؛ إذ لا يكاد يمرّ بمن يعرفه مستأنس به، فهو ذليل في نفسه خائف، وكذلك عابر السبيل لا ينفذ بسفره إلا بقوته عليه وتخفيفه من الأثقال، غير متشبّث بما يمنعه من قطع سفره، معه زاده وراحلته يبلغانه إلى بغيته من قصده، شبهه بهما، وفي ذلك إشارة إلى إثارة الزهد في الدنيا وأخذ البلغة منها والكفاف، فكما لا يحتاج المسافر إلى أكثر مما يبلغه إلى غاية سفره، فكذلك لا يحتاج المؤمن في الدنيا إلى أكثر مما يبلغه المحل)<sup>(٥)</sup>.

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ص ١١/١٣١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: كن في الدنيا كأنك غريب، ص ٨/٨٩، برقم ٦٤١٦.

(٣) فيض الباري شرح البخاري، محمد أنور الكشميري، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٧/٢١٩.

(٤) شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، مدار الوطن للنشر، ١٤٢٦هـ، ص ١/٥٣٤ وفتح الباري، ابن حجر، ص ١١/٢٣٤.

(٥) شرح ابن بطلال على صحيح البخاري، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط ٢،

١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م، ص ١٩/١٩٧.

فالعريب وعابر السبيل لا يتعلّقان في دار الغربية بما يثقلهما عن السفر أو يعوقهما عن المضي، زاهدان في أكثر مما يبلغهما المحل من زاد وثوب ومركب؛ لأنّ في الزيادة مغرماً يشقُّ عليهما وإنما يحرص على مثل ذلك المقيم، وهذه حال يعرفها ابن عمر ويعرفها كل الناس؛ لأنّها من المقرّر المحسّ والمكرر المعلوم<sup>(١)</sup>.

عن علقمة عن عبد الله قال: { نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثار في جنبه فقلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء؟ فقال: مالي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظل تحت شجرة، ثمّ راح وتركها }<sup>(٢)</sup>.

النبي ﷺ هو أزهّد الناس في هذه الدنيا، وأكثرهم رغبةً في الآخرة، وأشدّهم اجتهاداً في عبادة الله، والذي يقرأ سيرته عليه الصلاة والسلام يلحظ زهده في هذه الدنيا، في معيشته ومأكله وملبسه، وإنّ المرء ليقف متعجباً أمام ما يذكره علماء السير من وصف لبيوت النبي ﷺ وقلة متاعها من الأثاث ونحوه، وما ذلك إلا زهداً في الدنيا وإعراضاً عنها، ولم يترك ﷺ عند موته درهماً ولا ديناراً ولا عبداً ولا أمة، ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء، وسلاحه وأرضاً جعلها صدقة<sup>(٣)</sup>.

(وفي هذا الحديث تظهر نظرتَه عليه السلام إلى متاع الدنيا ونعيمها، فهو يشبّه نفسه بالمسافر النازل في أثناء سفره تحت شجرة يطلب ظلّها من حرّ الشمس، ثم إذا ذهبَت الشمس سار بعد الزوال وتركها، ووجه الشبه بينه عليه السلام وبين هذا المسافر سرعة الرحيل وقلة المكث)<sup>(٤)</sup>.

ففي الحديث دعوة إلى ترك الاهتمام بعمارة الدنيا، والانشغال بلوها وزينتها؛ وذلك لأنّ الدنيا ليست دار قرار، إنما هي دار عمل يتزوّد منها المسلم لآخرتَه، فالإنسان فيها بمثابة المسافر، الذي يتزوّد لمتابعة سفره الطويل.

(١) انظر الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، عز الدين السيد، ص ١٣٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الزهد، ص ٥٨٨/٤، برقم ٢٣٧٧.

(٣) انظر تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، ص ٢٩٩/٦. تزكية النفوس وتربيتها كما يقرّره علماء السلف، أحمد فريد، دار القلم، بيروت، د.ط، د.ت، ص ٦٣.

(٤) فيض القدير، المناوي، ص ٥٩٣/٥.

## ثانياً: السمع والطاعة للوالي

عن أنس رضي الله عنه قال : قال الرسول ﷺ: (اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبداً حبشياً كأن رأسه زبيبه ما قام كتاب الله تعالى)<sup>(١)</sup>.

يريد الرسول ﷺ أن يبين المقياس الحق للوالي الذي يجب له السمع والطاعة دون النظر إلى اعتبار آخر، أمّا ما يوجب هذا الحق هو أن يقيم الوالي كتاب الله فيمن ولي عليه فيحلّ ما أحلّه، ويحرّم ما حرّم ويوجب ما أوجب، ويسير على هدى الله.

يشبّه النبي ﷺ في الحديث رأس هذا الوالي بالزبيبة، قال ابن حجر: (قيل شبّه بذلك لصغر رأسه، وذلك معروف في الحبشة، وقيل لسواده، وقيل لقصر شعر رأسه وتفلفله)<sup>(٢)</sup>.

وهذا التشبيه الدقيق يرسم في رؤوس المسلمين صورة لا تنسى في طاعة الوالي كلما نظروا إليه اقترنت صورته بما فرضت نفوسهم عنه ما كان مقيماً لكتاب الله فيهم، وليس الرسول ﷺ حاقراً بذلك أحد، وهو الذي جاء بفكّ الرقاب، ومحو الرق وإثبات الأخوة والمساواة بين الأبيض والأسود، والعربي والأعجمي، فلا مفاضلة إلا بالتقوى، وإنما هي المجارة الأسلوبية لمألوف العربي والناس، وقد جاءت العبارة لإثبات الحق بالسمع والطاعة لا لفيه وإقامة الكتاب في معنى التقوى التي لا تحصل إلا كرمية والتفاضل بها فإن اتقى الناس أولادهم في إقامة كتاب الله سبحانه<sup>(٣)</sup>.

## ثالثاً: الأخوة بين المؤمنين.

ويشبّه النبي ﷺ المؤمن بالمرأة بالنسبة لأخيه المؤمن، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: {إنَّ أحدكم مرآه أخيه، فإن رأى به أذى فليمطه عنه}<sup>(٤)</sup>.

يشبّه النبي ﷺ المؤمن في مقابلة أخيه المؤمن بالمرأة، فالمؤمن ناصح لأخيه المؤمن، وينبغي أن يكون له مثل المرأة، فإنّ الإنسان إذا وقف أمام المرأة عرف ما فيه من عيوب وخلل؛ لأنه رآه بنفسه، والإنسان لا يرى عيوب نفسه الظاهرية إلا إذا وقف أمام المرأة،

(١) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ص ٦٢/٩، برقم ٧١٤٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ص ٣٢/٣.

(٣) انظر الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، عز الدين السيد، ص ١٤٢.

(٤) صحيح الترمذي، كتاب البر والصلة، باب شفقة المسلم على المسلم، ص ٣٢٥/٤، برقم ١٩٢٩.

لكن غيره يستطيع أن يراه، فهو ينبهه على عيوبه ونقائصه وينصحه، ويكون عوناً له على الخير والطاعة والحق، فتشبيه المؤمن بالمرأة لأخيه المؤمن هو من التشبيه الحسي، فيما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون في التناصح والتواصي بالحق.

فالمرأة لا تكذب الرأي، وهذا التشبيه يستلزم وجوب الصدق في الناصح المشبه بالمرأة، ووجوب التصديق بالمنصوح الذي لا يتهم مرآته، وقد أمر المؤمن الناصح أن يميظ الأذى عن أخيه المنصوح..... لأن جمال المرأة ووجه كمالها هو جمال ما ينعكس عليها من الصور وكماله، ومادام المؤمن الزكي مرآة حيّة تملك تجميل ما يطبع على وجهها فهو لا يرضى النقص<sup>(١)</sup>.

#### رابعاً: التبرّج عند النساء.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤؤسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا}<sup>(٢)</sup>.

الحديث الشريف يتحدّث عن صنفين من أهل النار، الصنف الأول قوم يحملون سياطاً يضربون بها الناس، شبّهها النبي ﷺ بأذناب البقر، والغرض من التشبيه وصف المشبه للتنفير والتحقير، وهذه السياط تسمى في ديار العرب بالمقارع جمع مقرعة وهي جلد طرفها مشدود عرضها كالإصبع، وأمّا الصنف الثاني الذي يتحدّث عنه الحديث فهو نساء كاسيات عاريات، ومعنى كاسيات أي من نعمة الله عاريات من شكرها، وقيل معناه تستر بعض بدنّها وتكشف بعضه إظهاراً لجمالها ونحوه، وقيل تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بدنّها. ومعنى مائلات قيل عن طاعة الله تعالى قيل مائلات يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن، وقيل مائلات يمتشطن المشطة الميلاء وهي مشطة البغايا، ومميلات يمشطن غيرهن<sup>(٣)</sup>. (ثم وصف

(١) انظر الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، عز الدين السيد، ص ١٤٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات، ص ١٦٨/٦، برقم ٥٦٨٤.

(٣) انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج، النووي، ص ٧/٢٤٤، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ص ٣٥/١٧.

الحديث رؤوس هؤلاء النسوة بأسنمة البخت المائلة، فهن يكبرنّها ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحو ذلك<sup>(١)</sup>، فالمشبه رؤوس هؤلاء النسوة وقد فعلن فيها ما فعلن والمشبه به أسنمة البخت المائلة، والبخت إبل مشهورة بعظم سنامها، ويقال ناقة ميلاء إذا كان سنامها يميل إلى أحد شقيها، والغرض من التشبيه: وصف المشبه المفيد لتحقيره والتنفير منه، وهناك براعة بالتشبيه فالسنام أعلى شيء في البخت، وكذلك الشعر المرفوع أعلى شيء في المرأة<sup>(٢)</sup>. قال المناوي رحمه الله: (وهذا الحديث من معجزات النبوة فقد وقع هذان الصنفان وهما موجودان، فإنه خلف بعد الصدر الأول قوم يلازمون السياط التي لا يجوز الضرب بها في الحدود قصداً لتعذيب الناس وهم أعوان والي الشرطة المعروفون بالجلادين، فإذا أمروا بالضرب تعدّوا المشروع في الصفة والمقدار، وربما أفضى بهم الهوى وما جبلوا عليه من المظالم إلى إهلاك المضروب أو تعظيم عذابه)<sup>(٣)</sup>.

#### خامساً: صورة من أهوال يوم القيامة:

عن المقداد بن الأسود قال سمعت الرسول ﷺ يقول: {تدني الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منه كمقدار ميل، قال سليم بن عامر: فو الله ما أدري ما يعني بالميل أمسافة الأرض؟ أم الميل؟ الذي تكتحل به العين فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرض؛ فمنهم من يكون إلى كعبه، ومنهم من يكون إلى ركبته، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إجماماً، وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فمه<sup>(٤)</sup>. وفي هذا الحديث يوضّح رسول الله ﷺ صورة من صور يوم القيامة، وهي دنوّ الشمس من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل وذلك تشديد في الهول والكرب، والغرض من التشبيه بيان مقدار قرب الشمس من الخلق مما يتسبّب عنه تصيب العرق، مما كان له الأثر الذي وضّحه الرسول.

(١) الديباج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، السيوطي، ص ١٦٣/٥.

(٢) انظر أثر التشبيه في تصوير المعنى، عبد الباري طه سعيد، ط ١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، ص ٢٣٠-٢٣٣.

(٣) فيض القدير، المناوي، ص ٢٧٥/٤.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهوالها، ص ١٥٨/٨،

برقم ٧٣٨٥.

فالحديث يظهر صورة العناء والضيق والشدة مما يلقاه الناس يوم القيامة، في وقوفهم تحت الشمس وقد دنت منهم، وخوضهم في بحيرات من العرق، والمعاناة من الشمس اللاهبة مما يدركها الناس جميعاً، والعرب من أهل الصحراء من أعرف الناس بأضرار التعرّض لحراراتها، فكيف ستكون حالهم وقد دنت الشمس منهم وهي على بعد ميل منهم، فإن الشمس لو دنت من الكرة الأرضية شيئاً قليلاً لدمّرتها، ولكنها قدرة الله سبحانه وإرادته، والنبى عليه الصلاة والسلام ينقل لنا هذه الصورة لذلك اليوم المفزع الرهيب<sup>(١)</sup>.

(والتشبيه هنا إنما يستحضر في بصيرة المسلم؛ لأن ذلك الهول الآتي يوم القيامة مثلما هو مستحضر في باصرته يوم القيامة ليقوم حركة في هذه الحياة على النحو الذي يتمنى يوم القيامة، ولذلك جاء من بعد هذا التشبيه بأقسام الناس في ذلك الموقف، وأن أحوالهم من أعمالهم ففي هذا دعوة بالغة إلى النجاء بالأعمال الصالحة، وفي هذا إبلاغ بالهدى والرشاد، والحث على الامتثال بما دعت إليه آيات الله عز وجل)<sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر التصوير الفني في الحديث النبوي، محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م،

ص١٤١ و صحيح أشراط الساعة، مصطفى شليبي، مكتبة السوادى، جده، ط١، ١٤١٣هـ، ص٤٣.

(٢) أثر التشبيه في تصوير المعنى، عبد البارى طه سعيد، ص٢٩٨-٢٩٩.

## المبحث الثاني

### التشبيه بالمعول في الدعوة إلى الله

#### المطلب الأول: أثر تشبيه المعول بالمحسوس في الدعوة إلى الله تعالى :

تنوّعت أساليب الدعوة في القرآن الكريم والسنة المطهرة، فقد كان الخطاب فيهما موجهاً إلى العقل البشري في هذه الأساليب بطريقتين، إمّا بطريقة الخطاب المباشر للعقل، وإما مخاطبته عن طريق الحواس التي تقوم بمهمة نقل الشعور المادي المحسوس إلى العقل، وهو يقوم بتحليل الآثار الواصلة إليه من الحواس وعرض المادة المنقولة للتعامل معها على أساس الرفض أو القبول، وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر، وهذا أسلوب علمي تربوي سبق به القرآن الكريم علماء التربية الحديثة في تقريب المجرد بالمحسوس، ولقد كانت العرب تعني بصبّ المعاني في القوالب المحسوسة وتبالغ في ذلك كل المبالغة، سواء في ذلك ما تقع عليه الحاسة من الأوصاف، أو كان تعبيراً عن الخواطر النفسية، ونبضات العواطف<sup>(١)</sup>.

لذلك فإننا نرى أنّ الكتاب والسنة قد استخدمتا أسلوب تشبيه المحسوس بالمعقول في مواضع كثيرة، والمقصود به تشبيه الأمر المعنوي المجرد بأمر محسوس على وجه التشبيه والتمثيل، وإنّ أسلوب التشبيه بالمحسوس الذي استخدمه القرآن الكريم والسنة المطهرة مرّات كثيرة للدعوة إلى الله سبحانه، له آثار عظيمة لا تخفى في مجال التربية والتقويم، ولعلّ من أهم هذه الآثار تقريب الفكرة إلى الذهن، بتحويلها من معنى ذهني مجرد، إلى صورة حسية مشاهدة، وهذا الأمر عظيم الأثر في تسهيل فهم المتعلم للمعلومة المطروحة، فإن كثيراً من الناس لا يستطيع استيعاب الفكرة، إذا كانت لا تعدو كونها مجرد معنى ذهني خالص بحت، وإظهارها على صورة مثل محسوس، يقرّبها إلى ذهنه، ويهيئته على استيعابها، ويساعد على

(١) انظر فن التشبيه، علي الجندي، ص ٨٢. والبلاغة فنونها وأفعالها، فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، د.ط،

د.ت، ص ١٧.

تثبيتها لديه<sup>(١)</sup>. (فمتى أبرزت المعاني المدركة بالعقل، وصوّرت بالحسوسات لم ينازع فيها الحسّ والخيال والوهم، وانطبق المعقول على المحسوس، فحصل الفهم والوصول إلى المطلوب)<sup>(٢)</sup>.

إنّ التشبيهات في الكتاب والسنة لم تقف عند مجرد تسجيل وجوه الشبه المادية بين الأشياء، بل تجاوزتها إلى المماثلة النفسية، وتعمّقت بها حتى أضفت عليها حياة شاخصه وحركة متجدّدة، فانقلب المعنى الذهني إلى هيئة أو حركة، وتخصّمت الحالة النفسية في لوحة أو مشهد، بل يبرز جمال التشبيه القرآني وما فيه من إبداع في العرض، وجمال في التنسيق، وروعة في النظم والتأليف، وجرس في الألفاظ يدلُّ على صورة معانيها<sup>(٣)</sup>.

يقول الألويسي: (فلضرب المثل شأنٌ لا يخفى، ونورٌ لا يطفأ يرفع الأستار عن وجوه الحقائق، ويميط اللثام عن محيا الدقائق، ويبرز المتخيّل في معرض اليقين، ويجعل الغائب كأنه شاهد، وربما تكون المعاني التي يراد تفهيمها معقولةً صرفة، فالوهم ينازع العقل في إدراكها حتى يحجبها عن اللحوق بما في العقل فبضرب الأمثال تبرز في معرض المحسوس فيساعد الوهم العقل في إدراكها، وهناك تنجلي غياهب الأوهام ويرتفع شغب الخصام<sup>(٤)</sup> ﴿وَتَلَكَّ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(٥)</sup> يقول الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير الآية: (لأجلهم ولانتفاعهم وتعليمهم لكونها من الطرق الموضّحة للعلوم؛ ولأنها تقرب الأمور المعقولة بالأمور المحسوسة، فيتّضح المعنى المطلوب بسببها، فهي مصلحة لعموم الناس)<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة وكلام العرب، مصطفى عيد الصياصنة، دار المعراج الدولية للنشر، ط ١، الرياض، ١٤١٢هـ، ص ٧٥. وإعجاز القرآن البلاغي ودلائل مصدره الرباني، صلاح الخالدي، دار عمار، عمان، ط ١، ١٤٢١هـ، ص ٣٣٨.

(٢) البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ت: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ص ١٥٧/٧.

(٣) انظر الصورة الأدبية في القرآن الكريم، صلاح الدين عبد التواب، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٩٥م، ص ٤٥.

(٤) روح المعاني، شهاب الدين الألويسي، ١/١٧٥.

(٥) سورة الحشر: ٢١.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص ١٦١.

ولذلك فإن تشبيه المعقول بالحسوس كان من أهم أساليب الدعوة في الكتاب والسنة؛ ذلك أن مبادئ الإسلام الخالدة في معانيها، وأهدافها تأخذ صورتها الرائعة إذا صيغت في قالب حسن يقرّبها إلى الأفهام بقياسها على المعلوم اليقيني، وتشبيه المعقول بالحسوس هو القالب الذي يبرز المعاني في صورة حسّية تستقر في الأذهان، فكان ذلك أدعى لتقبل النفس له، واقتناع العقل به، فنجد أن تشبيهات الكتاب والسنة قد اتّسمت بالقوة البلاغية والإقناعية، وروعة الوضوح في تجسيد المعنى المقصود، وتصويره في صورة حسّية تجعله أمراً ماثلاً أمام السامع.

يقول الترمذي عن تأثير الأمثال القرآنية والنبوية في النفس البشرية رحمه الله: (فإذا ضربت لها الأمثال - يعني النفس - صار ذلك الأمر لها بذلك المثل كالمعينة، كالذي ينظر في المرأة فيبصر فيها وجهه، ويبصر بها من خلفه؛ لأن ذلك المثل قد عاينه ببصر الرأس، فإذا عين هذا أدرك ذلك الذي غاب عنه بهذا؛ فسكنت النفس، وانقادت للقلب، واستقرت تحت القلب في معدنها.... والأمثال نموذجات الحكمة لما غاب عن الأسماع والأبصار لتهدّي النفوس بما أدركت عياناً، فمن تدبير الله لعباده أن ضرب لهم الأمثال من أنفسهم لحاجتهم إليها ليعقلوها بها، فيدركوا ما غاب عن أبصارهم وأسماعهم الظاهرة، فمن عقل الأمثال سماه الله تعالى في كتابه عالماً<sup>(١)</sup>).

ويفسّر ابن عادل قوله تعالى: ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> بقوله: (لقوم يعلمون أي: لقوم يتفكرون ويتأملون، ويستدلون بالحسوس على المعقول، وينتقلون، من الشاهد إلى الغائب)<sup>(٣)</sup>.

ويعلّل الجرجاني أهمية تشبيه المعقول بالحسوس فيقول: (لأنّ أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفيّ إلى جليّ، وتأتيها بصريح بعد مكنى، وأن تردّها في الشّيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى

(١) الأمثال من الكتاب والسنة، محمد بن عيسى، ت علي محمد الجاوي، القاهرة، دار نهضة مصر الفجالة.

١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، ص ٢-٤.

(٢) سورة الأنعام: ٩٧.

(٣) تفسير اللباب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،

١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، ص ٧٤/٧.

---

الإحساس، وعمّا يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع، لأنّ العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركز فيها من جهة الطبع، وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام وبلوغ الثقة فيه غاية التمام<sup>(١)</sup>.

وتشبيه المعقول بالمحسوس قد ورد كثيراً في كلام الأدباء والشعراء، كما أنه جاء كثيراً في الكتاب والسنة، وسنعرض في المطلب التالي نماذج له في القرآن الكريم والسنة المطهرة، لتوضيح هذا الأسلوب في الكتاب والسنة، وإلاّ فإنّ جميع الآيات والأحاديث التي استعمل فيها أسلوب التشبيه، تدرج تحت أحد أقسام التشبيه التي ذكرناها في القسم التمهيدي من هذا الفصل، والتي ستقوم الباحثة بعرض نماذج أخرى منها في الفصل الثالث من هذه الدراسة، حيث ستتناول الباحثة فيها مجالات التشبيه في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة، في العقيدة والشريعة والأخلاق.

---

(١) أسرار البلاغة، الجرجاني، ص ١٠٢.

## المطلب الثاني: نماذ تشبيه المعول بالمحسوس في الدعوة الى الله في ضوء الكتاب والسنة:

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تفيضان باستخدام تشبيه المعقول بالمحسوس في الدعوة إلى الله، في العقائد والإيمان والتربية والأخلاق وغيرها من المجالات، وسنتناول في المحاور التالية، بعضاً من هذه التشبيهات، كتشبيهات الكافرين، وتشبيهات المؤمنين، وتشبيهات الدنيا وزينتها.

### أولاً: تشبيهات الكافرين: في القرآن الكريم:

تناول القرآن الكريم أعمال الكافرين والمنافقين في كثير من المواضع، ويُن فيها أنها باطلة لا خير فيها مهما كثرت؛ إذ إنهم كفروا بالله فلن تنفعهم هذه الأعمال عند الله، وقد جاء هذا البيان في القرآن الكريم عن طريق الحقيقة دون تشبيه أحياناً، كما جاء عن طريق التشبيه في أحيان أخرى.

إن أعمال الكفار يمكن تقسيمها إلى قسمين: قسم هو طغيان وبغي وإفساد في الأرض ونحو ذلك، فهذه أعمال باطلة فاسدة لا يرحو أصحابها من ورائها خيراً، ولا يتوقعون عليها ثواباً، والقسم الثاني من أعمال الكفار هي أعمال يظنون أنها تغني عنهم من الله شيئاً، كالصدقة والعتاق، وصلة الأرحام والإنفاق في سبل الخير، ولكن أعمالهم هذه لن تنفعهم عند الله بدون الإيمان به والإخلاص في عبادته وتوحيده، ومن أدلة ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة قالت: {يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذلك نافعه؟ قال: لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين} (١).

وقد ضرب الله في كتابه لهذا النوع من الأعمال أمثلة، فشبهها في بعض المواضع بالسراب الذي يظنه رائيه ماءً، وشبهها في موضع آخر بالرياح الشديدة الباردة تهب على الزروع والثمار فتدمرها، وشبهها في موضع ثالث بالرماد الذي جاءته ريح عاصف فذرت في كل مكان، فأعمال الكفار التي عملوها وهي عارية من توحيد الله وإخلاص العمل له

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل، ص ١٣٦ / ١ برقم ٥٤٠.

سبحانه جعل الله سبحانه وجودها كعدمها فقال: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ  
فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ﴾ (١). ومن ذلك تشبيه أعمال الكفار بالرماد الذي اشتدت به  
الريح في يوم عاصف، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ  
كِرَامٍ شَدِيدَةٍ فِي الَّرِّيحِ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ  
الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ (٢).

شَبَّهت الآية الكريمة الأعمال التي تكون لغير الله تعالى برماد، اشتدت به الريح في يوم  
عاصف فطيرته، ولم تبق له على أثر، فأعمال الكفار التي ظاهرها الإحسان، والتي عملوها في  
الدنيا كصلة الرحم وسقاية الحاج وعمارة البيت واغاثة الملهوفين وهم يظنون أنها تنفعهم في  
الآخرة، يطلها الكفر ويذهبها كما تطير تلك الريح ذلك الرماد، وتذهب به إلى حيث لا  
يتجمع أبداً (٣).

إنَّ أعمال الكفار هنا وهي أمور معنوية مصوّرة في صورة حسية حيث تحوّلت إلى  
كومة رماد اشتدت بها الرياح فذهبت هباء، مَنْ يتأمل كلمة رماد توحى بخفة الوزن، أمّا  
كلمة اشتدت فإنها توحى بسرعة الرياح، وكلمة عاصف فإنها توحى بالعنف، فتأمل كيف  
أبرز هذا التشبيه ببدیع نظمه بصورة حيّة متحرّكة كأنك تراها وتلمسها؛ تمكيناً للعقول  
وإعانة لها على تصوّر ما يلقي إليها في منظر مليء بالرعب والخوف والدهشة والتعجب، ولا  
يخفى ما في هذا الأسلوب من تأثير في قلوب المخاطبين (٤).

وشبّه القرآن في هذه الآية الكريمة أعمال الكفار من طغيان وبغي وفساد، بالظلمات  
التي يركب بعضها بعضاً قال تعالى: ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ

(١) سورة الفرقان : ٢٣ .

(٢) سورة إبراهيم: ١٨ .

(٣) انظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر  
والتوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ، ٩٩٥ م، ، ص ٢٤٥/٢ .

(٤) انظر نظرات في الإعجاز البياني في القرآن الكريم، نظرياً وتطبيقياً، سامي محمد هشام حريز، دار الشروق للنشر  
والتوزيع، عمان الأردن، ٢٠٠٦ م، ص ٧٦ .

مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۗ ظُلَمَتْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرِنَهَا ۗ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ  
اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿١﴾

فأعمال الكافرين مثل ظلمات متراكمة في بحر عميق كثير الماء، تغمره الأمواج المتلاطمة، فهي ظلمات ثلاث: ظلمة البحر، وظلمة الموج، وظلمة السحاب، وكذا الكافر له ظلمات ثلاث: ظلمة الاعتقاد، وظلمة القول، وظلمة العمل، وهذه الظلمات حجبت عنه رؤية الحق، وإدراك ما في الكون من عظات وآيات ترشد إلى الطريق الأقوم.

قال الرازي: (تقرير المثل هو أن البحر اللجّي يكون قعره مظلماً جداً بسبب غمورة الماء، فإذا ترادفت عليه الأمواج ازدادت الظلمة فإذا كان فوق الأمواج سحاب بلغت الظلمة النهاية القصوى، فالواقع في قعر هذا البحر اللجّي يكون في نهاية شدة الظلمة) (١).

والمقصود من هذا المثل بيان أن الكافر تراكت عليه أنواع الضلالات في الدنيا، فصار قلبه وبصره وسمعه في ظلمة شديدة كثيفة، لم يعد بعدها قادراً على تمييز طرق الصواب ومعرفة نور الحق، لذا قال تعالى: ﴿ظُلَمَتْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرِنَهَا﴾ (٢). (أي إن تلك الظلمات الثلاث ظلمات متراكمة مترادفة، بعضها يعلو البعض الآخر، حتى إنه إذا مدَّ الإنسان يده، وهي أقرب شيء إليه، لم يقرب أن يراها، فضلاً عن أن يراها) (٣).

ومن تشبيهات أعمال الكافرين التي جاءت في القرآن الكريم، تشبيهها بالسراب، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُم كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤٠﴾

عرضت الآية الكريمة أعمال الكفار فشبهتها بالسراب، فهم يعملون ويحسبون أنهم يحسنون صنعا، ثم تنكشف الحقيقة على خلاف ما كانوا يظنون ويحسبون، فإذا أعمالهم

(١) سورة النور: ٤٠.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ٨/٢٤.

(٣) سورة النور: ٤٠.

(٤) التفسير المنير، الزحيلي، ٢٥٩/١٨.

(٥) سورة النور: ٣٩.

هذه كسراب<sup>(١)</sup>، يرى في عين الناظر ماء، وهو في الواقع ليس له حقيقة، فتحوّلت أعمالهم المعنوية هنا إلى سراب ببيعة، فأعمال الكافرين شُبّهت لهم بأمر مرئي وهو السراب، الذي لا حقيقة له.

قال الرازي: (وجه التشبيه أنّ الذي يأتي به الكافر إن كان من أفعال البر فهو لا يستحق عليه ثواباً، مع أنه يعتقد أنّ له ثواباً عليه، وإن كان من أفعال الإثم فهو يستحق عليه عقاباً مع أنه يعتقد أنه يستحق عليه ثواباً، فكيف كان فهو يعتقد أنّ له ثواباً عند الله تعالى، فإذا وافى عرصات القيامة، ولم يجد الثواب بل وجد العقاب العظيم عظمت حسرته وتناهى غمّه، فيشبهه حاله حال الظمآن الذي تشدّد حاجته إلى الماء فإذا شاهد السراب تعلّق قلبه به ويرجو به النجاة ويقوى طمعه، فإذا جاءه وأيس مما كان يرجوه فيعظم ذلك عليه، وهذا المثل في غاية الحسن)<sup>(٢)</sup>.

ومن التشبيهات تشبيه أعمال الكافرين بالزرع الذي أهلكته الريح، فإنّ إنفاق الكافرين يحبطه الكفر؛ لأنه إنفاق في سبيل غير الله، فقد بين سبحانه للمؤمنين أنّ إنفاقهم الذي هو في سبيل الله تعالى ينميّه الله تعالى لهم ويضاعفه، أمّا هؤلاء الكافرين فإنّ إنفاقهم لا ينفعهم عند الله إذ كفروا به سبحانه، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾<sup>(٣)</sup> فكفرهم وسوء طويتهم كمثل ريح فيها صقيع، أتلفت هذا العمل الصالح، إذا كان عملهم الصالح كالحرث، فكفرهم ونياتهم الخبيثة كانت بمثابة ريح فيها صقيع أتلف هذا العمل الصالح، فلم ينتفعوا به فكذلك نفاقهم ذاهبة لا ينتفعون بها، فشبهه هيئة إنفاقهم المعجب ظاهرها، المخيب آخرها، حين يحبطها الكفر، بهيئة زرع أصابته ريح باردة فأهلكته<sup>(٤)</sup>. فالآية الكريمة تناولت فكرة إنفاق الكافرين، وهي

(١) قال الأزهري: السراب ما يترأى للعين وقت الضحى الأكبر في الغلوات شبيه الماء الجاري وليس بماء، ولكن الذي ينظر إليه من بعيد يظنه ماء جارياً، يقال سرب الماء يسرب سروباً إذا جرى فهو سارب. انظر مفاتيح الغيب للرازي، ٨/٢٤.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ٨/٢٥.

(٣) سورة آل عمران: ١١٧.

(٤) انظر التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ص ١٩٥/٣.

فكرة مجردة فحولتها إلى واقع محسوس مشاهد، يبعث في النفس الرهبة والفرع، لعله يردع الكافرين عن كفرهم، ويمنعهم عن طغيانهم.

وفي آية أخرى يشبه الله سبحانه إنفاق المنافقين، فيقول:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾<sup>(١)</sup>.

يحذر الله سبحانه في الآية الكريمة المؤمنون أن لا يبطوا أجر صدقاتهم، وأن يتركوها خالصةً لوجه الله، ولا يكون إنفاقهم كالمنافقين المرئيين. وضرب لهم بإنفاق المنافقين مثلاً، فشبه زيف إنفاقهم بالحجر الكبير الأملس الذي عليه طبقة من تراب، فيظنه الظان أرضاً منبته طيبة، كما يظن قوم أن صدقة هذا المرئي لها قدر أو معنى، فإذا أصاب الحجر الأملس وابلٌ من المطر انكشف ذلك التراب وبقي صلداً، فكذلك هذا المرئي إذا كان يوم القيامة وحصلت الأعمال انكشف سره، وظهر أنه لا قدر لصدقته ولا معنى، فالمن والأذى والرياء يكشف عن النية فيبطل الصدقة، كما يكشف الوابل الصفا فيذهب ما ظن أرضاً<sup>(٢)</sup>.

وهذا مثل آخر من الطرق التربوية التي تهدف إلى تربية نفس المسلم ابتغاء رضى الله، وبذل لتثبيت نفس الباذل، وترويضها على الجود والسخاء.

وبعد أن ضربت الآية مثلاً لإنفاق الكافرين، جاءت الآية بعدها تضرب مثلاً لإنفاق

المؤمنين الصادقين، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ أَبْغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

(إن من أساليب فصاحة القرآن أنه يأتي فيه ذكر نقيض ما يتقدم ذكره لتبيين حال التضاد بعرضها على الذهن، فلما ذكر الله صدقات القوم الذين لا خلاق لصدقاتهم، ونهى

(١) سورة البقرة: ٢٦٤.

(٢) انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ص ٣٥٠/١.

(٣) سورة البقرة: ٢٦٥.

المؤمنين عن موافقة ما يشبه ذلك بوجه ما، عقب في هذه الآية بذكر نفقات القوم الذين تزكو صدقاتهم وهي على وجهها في الشرع<sup>(١)</sup>.

وفي هذه الآية يشبه القرآن الكريم المشرك الذين يدعو من دون الله آلهة بعد أن جاءه الهدى والتوحيد، فيتخير بين التوحيد والشرك، يقول تعالى: ﴿قُلْ أُنَدِّعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَىٰ الْهُدَىٰ اثْتِنَا قُلْ إِنْ هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٦﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

صوّرت الآية حال هذا الإنسان، بصورة الذي تستهويه الشياطين في الأرض، مستهام يضل في الفلوات حيران لا يهتدي، تاركاً رفاقه على الجادة ينادونه: عد إلينا، فلا يستجيب لهم، إنه مشهد حيّ شاخص متحرك للضلالة والحيرة التي تنتاب من يشرك بعد التوحيد. فالآية شبّهت (العذاب النفسي، الذي يعيشه المتردد بين الشرك والإيمان، بهذه الصورة التي ترسم واقع هؤلاء المترددين، والتشبيه يدلُّ بهذا التوجيه على أن المتردد عن الإسلام لا يمكن أن يعود مطمئناً بالشرك، ووجه الاستفهام الإنكاري في أول الآية على هذا الوجه أيعقل أن يختار هذه الحال التي لا بُدَّ منها لمن يرتد عن الإيمان، وهي أسوأ حال يمكن أن يكون عليها الإنسان)<sup>(٣)</sup>.

ومن صور تشبيه المعنوي بالمحسوس في القرآن الكريم، تشبيه اليهود الذين حملوا التوراة ولم ينتفعوا بها بالحمار يحمل أسفاراً.

لقد كان المجتمع المدني يضمّ ثلاث قبائل من اليهود وهم: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، وقد جلبوا على المكر والحيلة والغدر، وكانوا يعرفون صفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما جاءت في التوراة، ولكنهم كانوا يتجاهلونها كالأمي الذي لا يجيد القراءة والكتابة، ولذلك شبّههم الله بالحمار الذي يحمل أسفاراً قيمة دون أن يستفيد منها

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية، ١/٣٥٠.

(٢) سورة الأنعام: ٧٦.

(٣) تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.م، د.ط، ١٩٩٠م، ص ٤٤١/٧.

شيئاً، وكذلك حالهم إذ زعموا أنهم يتبعون التوراة، ثم يعرضون عن هديه وتبشيريه بالنبى محمد ﷺ، يقول سبحانه قال سبحانه وتعالى:

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١).

فقد صوّرت لنا هذه الآية اليهود لعدم انتفاعهم بما في التوراة قطعاً من الحمير، تسير وهي تحمل على ظهورها كتب العلم، لا تنتفع بها ولا تدري ما بداخلها، قال ابن القيم رحمه الله: (فقاس سبحانه مَنْ حمل كتابه ولم يتدبره ويعمل به، ويدعو إليه ثم خالف ذلك ولم يحمّله إلا على ظهر قلب فقرأه بغير تدبّر ولا تفهّم ولا اتباع له ولا تحكيم له، وعمل بموجبه كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها، وحظّه منها حملها على ظهره ليس إلا، فحظّه من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره) (٢).

وهذا التشبيه القرآني (وإن كان مضروباً لتمثيل حال اليهود وبيان موقفهم من التوراة، إلا أنه أيضاً صالح لكل مَنْ يتشبه بهم فيكون موقفه من القرآن كموقفهم من التوراة، فيكتفي منه أن يجعل منه زينة، دون أن يتخذ منه هادياً ودليلاً وإماماً، أو يكتفي منه بالحفظ والتلاوة دون أن يعمل بمحكمه ويؤمن بمتشابهه، فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به ولم يؤدِّ حقّه، ولم يرعه حق رعايته) (٣).

ويشبه القرآن ولاية الذين اتخذوا من دون الله أولياء، بيت العنكبوت في الوهن، يقول سبحانه: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤).

نرى في الآية الكريمة صورة عجيبة تلحّ على الحسّ والوجدان، وتجتذب إليها الالتفات وتسترعي الانتباه، وتسترق الأسماع وتبهر الأبواب وتستولي على الأحاسيس والمشاعر، إنها

(١) سورة الجمعة: ٥.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ص ٩٤/١.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ص ١٩٤/١.

(٤) سورة العنكبوت: ٤١.

تصوّر هؤلاء العباد الغافلين بصورة العناكب الضئيلة الواهنة، وتصوّر هؤلاء الضعفاء العاجزين بصورة بين العنكبوت الذي يضرب به المثل في الضعف والوهن<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: (ذكر سبحانه أنهم ضعفاء وأن الذين اتّخذوهم أولياء أضعف منهم فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتّخاذ الأولياء كالعنكبوت اتّخذت بيتاً وهو أوهن البيوت وأضعفها، وتحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حيث اتّخذوا من دون الله أولياء فلم يستفيدوا بمن اتّخذوهم أولياء إلا ضعفاً<sup>(٢)</sup>)، فالمشرك ما ازداد باتّخاذ ولياً ونصيراً من دون الله إلا ضعفاً؛ لأن قلبه انقطع عن الله، ومن انقطع قلبه عن الله وتعلقه بالمخلوق زاده وهناً إلى وهنه، فخاب ظنه وانقطع أمله فالولاية لغير الله وهي أمر معنوي مجرد، صارت هنا صورة محسوسة، بيت عنكبوت هزيل واهن، ولا يخفى ما في هذا التشبيه من التنفير والتحقيق لمن يتخذ من دون الله أولياء، والله الحكيم يفعل ما يحقّق المصلحة بضرب المثل في العظائم والمحقرات حسب الأحوال والمناسبات، فإن كان الأمر عظيماً كالحقّ والإسلام ضرب مثله بالنور والضياء، وإن كان الأمر مهيناً حقيراً كالأصنام ضرب مثله في عدم النفع وانعدام الفائدة بما يشبهه من الذباب والبعوض والعنكبوت<sup>(٣)</sup>.

ويشبه الله عز وجل الذي ينسلخ من آيات الله بالكلب اللاهث، يقول سبحانه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾<sup>(٤)</sup>.

يشبه الله سبحانه في الآية الذي ينسلخ من آياته ويتبع هواه، بالكلب اللاهث، وهذا من التشبيه المركّب، يقول ابن عاشور رحمه الله: (فهذا تشبيه تمثيل مركب منتزعة فيه الحالة المشبهة والحالة المشبه بها من متعدّد، ولما ذكر (تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) في شقّ الحالة المشبه بها، تعيّن أن يكون لها مقابل في الحالة المشبهة، وتتقابل أجزاء هذا التمثيل بأن

(١) انظر نظرات في الإعجاز البياني في القرآن الكريم، نظرياً وتطبيقياً، سامي محمد هشام حريز، ص ٧٧.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ص ١٨٠/١.

(٣) انظر التفسير المنير، الزحيلي، ص ١١١/١.

(٤) سورة الأعراف: ١٧٦.

يشبه الضال بالكلب، ويشبه شقاؤه واضطراب أمره في مدة البحث عن الدين بلهث الكلب في حالة تركه في دعه، تشبيهه المعقول بالمحسوس، ويشبه شقاءه في إعراضه عن الدين الحق عند مجيئه بلهث الكلب في حالة طرده وضربوه، وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس<sup>(١)</sup> وإذا تأملنا كلمة الكلب في هذا الموضع فإننا لا نجد كلمة في اللغة تجلي هذا المعنى وتبرزه في صورة حية متحركة سواها؛ إذ كل مخلوق إنما يلهث من مرض أو عطش أو إعياء إلا الكلب، فإنه يلهث في جميع أحواله، في حال الصحة والمرض، وفي حال الري والعطش<sup>(٢)</sup>.

ويشبه القرآن الكريم غفلة الكافرين وانغماسهم في ملذات الدنيا، بانغماس الأنعام في

أكلها، وغفلتها عن مصيرها، فيقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ

مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ ﴿٣﴾.

إنَّ البهيمة يهديها سائقها فتتهدي، وتتبع الطريق ولا تحيد، والكافرون يدعوهم الرسل ويهدونهم السبيل، فلا يستمعون ولا يهتدون، بل إنهم لا يفرقون بين ما ينفعهم وما يضرهم، فكانوا أضلَّ من الأنعام<sup>(٤)</sup>.

يقول الرازي: (وقوله تعالى: (كما تأكل الأنعام) يحتمل وجوهاً أحدها: أن الأنعام يهملها الأكل لا غير والكافر كذلك، والمؤمن يأكل ليعمل صالحاً ويقوى عليه، وثانيها: الأنعام لا تستدل بالمأكل على خالقها والكافر كذلك، وثالثها: الأنعام تُعَلَّف لتسمن وهي غافلة عن الأمر، لا تعلم أنها كلما كانت أسمن كانت أقرب إلى الذبح والهلاك، وكذلك الكافر<sup>(٥)</sup>). لقد صور القرآن الكفار بأنهم يأكلون ويتمتعون غافلين عن الجزاء الذي ينتظرهم، فشبَّههم بالأنعام التي تأكل وتمرح غافلة عن سكين الذابح، فهم يأكلون عن شره

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص ١٣/٦.

(٢) انظر نظرات في الإعجاز البياني في القرآن الكريم، نظرياً وتطبيقياً، سامي محمد هشام حريز، ص ٧٨.

(٣) سورة محمد: ١٢.

(٤) انظر ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة وكلام العرب، مصطفى عيد الصياصنة، ص ١١٢.

(٥) مفاتيح الغيب، الرازي، ص ٤٥/٢٨.

كشأن البهائم ازدراءً لهم وتحقيراً لحالهم، ووصفهم بالدناءة والبطنة مما تدممه العرب وتبغضه<sup>(١)</sup>.

يظهر باستعراض الآيات الكريمة التي تصف أعمال الكافرين وما تؤول إليه، أن النص القرآني قد بلغ باستخدامه أسلوب تشبيه المعقول بالمحسوس، ما لا يبلغه التعبير الذهني المجرد، فإن تشبيه الحالات المعنوية القائمة في الكافرين وأعمالهم، بالعنكبوت والحمار والسراب، وغير ذلك مما جاء في الآيات الكريمة، عظيمة مؤثرة، تأخذ بالقلوب، وتهزّ النفوس، وتجسّد المعاني في صور ماثلة للعيان كأن المرء يحسها ويلمسها بيده، ليكون لها أثر عظيم في الدعوة إلى الله وإخلاص العمل له سبحانه، وهذه التشبيهات لها حكمة عظيمة؛ لأنّ المثل جعل لكشف المعنى وتوضيحه بما هو معروف ومشاهد، وما الأمثال إلا إبراز للمعاني المقصودة في قالب الأشياء المحسوسة لتأنس بها النفوس، وتنكشف أمامها الغوامض، وتزول الأوهام عن معارضة العقل.

### ثانياً: في سنة النبي ﷺ:

عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: {مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمِينَ تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً} (٢).

ذكر النبي ﷺ في كثير من الأحاديث أوصافاً للمنافقين، حتى يكون الناس على بينة من أمرهم، فيحذروهم ويحذروا منهم، وفي هذا الحديث (يشبه النبي ﷺ المنافق بالشاة العائرة بين الغنمين، وهي الشاة المترددة الحائرة التي لا تدري من تتبع، فتتقر من قطع إلى قطع تتبع شهواتها) (٣).

فشبه النبي ﷺ تردد المنافق بين المسلمين والكافرين تبعاً لهواه وشهواته، بتردد الشاة العائرة التائهة التي لا تستقر على حال، وكذلك حال المنافق المذبذب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وهذا التشبيه تشبيه معقول بمحسوس تقريباً إلى فهم المخاطب، فحال الشاة العائرة أمرٌ يعرفه الناس، ويشاهدونه بأعينهم ويستقبحون.

(١) التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، واجدة الأطرقيجي، ص ٤١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب حدثنا أبو بكر بن شيبة، ص ٨/ ١٢٤، برقم ٧٢٢٠.

(٣) عمدة القاري، العيني، ص ١٣/٢٤.

ويذكر النبي ﷺ حال حثالة الناس في آخر الزمان، فيقول فيما رواه مرداس الأسلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: { يقبض الصالحون الأول فالأول، وتبقى حفالة، كحفالة التمر والشعير، لا يعبا الله بهم شيئاً }<sup>(١)</sup>.

يقرر هذا الحديث أن الله يقبض المؤمنين الصالحين في آخر الزمان ولا يبقى منهم أحد، فلا يبقى إلا شرار الناس، وهم الذين تقوم عليهم الساعة، كما أخبر النبي ﷺ في أحاديث أخرى. (يشبه النبي ﷺ في الحديث مَنْ يبقى من الناس بعد قبض الصالحين، بأنهم حفالة التمر والشعير، أي: رديئه وتفالته)<sup>(٢)</sup>، أي: أنهم حثالة رعا ع ليس لهم قدر ولا فضل، ولا عهد لهم ولا موثيق، ولا أمانة عندهم ولا استقامة، لا يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً، والموت كثيراً ما يكون إكراماً لكيلا يشقى المرء برؤية أممات من الأشرار يتحكّمون في رقاب العباد، ويضطهدون الكرام الأحرار، ويعيثون في الأرض فساداً<sup>(٣)</sup>.

فتشبيه هذه الحثالة الباقية من الناس، بعد قبض الصالحين، بأمر محسوس تنفر منه النفوس، له أثر بالغ في معرفة حال هؤلاء وقدرهم عند الله، وفي ذلك دعوة لمخالفة طريقتهم ومفارقة عملهم، ودعوة للاقتداء بالصالحين، وعدم مخالفتهم خشية أن يكون مَنْ خالفهم من حثالة الناس الذين ورد ذكرهم، فيتعرضون لسخط الله، ولا يعبا الله بهم.

ثانياً: تشبيهات المؤمنين:

في القرآن الكريم:

جاء وصف المؤمنين في كثيرٍ من آيات الكتاب الحكيم، ومنها الآيات التي وقع فيها تشبيه للمؤمنين ولأعمالهم المبرورة بالأمر المحسوسة الطيبة، ومن ذلك ما وصف الله به المؤمنين المنفقين في سبيل الله، فقال سبحانه: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ص ١٢٣/٥، برقم ٤١٥٦.

(٢) عمدة القاري، العيني ٨/٢٦.

(٣) انظر التصوير الفني في الحديث النبوي، محمد الصباغ، ص ٤٦٢.

(٤) سورة البقرة: ٢٦٥.

(في الآية الكريمة تشبيه الصدقات التي تنفق ابتغاء مرضات الله في كثرة ثوابها، ومضاعفة أجرها بجنة فوق ربوة أصابها مطر غزير فأخصبت تربتها، وتضاعف أكلها، وإن هذه الجنة إن لم يصبها وابلٌ فيصيبها مطر دون الواابل، فإن لم يصبها وابل حتى تضاعف ثمرتها فلا بد وأن يصبها ظلٌ يعطي ثمرًا دون ثمر الواابل، فهي على جميع الأحوال لا تخلو من أن تثمر، فكذلك مَنْ أخرج صدقةً لوجه الله تعالى لا يضيع كسبه قليلاً كان أو كثيراً<sup>(١)</sup>. وليس كلُّ نماءٍ يؤتي أكله ضعفين كما في الآية الكريمة، بل بعض النماء يتضاعف فيصل إلى سبعمائة كما تصرّح به هذه الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

يشبه ربنا سبحانه المنفقين في سبيله بالباذرين حبّهم في الأرض؛ ليتضاعف أضعافاً كثيرة، ووجه الشبه بين المشبه وهو مَنْ ينفق في سبيل الله، والمشبه به هو مَنْ بذر حبة فأنبتت له سبع سنابل، هو صورة مَنْ يعمل قليلاً فيجني من ثمار عمله كثيراً، ومعنى إنباتها سبع سنابل أنها تخرج ساقاً يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبله وهذا التشبيه تصويرٌ للأضعاف كأنها ماثلة أمام عيني الناظر<sup>(٣)</sup>.

(فالمؤمن عندما يعطي فيأخذ سبعمائة ضعف، فهذا ربح وفير وتجارة رابحة، فأراد الله عزَّ وجلَّ أن يضرب مثلاً لفلاح المؤمن مع ربّه بشيءٍ منتزع من حياتنا اليومية، حتى تتحرك همم المؤمنين للإنفاق عندما يتعرفون على الثواب العظيم الذي ينتظرهم عند الله جزاء إنفاقهم، عندما يقيسون ذلك على الحبة التي تنتج لهم أضعافاً مضاعفة في هذه الدنيا، وإسناد الإنبات إلى الحبة مجاز؛ لأنها سببٌ للإنبات والمنبت في الحقيقة هو الله تعالى، وهذا التشبيه تصويرٌ للأضعاف كأنها حاضرةٌ بين يدي الناظر فهو من تشبيه المعقول بالمحسوس، ومشاهدته في استطاعة كل واحد؛ إذ هو تشبيه بما يحتاج وتتوقف عليه حياته<sup>(٤)</sup>.

(١) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص ٤٩٤/٣.

(٢) سورة البقرة: ٢٦١.

(٣) انظر الكشف، الزمخشري، ص ٣٣٨/١.

(٤) روح المعاني، الألوسي، ص ٢٤٧/٢.

## في سنة النبي ﷺ :

جاء في أحاديث النبي ﷺ عدة أوصاف للمؤمنين، وشبَّههم النبي عليه السلام في أحاديث كثيرة، بالأمور المباركة الطيبة المحسوسة، فشبه المؤمن بالنخلة، والسنبلة والمطر والذهب وغير ذلك، ولا يخفى ما في ذلك من مدح للمؤمنين وترغيب في سلوك سبيلهم. ومن ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مثل أمي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره)<sup>(١)</sup> (يشبه النبي ﷺ في هذا الحديث أمته بأنها مثل المطر في نفعه، من جهة أفعالهم وأقوالهم، وبذلهم وإنفاقهم، ونفعهم في بث الشريعة، والذب عن الحقيقة)<sup>(٢)</sup>.

فأمة النبي ﷺ، هم أمة التوحيد والدعوة، لا تقوم الحياة إلا بهم، وحاجة الناس لهم في الهداية، كحاجتهم للمطر، وكما أن المطر لا يدرى أوله خير أم آخره، كذلك أمة النبي ﷺ، الخير في أولها وآخرها، وليس المراد بالحديث أنه لا يعرف فضل السلف على الخلف، فهذا ثابت في أحاديث كثيرة أخرى، وإنما المراد بالتفاوت اختصاص كل من الأولين والآخرين بخاصية توجب خيريتهم، كما أن كل نوبة من نوب المطر لها فائدة في النماء لا يمكن إنكارها والحكم بعدم نفعها، فإن الأولين آمنوا بما شاهدوا من المعجزات وتلقوا دعوة الرسول بالإجابة والإيمان، والآخرين آمنوا بالغيب لما تواتر عندهم من الآيات واتبعوا الذين قبلهم بالإحسان، وكما اجتهد الأولون في التأسيس والتمهيد، اجتهد المتأخرون في التجريد والتلخيص، وصرفوا عمرهم في التقدير والتأكيد، فكل مغفور، وسعيه مشكور، وأجره موفور<sup>(٣)</sup>.

فالحديث الشريف يُظهر فضل أمة محمد عليه الصلاة والسلام للناس، من خلال تشبيه فضلهم ونفعهم وبركتهم بالمطر الذي هو قوام حياة الناس، والذي يستوي جميع الناس في حاجتهم إليه وإحساسهم بنفعه، ومعرفتهم لفضله.

(١) سنن الترمذي، كتاب الأمثال، ص ١٥٢/٥ برقم ٢٨٦٩.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا علي القاري، ص ١٧٢/١٨.

(٣) انظر فيض القدير، المناوي، ص ٦٥٩/٥.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: {إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة} (١).

يشبّه النبي ﷺ (جموع الناس بجموع الإبل، فالإبل سواء، تتميز من بينها الراحلة المتميزة النجيبة المختارة الكاملة الأوصاف الحسنة المنظر، فلا تجد في مائة من الإبل راحلة تصلح للركوب؛ لأنّ الذي يصلح للركوب ينبغي أن يكون وطياً سهل الانقياد، وكذا لا تجد في مائة من الناس مَنْ يصلح للصحبة بأن يعاون رفيقه، ويلين جانبه ... والرجل الجواد الذي يحمل أثقال الناس والحملات عنهم ويكشف كربهم، عزيز الوجود كالراحلة في الإبل الكثيرة) (٢).

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: (هذا الحديث مشتملٌ على خير صادق، وإرشاد نافع، أمّا الخبر فإنه ﷺ أخبر أنّ النقص شامل لأكثر الناس، وأنّ الكامل فيهم قليل، كالإبل المائة، تستكثرها، فإذا أردت منها راحلة تصلح للحمل والركوب، والذهاب والإياب، لم تكد تجدها، وهكذا الناس كثير، فإذا أردت أن تنتخب منهم مَنْ يصلح للتعليم أو الفتوى أو الإمامة، أو الولايات الكبار أو الصغار، أو الوظائف المهمة، لم تكد تجد مَنْ يقوم بتلك الوظيفة قياماً صالحاً، وأمّا الإرشاد، فإنّ مضمون هذا الخبر إرشادٌ منه ﷺ إلى أنه ينبغي لجموع الأمة أن يسعوا، ويجتهدوا في تأهيل الرجال الذين يصلحون للقيام بالمهمات، والأمور الكلية العامة النفع) (٣).

فتشبيه النبي ﷺ، ندرّة الخيار من الناس، بندرة النجّاب من الإبل، هو من تشبيه المعقول بالمحسوس، والصورة التشبيهية منتزعة من البيئة العربية التي تعرف أوصاف الراحلة، وأنها نادرة عزيزة الوجود (٤).

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، ص ١٠٤/٨ برقم ٦٤٩٨ .

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ص ٣٣٥/١١ .

(٣) مهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط ٤، ١٤٢٣هـ، ص ٣١٦ .

(٤) انظر التصوير الفني في الحديث النبوي، محمد الصباغ، ص ٤٧٠ .

ويشبهه النبي ﷺ في حديث آخر المؤمن بالزرع، فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه:  
أن رسول الله ﷺ قال: {مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ لَا تَزَالُ الرِّيحُ تَمِيلُهُ، وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ  
يَصِيْبُهُ البَلَاءُ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الْأُرْزِ لَا تَهْتَزُ حَتَّى تَسْتَحْصِدَ} (١).

يشبهه النبي ﷺ في هذا الحديث المؤمن الصابر المحتسب المتعرض للبلاء بالزرع الذي يتعرض  
للريح فتميله، ويشبهه المنافق بشجرة الأرز (٢) الصامدة بوجه الريح، لكن نهايتها تكون عندما  
يحين وقت حصادها فتقطع مرة واحدة.

قال ابن حجر: (معنى الحديث أن المؤمن كثير الآلام في بدنه، أو أهله، أو ماله، وذلك  
مكفر لسنيته، ورافع لدرجاته، وأمّا الكافر فقليلها، وإن وقع به شيء لم يكفر شيئاً من  
سنيته، بل يأتي بها يوم القيامة كاملة) (٣).

(فالمؤمن بسبب إيمانه صابراً على البلاء، وراضٍ بالقضاء، فإذا أصابته سراء شكر، وإذا  
أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له على كل حال، وفي الحديث إشارة إلى أن المؤمن ينبغي له  
أن يرى نفسه عارية معزولة عن استعمال اللذات معروضة للحوادث والمصيبات مخلوقة  
للاخرة) (٤).

وشبهه الحديث الشريف المنافق بالأرز، فالمنافق يحرص على المظهر الخارجي، أما باطنه  
فخرب فالمؤمن لا ينهار أمام المصائب والبلايا، بل يواجهها بالصبر والثبات واليقين، بعكس  
الكافر والمنافق الذي ينهار ويتحطم وينتهي فجأة، فالتشبيه في الحديث الشريف للمؤمن  
والمنافق بالأرز والخامة من الزرع، تشبيه أمر معنوي وهو الإيمان والصبر والثبات، بأمر  
مادي محسوس وهو ما يصير إليه حال الزرع والأرز في المال.

ومن ذلك تشبيه المؤمن بالنخلة، فيما رواه ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: {أخبروني  
عن شجرة تشبه أو: كالرجل المسلم، لا يتحات ورقها ولا ولا ولا، تؤتي أكلها كل حين}.

(١) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن كالزرع ومثل الكافر كشجرة الأرز،  
ص ١٣٦/٨، برقم ٧٢٧٠.

(٢) قال ابن حجر: "شجر معروف يقال له: الأرزن يشبه الصنوبر، بفتح الصاد، يكون بالشام وبلا د الأرمين، وقيل  
هو الصنوبر". فتح الباري، ابن حجر، ص ١٨٦/٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ص ١٨٦/٩.

(٤) مرعاه المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، عبيد الله الرحمانى المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء،  
الجامعة السلفية، الهند، ط ٣، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م، ص ٢٣٣/٥.

قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلّم، فلما لم يقولوا شيئاً، قال رسول الله ﷺ: (هي النخلة). فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتا والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة. قال: ما منعك أن تتكلّم؟ قال: لم أركم تتكلمون، فكرهت أن أتكلّم أو أقول شيئاً، قال عمر: لأن تكون قلتها أحبّ إليّ من كذا وكذا<sup>(١)</sup>.  
 (فالمؤمن مثله كمثل شجرة، لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت من صيف أو شتاء، أو ليل أو نهار، كذلك المؤمن لا يزال يرفع له عمل صالح آتاء الليل وأطراف النهار في كل وقت وحين)<sup>(٢)</sup>. (ووجه التشبيه في نفي سقوط الورق وجوه منها: أن النخلة لا تعرى عن لباسها من الورق كالمؤمن لا يعرى من لباس التقوى، فإنّ اللباس الظاهر يقي من آفات الدنيا، فلباس النفس الورع، ولباس القلب قطع الأمل ونفي الطمع، ولباس الروح حسم العلائق وحذف العوائق وسلوك الصراط المستقيم دون سائر الطرائق، ولباس العابدين ترك الحرام، ولباس العارفين مجانبة الآثام، ولباس المحبين نبذ الآثام)<sup>(٣)</sup>.

فالحديث شبّه بركة المؤمن ودوام نفعه، وكثرة خيره وهي أمور معنوية، بالنخلة المعروفة عند الناس بمنافعها الكثيرة، وفوائدها الجمّة.  
 وفي حديث آخر يشبّه النبي ﷺ المؤمن الصابر المحتسب عندما تصيبه الأمراض، يشبّهه بالحديده التي تصيبها النار، فتذهب عنها الأوساخ والخبث.

عن عبد الرحمن بن أزهر عن النبي ﷺ قال: {إنما مثل العبد المؤمن حين يصيبه الوعك والحمى، كمثل حديده تدخل النار فيذهب خبثها ويبقى طيبها}<sup>(٤)</sup>.

فالحديث الشريف يدلُّ على أنّ المصائب والأمراض تنقي المؤمن من الذنوب والخطايا، وشبّه تطهير المؤمن بالأمراض والنوائب بتنقية النار للحديد من خبثه، فيصبح الحديد صافياً نقياً نافعاً، وهكذا يصبح المؤمن طاهراً من السيئات عندما يصبر على البلاء، وضرب المثل بذلك زيادة في التوضيح والتقرير؛ لأنه أوقع في القلب، ويريك المتخيّل متحقّقاً، والمعقول محسوساً.

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، ص ٦/ ٧٩، برقم ٤٦٩٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص ٤/ ٤٩٣.

(٣) شرح ابن بطال على البخاري، ابن بطال القرطبي، ص ٩/ ٣١١.

(٤) صحيح الحاكم في المستدرک، ٢٣٩/١، برقم ٢٢٨.

### ثالثاً: تشبيهات الحياة الدنيا:

(لقد كانت نظرة المشركين الخاطئة للحياة أعظم حائل بينهم وبين التفكير في أدلة الإسلام، فاهماكهم في الإقبال على الحياة ونعيمها، والغرور بها صرفهم عن أعمال عقولهم في أدلة التوحيد والبعث، فقد غرَّ هؤلاء انغماسهم في الدنيا عن النظر في حقائق الإسلام)<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٥﴾ إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَأَيُّتُنَا قَالِ اسْطِيرُ الْأُولِينَ ﴿١٦﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

فجاءت نصوص الكتاب والسنة بوصف لحال هذه الحياة الدنيا التي اغترَّ بها الناس، وضلوا في متاهاتها، وابتعدوا بسببها عن صراط الله المستقيم، وفي سبيل ذلك شبَّهت الآيات الكريمة الحياة الدنيا وزينتها، ثم فناءها وانقضائها، بما يراه الناس من حولهم ويدركونه.

تؤكد الآيات القرآنية أن الحياة الدنيا آيلة إلى الفناء سريعة الانقضاء، والإنسان إن فتن بها وغفل عن حقيقتها، يشغله العجبُ بها عن طاعة الله، وإنَّ الوقوف على حقيقة هذا الحياة الدنيا، واليقين بسرعة انقضائها، وقلة بقائها، مما يحمل النفس على الإقبال على الدار الآخرة والتأهب لها، فأراد الله سبحانه أن يبيِّن لهم حقارة الحياة الدنيا التي اغتروا بها، وصرفتهم عن معرفة الحق واتباعه، فضرب لهم مثلاً شبه فيه الحياة الدنيا زينتها، وفرح الناس بها، ثم ذهابها وانقضائها كأنها لم تكن، فيقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ

السَّمَاءِ فَآخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ

زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ ﴿١٧﴾ عَلَيَّا أَتْنَاهَا أُمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا

حَصِيدًا كَأَنْ لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ ﴿١٨﴾ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَدْعُوا

إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٠﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص ٣٣٠/١٥.

(٢) سورة القلم : ١٤-١٥.

(٣) سورة يونس : ٢٤ - ٢٥.

قال الرازي في تفسيره للآية الكريمة: (اعلم أنه تعالى لما قال: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾<sup>(١)</sup> أتبعه بهذا المثل العجيب الذي ضربه لمن يبغى في الأرض ويعتد بالدنيا، ويشتد تمسكه بها، ويقوي إعراضه عن أمر الآخرة والتأهب لها)<sup>(٢)</sup>. إن انغماس الكثير من الناس في الحياة الدنيا ونسيانهم الآخرة، يجعل هؤلاء في غفلة لا توقظها اللغة المجردة، ولا سبيل إلى تحريك هذه الدوافع وإيقاظ تلك الغفلة إلا بفتح باب من العين إلى مكان المعقول من القلب، فيشبه ربنا سبحانه وتعالى في هذه الآية الحياة الدنيا في إقبالها وإدبارها كماء يتزل من السماء فيختلط بها نبات الأرض، فإذا هو مونتق مغدق، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها، فإذا هي عروس فاتنة تسي الأرواح وتأخذ بمجامع القلوب، وإذا الإنسان أسير فتنتها وهو يظن أنه أسرها ومالكها والقادر عليها، فيطغى ويبغى في الأرض ويغفل عن الدار الآخرة، وسرعان ما يأتي أمر الله فيحصد جذور هذا الحياة الدنيا، ويظفيء هذا الوهج المتألق ويجعلها، حصيداً كأن لم تغنى بالأمس، ومن خلال هذا التشبيه البديع، ترى وتسمع وتفكر وتجد وتعقل وتحس، حتى يتقرر ذلك في النفس أبلغ قرار وأكثره، وقد نفذ إليها من منافذ شتى لا من منفذ الذهن وحده، وباللغة المجردة عندما شبه انقضاء نعيم الدنيا وزخرفها وزينتها، بحال الأرض المحصودة الميتة التي كانت من قبل على أحسن منظر وأجمل حال<sup>(٣)</sup>.

(و ضرب الله سبحانه مثلاً آخر يدل على حقارة الدنيا وقلة بقائها، فشبّه الحياة الدنيا بالنبات الذي نزل عليه ماء السماء فاهتز ونما وحسن منظره، ثم إذا انقطع ذلك مدة جفّ ذلك النبات وصار هشيماً، وهو النبات المتكسر المتفتت)<sup>(٤)</sup>، فقال سبحانه: ﴿وَأَصْرَبُ هُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة يونس: ٢٣.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ص ٢٦٢/٨.

(٣) انظر أسرار التنوع في تشبيهات القرآن الكريم، ملك حسن بنخش، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ط ١، ١٤١٠هـ.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢١٢/١٠.

(٥) سورة الكهف: ٤٥.

بهذه الجملة الموجزة القليلة يأمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام أن يصوّر للجاحدين المستطيلين والمستطيين للحياة الدنيا المفتونين بها، وأن يحكي لهم قصتها فيصوّر لها لهم في حقيقة قصرها وان طالت مدتها آلاف السنين، فمعيار تقدير الأمور كلها وقوعاً هو معيار الله العالم بحقيقة الأمور<sup>(١)</sup>. (فأحوال الدنيا أيضاً كذلك تظهر أولاً في غاية الحسن والنضارة، ثم تتزايد قليلاً قليلاً، ثم تأخذ في الانحطاط إلى أن تنتهي إلى الهلاك والفناء، ومثل هذا الشيء ليس للعاقل أن يتهجج به)<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَبًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

(المقصود بالحياة الدنيا في هذه الآية الأشغال والتصرفات والفكر التي هي مختصة بالحياة الدنيا، وأمّا ما كان من ذلك في طاعة الله وسبيله، وما كان من الضرورات التي تقيم الأود، وتعين على الطاعات فلا مدخل له في هذه الآية)<sup>(٤)</sup>.

وصورة التشبيه في هذا المثال أنّ الإنسان يولد فينشأ فيقوى ويبلغ أشده، ثم يأخذ بعد ذلك في الانحطاط فيشيب ويضعف، وتصيبه الأمراض والبلايا والرزايا، ثم يموت ويلى ويصير ماله لغيره، فحاله كحال أرض أصابها مطر فنبت عليها العشب نباتاً معجباً أنيقاً، ثم يبس واصفر، فذهبت زينته وبهجته وأصبح حطاماً<sup>(٥)</sup>.

والغرض من التشبيه في الآيات الكريمة تنبيه العباد إلى أنّ كل ما في الحياة الدنيا من نعيم كثر أو قل، فمصيره إلى فناء وزوال، كما أنّ نبات الأرض ماله إلى هلاك وبوار، وفي ذلك أبلغ موعظة في التحذير من الاغترار بنعيم الدنيا وزينتها؛ لأنه متاع فان، وكل فان حقير، وقد تكرّر هذا النوع من التشبيه في عدة سور من القرآن الكريم، من خلال تشبيهه

(١) انظر الطرق التربوية وعلم النفس من القرآن الكريم، أحمد الحبابي، ص ١١٥.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ١٠/٢١٢.

(٣) سورة الحديد: ٢٠.

(٤) المحرر الوجيز، ابن عطية، ص ٢٢٦/٥.

(٥) انظر الطرق التربوية وعلم النفس من القرآن الكريم، أحمد الحبابي، ص ١١٩.

زوال الدنيا ونعيمها، بزوال المخلوقات المحسوسة التي نرى زوالها، ونعائنها نهايتها من حولنا في كل حين.

(من خلال ما مرَّ من الأمثلة يظهر أنَّ التشبيهات التي استخدمها القرآن الكريم، وبخاصة تشبيه المعقولات بالمحسوسات، فيه ذكرى وعظة وعبرة، وإفهام وإيقاظ للمشاعر والضمائر، ولفت الأنظار وشدَّ الانتباه إليها)<sup>(١)</sup>، وليس عجيباً أن تجد تشبيهات القرآن قد استعملت تلك الكلمات كلاً بما تليق به، كالحمار، والكلب، والعنكبوت، والجراد، والفراش، والجبال، والصفوان، والحجارة، واللؤلؤ، والياقوت، والمرجان، والزرع، والنخيل، والعصف، والريح، والهشيم، والرماد، والسراب، والظلمات، إلى غير ذلك من المظاهر أو الظواهر الموجودة في هذا الكون الفسيح، والثابتة الدائمة في حياة الإنسان، فإذا ما استعملها القرآن في تشبيهاته كانت صور هذا التشبيه حاضرةً ماثلة في الأذهان، وحيّةً شاخصة في الوجدان، ومن ثم يكون التأثير المقصود، وهذا هو سرُّ خلود القرآن وحياته في نفوس الناس منذ أنزله الله، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها)<sup>(٢)</sup>، والإطالة في ذكر تشبيهات القرآن والسنة تتطلّب مجلدات، وليس المراد بهذا البحث الاستقصاء، وإنما التنبيه إلى ما يزخر به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولفت النظر إلى الدرر العظيمة والمواعظ الحكيمة التي تتضمنها هذه التشبيهات.

(١) التفسير المنير، وهبة الزحيلي ١٣، ص/٢٤٧.

(٢) انظر الصورة الأدبية في القرآن الكريم، صلاح الدين عبد التواب، ص ٥١-٥٢.

## المبحث الثالث

### التشبيه بالمثل في الدعوة إلى الله تعالى

#### تمهيد:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (١).

إنَّ تصريف الآيات يشمل تنويع الحجج والبراهين على قضية واحدة، فيؤتى للقضية الواحدة بأكثر من دليل وبرهان، فتتابع عليهم الحجج، وتُصَرَّف لهم الأمثال والعبر، ويشمل تصريف الآيات تنويع الأساليب، فيؤتى بالدليل الواحد بأكثر من أسلوب: فتارة بالخبر، وتارة بالاستفهام، وأخرى بالقصص، وأحياناً بالتشبيه وضرب الأمثال، وكل ذلك وارد في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

(فقد ساق القرآن الكريم في تربيته وتعليمه وفي تلقين مثل الإسلام ومبادئه طرقاً تربوية شتى سبق إليها جميع علماء التربية القدماء والمحدثين، كما امتاز بمنهج وأشكال لم يستفطن إليها أحد منهم، فرَّبى وهذب عن طريق ضرب الأمثال، وعبَّر عن معانٍ معقولة بألفاظ تدل على محسوسات لتقريب المعنى إلى الأفهام، وسلك طريق التصوير التشخيصي بواسطة التخييل والتجسيم، واتجه إلى إثارة الوجدان، كما اتجه إلى إثارة العاطفة والعقل إلى غير ذلك من الطرق الفنية التي امتاز بها القرآن، كلُّ ذلك في جمال لفظ، وروعة أسلوب، واتساق نظام، وطرافة وحسن انتظام، ولا عجب في هذا؛ إذ القرآن الكريم قمة القمم، وذروة الذرى بلاغة وفصاحة، وأسلوباً، واتساقاً، وروعة، ففيه ما لا عين قرأت من محاسن بلاغة بلغاء العرب، ولا أذن سمعت من صدق القصص وعجائب الكلام) (٢).

لذلك كان من أهم هذه الأساليب في الدعوة التشبيه بضرب الأمثال، وأمثلة القرآن والسنة، أنفع الأمثلة وأحسنها وأكملها؛ لما حوته من المعاني الحسنة، والدلائل العميقة، المتضمنة للحكمة.

لذلك فقد اهتم علماء الإسلام بأمثال الكتاب والسنة عنايةً فائقة، ومن العلماء من أفرد الأمثال في القرآن بالتأليف، ومنهم من عقد لها باباً في كتابه، فأفردتها بالتأليف أبو الحسن الماوردي، وعقد لها باباً السيوطي في كتابه الإتقان، وابن القيم في كتابه أعلام الموقعين.

(١) سورة الإسراء: ٨٩.

(٢) الطرق التربوية وعلم النفس من القرآن الكريم، أحمد الحبابي، ص ٢١-٢٢.

وكذلك ألف العلماء في الأمثال النبوية، ومن هؤلاء أبو الحسن الرامهرمزي صاحب كتاب (أمثال الحديث المروية عن رسول الله ﷺ)، وأبو الشيخ الأصبهاني صاحب (الأمثال في الحديث النبوي)، وعقد الترمذي في جامعه باباً جمع فيه بعضاً من الأمثال الواردة في أحاديث النبي ﷺ.

والمثل في الأصل (بمعنى النظر يقال: مثل ومثل ومثيل كشيء وشبه وشبيه)<sup>(١)</sup>، وقد اختلف البلاغيون في الفرق بين التشبيه والتمثيل، فقد رأى الجرجاني أن التشبيه عام، والتمثيل أخص منه، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاً. وقسم الجرجاني التشبيه إلى قسمين: تشبيه تمثيلي، وتشبيه غير تمثيلي، فالتمثيل نوع من التشبيه، وبينهما عموم وخصوص، فكل تمثيل تشبيه ولا عكس، وإذا كان للتشبيه المفرد روعته وجماله، وبساطته ووضوحه، فإن التمثيل أحفل منظرًا وأوسع مدى من التشبيه المفرد، كما أن له روعته في البيان، وقوته في الإيضاح وجماله في التصوير)<sup>(٢)</sup>.

فيما يرى فريق من اللغويين أن التشبيه والتمثيل مترادفان، ولا يوجد أي فارق بينهما، ومن هؤلاء، ابن سنان الخفاجي، وابن الأثير، والزمخشري، والألوسي<sup>(٣)</sup> فعند هذا الفريق التشبيه والتمثيل شيء واحد لا فرق بينهما<sup>(٤)</sup>، يقول الألوسي: (والمثل بفتحيتين كالمثل بكسر فسكون، والمثل في الأصل النظر والشبيه، والفرقة لا أرتضيها)<sup>(٥)</sup>.

(لهذا فإن مسألة التفريق بين التشبيه والتمثيل ليست ذات أهمية؛ لأنها مسألة اصطلاحية هينة لا تتصل بأساس من أسس العلم، ولذلك نجد الذين يفرقون بين التشبيه، والتمثيل يختلفون في وجه الفرق، فما كان تمثيلاً عند أحدهم لا يكون تمثيلاً عند غيره، ولا ضير على البلاغة في هذا الاتفاق أو الاختلاف)<sup>(٦)</sup>.

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، دار صادر، بيروت، ط ١، د.ت، ص ٢٩٥/٤.

(٢) الصورة الأدبية في القرآن الكريم، صلاح الدين عبد التواب، ص ٥٣.

(٣) انظر المثل السائر ١١٥/٢، والكشاف ١٩٥/١، والقاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي، دار المعرفة، ط ٢، ٢٠٠٧م، ص ٤٩/٤.

(٤) انظر التشبيه والاستعارة منظور مستأنف، يوسف أبو العدوس، دار المسيرة، عمان، ٢٠٠٧م، ٤٢٧م، ص ٦٠-٦٣.

(٥) روح المعاني، الألوسي، ص ١٦٠/١.

(٦) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢ ١٩٨٨م. ص ٤٨٠.

## المطلب الأول: أثر التشبيه بالمثل في الدعوة إلى الله تعالى :

ضرب المثل كطريقة تربوية من أشهر طرق التربية والتعليم على وجه العموم، وذات أثر عميق في تنمية القيم الأخلاقية والاجتماعية لدى النشء على وجه الخصوص؛ لما له من تأثير إيجابي في العواطف والمشاعر، وفي تحريك نوازع الخير في النفس البشرية. وقدرة التمثيل على التأثير في استمالة النفوس وتحريك العواطف أشار إليها غير واحد من علماء البلاغة واللغة، يقول أبو السعود في تفسيره: (والتمثيل أطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل، واستتراله من مقام الاستعصاء عليه، وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبي، وقمع سورة الجامح الأبي، كيف لا؟ وهو رَفْعُ الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية، وإبراز لها في معرض المحسوسات الجلية، وإبداء للمنكر في صورة المعروف، وإظهار للوحشي في هيئة المؤلف)<sup>(١)</sup>. ويقول الزمخشري: (التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعاني، وإدناء المتوهم من المشاهد، فإن كان الممثل له عظيماً كان الممثل به مثله، وإن كان صغيراً كان الممثل به كذلك)<sup>(٢)</sup>. وقال الأصبهاني: (لضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شيء ليس بالخفي في إبراز خفيات الدقائق، ورفع الأستار عن الحقائق، تريك به المتخيّل في صورة المتحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد، وفي ضرب الأمثال تبيكت للخصم الشديد الخصومة، وقمع لسورة الجامح الأبي، فإنه يؤثّر في القلوب ما لا يؤثّر وصف الشيء في نفسه)<sup>(٣)</sup>.

وقال عبد القاهر الجرجاني: (واعلم أنّ مما اتفق عليه العقلاء أنّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفتدة صبايةً وكلفاً، وقسر الطباع على أن تعطى محبةً وشغفاً. فإن كان مدحاً كان أهي وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم، وأهز للعطف وأسرع للإلف، وأجلب للفرح، وأغلب على المتمدح، وأوجب شفاعاة

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المعروف بتفسير أبو السعود، أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص ١٥٠/١.

(٢) الكشاف للزمخشري، ص ١٣١ / ٢.

(٣) الإتيقان في علوم القرآن، السيوطي، ص ٣٩/٤.

للمادح، وأقضى له بغير المواهب والمنايح، وأسير على الألسن وأذكر، وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر، وإن كان ذماً كان مسّه أوجع، وميسمه أذع، ووقعه أشدّ، وحده أحد، وإن كان حجاجاً كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أهر، وإن كان افتخاراً كان شأوه أبعده، وشرفه أجدّ، ولسانه ألدّ. وإن كان اعتذاراً كان إلى القبول أقرب، وللقبول أخلب، وللسخائم أسل، ولغرب الغضب أفل، وفي عقد العقود أنفث، وعلى حسن الرجوع أبعث، وإن كان وعظماً كان أشفى للصدر، وأدعى للفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر وأجدر بأن يجلي الغيبة، ويصير الغاية، ويرى العليل، ويشفى الغليل..<sup>(١)</sup>.

للأمثال من الكلام موقع الإسماع، والتأثير في القلوب، فلا يكاد المرسل يبلغ مبلغها، ولا يؤثر تأثيرها؛ لأنّ المعاني بها لائحة، والشواهد بها واضحة، والنفوس بها وامقة، والقلوب بها واثقة، والعقول لها موافقة، فلذلك ضرب الله الأمثال في كتابه العزيز وجعلها من دلائل رسله، وأوضح بها الحجة على خلقه؛ لأنها في العقول معقولة، وفي القلوب مقبولة<sup>(٢)</sup>.

وقال الرازي: (إنّ المقصود من ضرب الأمثال أنّها تؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه؛ وذلك لأنّ الغرض في المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته، ويصير الحس مطابقاً للعقل، وذلك في نهاية الإيضاح، ألا ترى أنّ الترغيب إذا وقع في الإيمان مجرداً عن ضرب مثل له لم يتأكد وقوعه في القلب، كما يتأكد وقوعه إذا مُثّل بالنور، وإذا زهد في الكفر بمجرد الذكر لم يتأكد قبحه في العقول، كما يتأكد إذا مثل بالظلمة، وإذا أخبر بضعف أمر من الأمور وضرب مثله بنسج العنكبوت كان ذلك أبلغ في تقرير صورته من الإخبار بضعفه مجرداً، ولهذا أكثر الله تعالى في كتابه المبين، وفي سائر كتبه أمثاله<sup>(٣)</sup>).

فالخطيب لا يستغني في خطبته عن ضرب الأمثال؛ لما فيها من قوة التصوير والتأثير، ولذلك كانت الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت فيها بكناية من غير تصريح، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجاز اللفظ،

(١) أسرار البلاغة، الجرجاني، ص ١٠١ - ١٠٢.

(٢) انظر أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، دار الكتب العلمية.

بيروت لبنان، د.ط، ٢٠٠٣ م، ص ٣٥٨/١.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي، ص ٢٣١/١٠.

وإصابة المعنى، وحسن التشبيه<sup>(١)</sup>.

لذلك فإننا نجد القرآن الكريم قد أكثر من ضرب الأمثال، كما أكثر النبي ﷺ من ضربها، وقد كان بعض المخاطبين بالأمثال يستنكرونها ويستغربون منها، إذا كانت هذه الأمثال تبين حقيقة أمرهم وواقع عقيدتهم، وتفصح أمرهم وتسفّه أحلامهم، فكانت الآيات تشبههم تارة بالذباب والعنكبوت والبعوضة وأخرى بالكلب والحمار<sup>(٢)</sup>، كقوله سبحانه:

﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْبَةَ ثُمَّ لَمْ يُحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجِمَارِ تَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾<sup>(٤)</sup>.

واختلف الناس في موقفهم من الأمثال التي ضربها الله سبحانه، فأما المؤمنون فقد قال سبحانه في حقهم: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾<sup>(٥)</sup>. وأما الكافرون

قال سبحانه في حقهم: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾<sup>(٦)</sup>.

فأما المؤمنون الذين يصدقون بأن الله خالق الأشياء كلها صغيرها وكبيرها، فيقولون: هذا كلام الله حق، لا يقول غير الحق، والكل لديه سواء، وهذا المثل لمصلحة وحكمة، وأما الكافرون الذين يستهزئون بالأمثال بالحققات فيقولون متعجبين: ماذا أراد الله بمثل هذه الأشياء الحقيرة؟ فهم في حيرة من أمرهم، وخسارة في نهايتهم، ولو آمنوا عرفوا الحق

(١) انظر فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، ت إحسان عباس، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٧١م، ص ٣.

(٢) أخرج ابن جرير في تفسيره عن جماعة من الصحابة: لما ضرب الله هذين المثليين للمنافقين: قوله: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِينَ اسْتَوْقَدُوا نَارًا ﴾ وقوله: (أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ) الآيات الثلاث، قال المنافقون: الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً ﴾ الآية. جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، ص ١٣٨/١.

(٣) سورة الأعراف: ١٧٦.

(٤) سورة الجمعة: ٥.

(٥) سورة البقرة: ٢٦.

(٦) سورة البقرة: ٢٦.

ووجه الحكمة في ذلك<sup>(١)</sup>، قال تعالى: ﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد اتخذ منافقو العرب المنتطعون الباحثون عن كل ما يفيدهم في الوقوف في وجه الإسلام ومعارضته، اتخذوا بعض أمثال القرآن تكأة ومنفذاً للتشكيك في صدق الوحي بالقرآن، بحجة أن الله لا يمكن أن يضرب الأمثال سيما بحقيرها كالذي ضربه الله مثلاً للكفار الذي اتخذوا شركاء غير الله حيث مثلهم: (كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا). فقالوا رداً للقرآن، ودحّضاً له في زعمهم: ما أراد الله بهذا مثلاً، كأنهم ما دروا وجهلوا أو تجاهلوا أن المراد بهذه الأمثال من مسخت عقولهم، وخانهم إدراكهم في إدراك أحقية الإسلام<sup>(٣)</sup>، فردّ الله عليهم تأبيهم وممانعتهم بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ

﴿﴾<sup>(٤)</sup>.

فردّ عليهم ربنا سبحانه استنكارهم، وبين أن هذه الأمثال التي يضربها الله للناس إنما تنفع المؤمنين الذين يتفكّرون بها ويعتبرون، أمّا الذين كفروا فلا تزيدهم إلا خساراً، إن كثيراً من الأمثال التي ضرب في القرآن بصغائر الأشياء ومحقراتها هي وإن كانت بحسب الظاهر محقرات، فهي في باطن الأمر تدلُّ على جليل الصنع وكامل التدبير، وإن صنع النملة والخنفساء والعنكبوت أدقّ من صنع الفيل والجمل الزرافة<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر التفسير المنير، الزحيلي، ١/١١١ وأنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م، ص ١٨٦/١.

(٢) سورة المدثر: ٣١.

(٣) انظر الطرق التربوية وعلم النفس من القرآن الكريم، أحمد الحبابي، ص ٦٥.

(٤) سورة البقرة: ٢٦.

(٥) انظر الطرق التربوية وعلم النفس من القرآن الكريم، أحمد الحبابي، ص ٦٦.

---

---

إنَّ ضرب المثل وإن كان بالمحقِّرات التي لها شأن في الاستدلال على وجود الصانع وجلال الصنع، ودلالة على كمال حكمته، له أبلغُ الأثر في التأثير والوصول إلى نفس المخاطبين بالقرآن؛ إذ هذا هو هدفُ بلاغة القرآن وروحها، وغايةُ ما يراد منها ومقصودها<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر الطرق التربوية وعلم النفس من القرآن الكريم، أحمد الحبابي، ص ٥٧.

## المطلب الثاني: نماذج للتشبيه في المثل في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة:

أولاً: في القرآن الكريم:

استخدم القرآن الكريم أسلوب ضرب الأمثال في مختلف المجالات في دعوة الناس إلى الله، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup> وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>. وقال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾<sup>(٤)</sup> (وكان بعض السلف إذا قرأ مثلاً لم يفهمه يشتد بكأوه، ويقول: لست من العالمين)<sup>(٥)</sup>.

لقد استعمل القرآن الكريم في أساليبه طرقاً تربوية كان لها أعظم الأثر في الأخذ بنفوس مخاطبيه العرب، وقلب أوضاعهم الفكرية، وسوقهم إلى رحابة الإسلام ببسر وسهولة، إلا أن ضرب الأمثال كان من أهم طرقه التي اندقت لها أعناق بلغائهم المنصفين، فوقفوا أمامها مهللين مكبرين، مبهوتين مأخوذين بروعتها وجمالها وجلالها<sup>(٦)</sup>.

إن من يمعن النظر في أسلوب التمثيل في لغة القرآن العظيم يتضح له أنه ينطوي على كثير من اللطائف والأسرار التي تحرك الأحاسيس والمشاعر، وتمزّ العواطف، فهو أسلوب قد أحسن استخدامه على أتم وجه، ومن ثم فإنه يؤدي دوره وهو متمكن من نفسه، ثم من نفوس السامعين فنجد أنه يؤثر تأثيراً قوياً في النفوس، حيث ساعدت في إبراز المعقول في صورة المحسوس، وكشف الحقائق، وتقريب المعاني البعيدة من الفهم، وتثبيت المعاني في الذهن،

(١) سورة الحشر: ٢١.

(٢) سورة الزمر: ٢٧.

(٣) سورة الحج: ٧٣.

(٤) سورة العنكبوت: ٤٣.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م،

ص ١٥.

(٦) انظر الطرق التربوية وعلم النفس من القرآن الكريم، أحمد الحبابي، ص ٥٧.

وصياغتها في عبارات سهلة موجزة، وسهّلت سبيل الألفاظ والتأسي، فكانت بعض سبل القرآن لعظة الناس وهدايتهم<sup>(١)</sup>.

وقد اختلفت الأمثال في القرآن باختلاف المثل له، فقد ضرب المثل بالذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنوره، وضرب المثل بالأشياء التي ختم عليها فلا ينتفع بها، وضرب المثل بالتاجر الخاسر الذي اشترى سلعةً خاسرةً بسلعةٍ رابحة، وضرب المثل بالصم والبكم، وضرب المثل بالحجارة أو أشدّ منها قسوة، وضرب المثل بصبغ الله الذي لا ينشكف ولا يزول، وضرب المثل باللباس، وضرب المثل بالحبة التي أنبتت سبع سنابل، وضرب المثل بالصفوان، وضرب المثل بالجنة الواقعة على ربوة، وضرب المثل بالإعصار المحرق، وضرب المثل لعيسى بآدم عليهما السلام، وضرب المثل بمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها، وضرب المثل بالحصيد الذي لم يغن بالأمس، وضرب المثل بمن ييسط يديه إلى الماء ليلبغ فاه، وضرب المثل بالزبد الذي يذهب جفاء، وبما ينفع الناس ولا يذهب، وضرب المثل بالرماد الذي اشتد به الريح في يوم عاصف، وضرب المثل بالشجرة الطيبة وبالشجرة الخبيثة، وضرب المثل بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، وضرب المثل بالرجل الكلّ على مولاه، وضرب المثل بالقريّة الآمنة مطمئنة التي كفرت بأنعم الله، وضرب المثل بمن خرّ من السماء فتخطفه الطير، أو هوت به الريح في مكان سحيق، وضرب المثل بمن لا يقدر على خلق الذباب، وضرب المثل بالسراب بقية الذي يظنه الظمان ماء، وضرب المثل بنور المشكاة، وضرب المثل بمن هو في بحر لحيّ يغشاه موج من فوقه موج، وضرب المثل بالعنكبوت التي اتخذت بيتاً، وضرب المثل، بالرجل الذي لا شركاء متشاكسون فيه، وغير ذلك مما ورد من الأمثال وهذا على سبيل المثال وليس بقصد الاستقصاء<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر التعبير الفني في القرآن، بكرى الشيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٥م، ص ٢٣٠ والاساليب

التربوية والوسائل التعليمية في القرآن الكريم، شاهر ذيب، دار جرير، د.م، ط ١، ٢٠٠٥م، ص ١٣٩.

(٢) انظر الطرق التربوية وعلم النفس من القرآن الكريم، ص ٦٧-٦٨ و وكرت العمال، المتقي الهندي، المكتب

الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٨هـ، ص ٣٦١/١.

وقد صنف العلماء أمثال القرآن، في الأنواع التالية<sup>(١)</sup>:

### الأمثال الموجزة السائرة:

وهي آيات تَضَمَّتْ قيماً ومبادئ خلقية سامية، لم تكن أمثالاً في وقت نزولها، وإنما اكتسبت صفة المثلية بعد نزول القرآن، وانتشار آياته بين الناس، وهذه الآيات أو العبارات القرآنية لا تشمل نصوصها لفظ التشبيه أو التمثيل، ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾<sup>(٢)</sup>، و﴿الَّذِينَ حَصَّصَ الْحَقُّ﴾<sup>(٣)</sup>، و﴿أَلَيْسَ الْأُصْبُحُ بِقَرِيبٍ﴾<sup>(٤)</sup>، و﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾<sup>(٥)</sup>، و﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾<sup>(٦)</sup>، و﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾<sup>(٧)</sup>، و﴿لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾<sup>(٨)</sup>.

### الأمثال القياسية المصراحة:

ويقصد بها تلك الآيات التي تَضَمَّتْ سرداً وصفياً، أو قصصياً مطولاً، وتَضَمَّتْ لفظة المثل أو ما ينوب عنها من أدوات التشبيه، لتوضيح معنى ما عن طريق التشبيه المركب، أو الاستعارة التمثيلية، ويسمِّيها علماء البلاغة التمثيل، ومن أمثلتها التي تتضمَّن سرداً وصفياً قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ

(١) انظر المثل الصريح وما يجري مجراه، سالم مرعي الهدروسي، مجلة اللسان العربي، العدد ٤٥، ١٩٩٨م، ص ١٧-١٨، وانظر غاية البيان في أمثال القرآن، صابر حسن محمد أبو سليمان، دار عالم الكتب، ط ١، ٢٠٠١م، ص ٩، وانظر أيضاً: ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة وكلام العرب، مصطفى عيد الصياصنة ص ٧٥.

(٢) سورة آل عمران: ٩٢.

(٣) سورة يوسف: ٥١.

(٤) سورة هود: ٨١.

(٥) سورة فاطر: ٤٣.

(٦) سورة البقرة: ٢١٦.

(٧) سورة يوسف: ٤١.

(٨) سورة المائدة: ١٠٠.

يَكَادُ زِينَتُهَا يُضِيءُ ۖ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ  
الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾<sup>(١)</sup>. ومن أمثلة السرد القصصي قوله تعالى:  
﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٦﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اتِّخَيْنِ  
فَكَذَّبُوهُمَا فَعُزِّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿٣٧﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ  
الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِن أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿٣٨﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿٣٩﴾ وَمَا عَلَيْنَا  
إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٤٠﴾<sup>(٢)</sup>.

وهذا النوع من الأمثال القرآنية يتضمّن صوراً تشبيهية مركبة، تبرز مقاصدها الخفية،  
ومعانيها المضمرة بوسائل تعبيرية بليغة، في غاية الجمال والوضوح، تبعث في النفس الإنسانية  
البهجة، وتثير فيها رهبة العظمة، وتهدّئها بإرشادها إلى الخير، وتكشف لها عن أسرار الخلق  
وعظمة الخالق عز وجل.

**الأمثال الكامنة:** ويقصد بها الآيات القرآنية التي يصرّح القرآن بأنها أمثال، ولم تسر في الناس  
سيرورة الأمثال الموجزة المرسلة، وإنما هي أمثال في نظر العلماء؛ لاشتمالها على معان قريبة  
الشبه أو الصلة بأمثال عربية سائرة، فهي عندهم أمثال بمعانيها لا بألفاظها، ومن هنا سُمّيت أمثالا  
كامنة، ومن ذلك ما أورده السيوطي<sup>(٣)</sup> أن المثل: (خير الأمور أوسطها) يكمن معناه في القرآن  
في أربعة مواضع هي: قوله تعالى: ﴿ لَا فَرِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله  
تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾<sup>(٥)</sup>،  
وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾<sup>(٦)</sup>، وقوله تعالى:

(١) سورة النور: ٣٥.

(٢) سورة يس: ١٣-١٧.

(٣) انظر الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ٤١/٤-٤٣.

(٤) سورة البقرة: ٦٨.

(٥) سورة الفرقان: ٦٧.

(٦) سورة الإسراء: ١١٠.

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن النماذج في القرآن الكريم:

أ/ مَثَلُ نُورِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ:

قال تعالى: ﴿ \* اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ مِثْلُ مِصْبَاحٍ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾<sup>(٢)</sup>.

هذه الآية الكريمة تتحدث عن سلطان الله جلَّ جلاله في هذا الوجود، وامتلاكه لخاصية كل موجود فيه، ففيها يخبر سبحانه وتعالى عن نفسه بأنه نور السموات والأرض، وقد ضرب الله في هذه الآية هذا المثل لنوره سبحانه وتعالى، وهذا المثل العظيم من أروع الأمثلة وأعظمها، وقد اعتنى العلماء في تفسير هذا المثل القرآني، وأبدعوا في عرض المعاني العميقة والتشبيهات العظيمة التي يحتويها.

إنه مثل يقرب الله تعالى به للإدراك البشري الضعيف المحدود صورة غير المحدود، ويرسم نموذجاً مصغراً يتأمله الحس حين يعجز ويقصر عن تأمل الأصل، فهو يصور للعقل نوره تعالى الغير محدود والغير متناهي الذي لا يمن أن توفي به عبارة، أو يدل عليه بشيء كسائر صفات كماله وأسمائه ونعوته، إنما يقرب بها إلى عقول وأفهام الخلق، وإلا فلا يفني بها وصف ولا تحيط بها لغة<sup>(٣)</sup>.

قال سبحانه: (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) وللمفسرين ههنا أقوال:

الأول: الله هادي أهل السموات والأرض.

الثاني: الله يدبر الأمر في السموات والأرض، وهو سبحانه مُنور السموات والأرض.

(١) سورة الإسراء: ٢٩.

(٢) سورة النور: ٣٥.

(٣) انظر الطرق التربوية وعلم النفس من القرآن الكريم، أحمد الحبابي، ص ١٤٣ ومن أساليب القرآن، محمد علي، دار

البشائر، بيروت، د.ط، ١٣٩٨هـ، ص ٥٣.

الثالث: الله ضياء السموات والأرض<sup>(١)</sup>. قال ابن القيم رحمه الله: (والحقُّ أنه نور السموات والأرض بهذه الاعتبارات كلها)<sup>(٢)</sup>.

(فالله عز وجل منور العالم كله، وهاديه بما أقام فيه من أدلة في الكون على وجوده وتوحيده، وبما أنزل على رسله من الآيات البيّنات الواضحات، فمن اهتدى بذلك النور واستنار قلبه بمهياة الله فاز بسعادة الدنيا والآخرة. وهذا هو النور المعنوي، أمّا النور الحسي فواضح أيضا أنّ الله هو مصدر النور، وخالق النور، ومأحي الظلام، ومدبّر الكون بنظام دقيق ثابت، وله عليه الهيمنة التامة والشاملة والمستمرة في كل لحظة وزمان)<sup>(٣)</sup>.

ثمّ يقول سبحانه: (مَثَلُ نُورِهِ)، وهنا أيضا للعلماء أقوال، على مَنْ يعود الضمير في التمثيل، فالقول الأول: مَثَلُ نور الله: أي مثل: هدى الله في قلب المؤمن. الثاني: مثل نور المؤمن الذي في قلبه من القرآن والإيمان. الثالث: مثل نور محمد ﷺ. الرابع: مثل نور القرآن<sup>(٤)</sup>. قال ابن القيم: (والصحيح أنه يعود على الله ﷻ، والمعنى: مثل نور الله ﷻ في قلب عبده، وأعظم عباده نصيباً من هذا النور رسوله ﷺ، فهذا مع تضمّن عود الضمير إلى المذكور، وهو وجه الكلام، يتضمّن التقادير الثلاثة، وهو أتمّ معنىً ولفظاً، وهذا النور يضاف إلى الله تعالى؛ إذ هو معطيه لعبده، وواهبه إيّاه، ويُضاف إلى العبد؛ إذ هو محله وقابله، فيضاف إلى الفاعل والقابل، ولهذا النور فاعل، وقابل، ومحلّ، وحامل، ومادة، وقد تضمّنت الآية ذكر هذه الأمور كلها على وجه التفصيل: فالفاعل هو الله تعالى، مُفِيضُ الأنوار، الهادي لنوره من يشاء، والقابل العبد المؤمن، والمحلّ قلبه، والحامل: همته، وعزيمته، وإرادته، والمادة: قوله وعمله)<sup>(٥)</sup>.

﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾<sup>(٦)</sup>

شَبَّهت الآية هذا النور وهو نور الله القائم في صفحة الكون، وبيان القرآن وما أودعه في

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، ١٧٧/١٩.

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ، م ١٩٨٤، ٤٦/٢.

(٣) التفسير المنير، الزحيلي، ٢٤٢/١٨.

(٤) انظر جامع البيان في تأويل آي القرآن، للطبري، ١٧٨/١٩-١٧٩.

(٥) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ابن القيم، ٤٩/٢-٥٠.

(٦) سورة النور: ٣٥.

قلب المؤمن من الإيمان، كنور مصباح في قنديل زجاجي صاف مزهر، موضوع في كوة أو طاقة، لينبعث النور في اتجاه معين تقتضيه الحاجة، وكأن زجاج هذا المصباح في إضاءته كوكب عظيم ونجم ضخم من الكواكب السيارة مثل الزهرة وعطارد والمشتري<sup>(١)</sup>.  
ومثل الله نوره، أي معرفته في قلب المؤمن، بنور المصباح دون نور الشمس، مع أن نورها أتم؛ لأن المقصود تمثيل النور في القلب، والقلب في الصدور، والصدر في البدن، بالمصباح والمصباح في الزجاج، والزجاج في القنديل<sup>(٢)</sup>.

ثمَّ بيَّن سبحانه أن هذا المصباح (يوقد من شجرة مباركة زَيْتُونَةٍ) فهو يوقد بزيت شجرة الزيتون المباركة، التي أقسم الله بها في كتابه العظيم، (لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ) أي ضاحية للشمس لا يظلمها جبل ولا شجر ولا يحجبها عنها شيء من حين تطلع إلى أن تغرب وذلك أحسن لزيته<sup>(٣)</sup>.

(يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ) (أي هو في الصفاء والإنارة بحيث يكاد يضيء بنفسه من غير مساس نار أصلاً، (تُورُّ على نُورٍ) أي هذا النور الذي شبّه به الحق نوراً متضاعفاً قد تناصر فيه المشكاة والزجاج والمصباح والزيت حتى لم تبق بقية مما يقوي النور، وهذا لأن المصباح إذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان أجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فإن الضوء ينتشر فيه، والقنديل أعون شيء على زيادة الإنارة وكذلك الزيت وصفاءه، وضرب المثل يكون بدنيء محسوس معهود لا بعلي غير معين ولا مشهود<sup>(٤)</sup>).

(ووجه هذا المثل الذي ضربه الله، وتطبيقه على حالة المؤمن، ونور الله في قلبه، أن فطرته التي فطر عليها، بمتزلة الزيت الصافي، ففطرته صافية، مستعدة للتعاليم الإلهية، والعمل المشروع، فإذا وصل إليه العلم والإيمان، اشتعل ذلك النور في قلبه، بمتزلة اشتعال النار في فتيلة ذلك المصباح، وهو صافي القلب من سوء القصد، وسوء الفهم عن الله، إذا وصل إليه الإيمان، أضاء إضاءة عظيمة، لصفائه من الكدورات، وذلك بمتزلة صفاء الزجاج الدريسة،

(١) التفسير المنير، الزحيلي، ص ٢٤٤/١٨.

(٢) انظر الجدول في إعراب القرآن، محمود بن عبد الرحيم صافي ٢٦٥/١٨.

(٣) انظر روح المعاني، الألويسي، ص ١٦٨/١٨.

(٤) مدارك التنزيل، النسفي، ص ٤١٧/٢.

فيجتمع له نور الفطرة، ونور الإيمان، ونور العلم، وصفاء المعرفة، نور على نوره<sup>(١)</sup>. وهذا التشبيه العجيب الذي تضمّنته الآية فيه من الأسرار والمعاني، وإظهار تمام نعمته على عبده المؤمن بما أناله من نوره ما تقرّ به عيون أهله، وتبتهج به قلوبهم<sup>(٢)</sup>.

### وفي التشبيه لأهل المعاني طريقتان:

**أحدهما:** طريقة التشبيه المركب، وهي أقرب مأخذاً، وأسلم من التكلف، وهي أن تشبّه الجملة برمتها بنور المؤمن من غير تعرّض لتفصيل كلّ جزء من أجزاء المشبه، ومقابلته بجزء من المشبّه به، وعلى هذا عامة أمثال القرآن الكريم، فتأمل صفة مشكاة، وهو كوة لا تنفذ لتكون أجمع للضوء، وقد وضع فيها مصباح، وذلك المصباح داخل زجاجة تشبه الكوكب الدرّي في صفائها وحسنها، ومادته من أصفى الأدهان وأتمها وقوداً من زيت شجرة (لا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ) بحيث تصيبها الشمس في أحد طرفي النهار، بل تصيبها الشمس أعدل إصابة، فمن شدة إضاءة زيتها وصفائه وحسنه يكاد يضيء من غير أن تمسّه نار، فهذا المجموع المركب هو مثل نور الله تعالى الذي وضعه في قلب عبده المؤمن وخصه به.

**والطريقة الثانية:** طريقة التشبيه المفصل، فقول: المشكاة: صدر المؤمن، والزجاجة قلبه، وشبه قلبه بالزجاجة لرقتها، وصفائها، وصلابتها، وكذلك قلب المؤمن، فإنه قد جمع الأوصاف الثلاثة: فهو يرحم، ويحسن، ويشفق على الخلق برأفته، وبصفائه تتجلى فيه صور الحقائق والعلوم على ما هي عليه، ويباعد الكدر والدرن والوسخ بحسب ما فيه من الصفاء،.... والمصباح: هو نور الإيمان في قلبه، والشجرة المباركة: هي شجرة الوحي المتضمنة للهدى، ودين الحق، وهي مادة المصباح، التي يتقد منها، والنور على النور: نور الفطرة الصحيحة، والإدراك الصحيح، ونور الوحي والكتاب، فينضاف أحد النورين إلى الآخر، فيزداد العبد نوراً على نور<sup>(٣)</sup>. (إنه مثل بين واضح، يقرب للإدراك المحدّد صورة غير المحدود، يرسم النموذج المصغر، الذي يتأمله الحسّ، حيث يعجز عن تمليّ الأصل، والتمتع باستيعابه،

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٥١٧ .

(٢) انظر اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ٤٩/٢-٥٢ .

(٣) انظر اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ٤٩/٢-٥٢ .

ويقرّب لمدارك الذهن طبيعة ذلك النور، حين تقصر تلكم المدارك عن تتبّع مداه، وتلمّس خيوط آفاقه المرتامية، وراء طاقات الإدراك البشري الحسير<sup>(١)</sup>.

ب/ مثلُ المنافقين:

لقد اتخذ القرآن الكريم أسلوب التمثيل وسيلةً إلى التغلغل في أعماق المنافقين، فكشف عن منازعهم ونوازعهم، وأخبر عن خوالج أنفسهم ونبضات قلوبهم، وأماط اللثام عن خوافي حالاتهم وأحوالهم، وضرب الله الأمثال لهؤلاء المنافقين، حتى يفتضح أمرهم بين الناس، وتقام عليهم الحجة، فمن الأمثال التي ضربها الله لهؤلاء بعد أن فضح نفاقهم وبيّن أنّ باطنهم خلاف ظاهرهم، حيث يظهرون للمؤمنين خلاف ما يبطنون، وكشف ما يتداولونه مع شياطينهم من الإنس، من العداوة والبغضاء للإيمان وأهله.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامِنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾<sup>(٢)</sup>.

بيّن الله سبحانه وتعالى تناقضهم وتذبذبهم في بداية الآية، ذلك أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فإذا اجتمعوا بالمؤمنين، أظهروا أنهم على طريقتهم وأنهم معهم، فإذا خلوا إلى رؤسائهم وكبرائهم، قالوا: إنا معكم في الحقيقة، وإنما نحن مستهزءون بالمؤمنين بإظهارنا لهم، أنا على طريقتهم، فهذه حالهم الباطنة والظاهرة، قال سبحانه:

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٧﴾ صُمُّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي ءِذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ تَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ ۗ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة وكلام العرب، مصطفى عيد الصياصنة، ص ١٣٢.

(٢) سورة البقرة: ١٤.

(٣) سورة البقرة: ١٤ - ٢٠.

(فوصفهم ربنا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى، حيث رغبوا في الضلالة، رغبة المشتري بالسلعة، التي من رغبته فيها يبذل فيها الأثمان النفيسة، وهذا من أحسن الأمثلة، فإنه جعل الضلالة، التي هي غاية الشر، كالسلعة، وجعل الهدى الذي هو غاية الصلاح بمثلة الثمن، فبدلوا الهدى رغبة عنه بالضلالة رغبة فيها، فهذه تجارتهم، فبئس التجارة، وبئس الصفقة صفتهم<sup>(١)</sup>).

ولما جاءت الآية بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميماً للبيان، فأعقت تفاصيل صفتهم بتصوير مجموعها في صورة واحدة، بتشبيه حالهم بمهيئة محسوسة، وهذه طريقة تشبيه التمثيل، إلحاقاً لتلك الأحوال المعقولة بالأشياء المحسوسة، لأن النفس إلى المحسوس أميل<sup>(٢)</sup>.

فضربت الآيات لهؤلاء المنافقين مثلين اثنين؛ لتوضيح حالهم وبيان شناعة أعمالهم وسوء أفعالهم، تنكيلاً بهم، وفضحاً لأموالهم، الأول منها ضربته الآية لسرعة انكشاف أمرهم: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٧٧﴾ صُمُّ بكم عمى فهم لا يرجعون ﴿٧٨﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

فمثل هؤلاء المنافقين، (كالذي كان في ظلمة عظيمة، وحاجة إلى النار شديدة فاستوقدها من غيره، فلما أضاءت النار ما حوله وانتفع بها، وأمن من المخاوف من حوله، فبينما هو كذلك، إذ ذهب الله بنوره، فذهب عنه النور، وذهب معه السرور، وبقي في الظلمة العظيمة والنار المحرقة، فذهب ما فيها من الإشراق، وبقي ما فيها من الإحراق، فكذلك هؤلاء المنافقون، استوقدوا نار الإيمان من المؤمنين، ولم تكن صفة لهم، فانتفعوا بها وحقت بذلك دماؤهم، وسلمت أموالهم، وحصل لهم نوع من الأمن في الدنيا، فبينما هم على ذلك إذ هجم عليهم الموت، فسلبهم الانتفاع بذلك النور، وحصل لهم كل هم وغم وعذاب، وحصل لهم ظلمة القبر، وظلمة الكفر، وظلمة النفاق، وظلمة المعاصي على

(١) تيسير الكريم الرحمن، ابن سعدي، ٤٢/١-٤٣.

(٢) انظر التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص ١٣٥/١.

(٣) سورة البقرة: ١٧.

اختلاف أنواعها، وبعد ذلك ظلمة النار وبئس القرار<sup>(١)</sup>.

وهذا التمثيل تمثيلٌ لحال المنافقين في ترددهم بين مظاهر الإيمان وبواطن الكفر، فوجه الشبه هو: ظهور أمر نافع ثم انعدامه قبل الانتفاع به، فإن في إظهارهم الإسلام مع المؤمنين صورةً من حسن الإيمان وبشاشته؛ لأن للإسلام نوراً وبركة، ثم لا يلبثون أن يرجعوا عند خلوهم بشياطينهم فيزول عنهم ذلك، ويرجعوا في ظلمة الكفر أشدّ مما كانوا عليه؛ لأنهم كانوا في كفر فصاروا في كفر وكذب، فهؤلاء المنافقون حينما يجالسون النبي ﷺ وحينما يتظاهرون بالإسلام والصلاة والصدقة مع المسلمين ويصدر منهم طيب القول، وقويم السلوك، وتشرق عليهم الأنوار النبوية، فيكاد نور الإيمان يخترق إلى نفوسهم، ولكن سرعان ما يعقب تلك الحالة الطيبة حالة تضادها عند انفضاضهم عن تلك المجالس الزكية، وخلوصهم إلى بطانتهم من كبرائهم أو من أتباعهم، فتعاودهم الأحوال الذميمة من مزاولة الكفر وخداع المؤمنين والحدق عليهم والاستهزاء بهم ووصفهم بالسفه، مثل ذلك التظاهر وذلك الانقلاب بحال الذي استوقد ناراً ثم ذهب عنه نورها<sup>(٢)</sup>.

(والتشبيه هنا في غاية الصحة؛ لأنه بإيمانهم أولاً اكتسبوا نوراً، ثم بنفاقهم ثانياً أبطلوا ذلك النور، ووقعوا في حيرة عظيمة، فإنه لا حيرة أعظم من حيرة الدين؛ لأن المتحير في طريقه لأجل الظلمة لا يخسر إلا القليل من الدنيا، وأمّا المتحير في الدين فإنه يخسر نفسه في الآخرة أبد الآبدين)<sup>(٣)</sup>.

(ثم عقبّت الآية بوصفهم بأنهم صم بكم عمي، فقد عطّلوا مشاعرهم وإحساساتهم، إنهم عطّلوا منفعة السمع، فلم يسمعوا عظة واعظ وإرشاد مرشد، بل لا يفقهون إن سمعوا، فكأنهم صم عن الحق لا يسمعون، وعطّلوا منفعة الكلام والسؤال والمناقشة، فلم يطلبوا برهاناً على قضية، ولا بياناً عن مسألة، فكأنهم بكم لا يتكلمون، وعطّلوا منفعة البصر، فلم ينظروا ولم يعتبروا. بما حلّ بهم من الفتن، وبما تعرّضت له الأمم، فكأنهم عمي عن الهدى،

(١) تيسير الكريم الرحمن، ابن سعدي، ص ٤٤/١.

(٢) انظر التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص ١٤٢-١٤٣ والمنافقون وشعب النفاق، حسن عبد الغني، دار الثقافة، قطر، ط ٢، ١٤٠٧هـ، ص ١٤.

(٣) الطرق التربوية وعلم النفس من القرآن الكريم، أحمد الحبابي، ص ٧٥.

وهم لا يعدلون أصلاً عن حالهم من الضلالة إلى الهدى، فلا تأس عليهم ولا تحزن<sup>(١)</sup>.  
ثم ضربت الآية الكريمة التالية مثلاً آخر لصنف آخر من المنافقين، وهذه المرة ضرب  
المثل لحيرتهم وقلقهم وانتهازيتهم، فيمثل القرآن حالة هذا الصنف الذين آمنوا ثم نكصوا،  
والذي انتفعوا آونةً بإسلامهم ثم انتكسوا، عندما حكّموا أهواءهم، واتبعوا التقاليد موروثه،  
فحادوا عن الجادة وانحرفوا عن الصراط المستقيم.

قال تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيَءِ إِذَانِهِمْ  
مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٢٠﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا  
أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ ۗ إِنَّ  
اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢١﴾ ۝ <sup>(٢)</sup>.

في هذه الآية<sup>(٣)</sup> (تمثيل لحال المنافقين المختلطة بين جواذب ودوافع حين يجاذب  
نفوسهم جاذب الخير عند سماع مواعظ القرآن وإرشاده، وجاذب الشر من أعراق النفوس  
والسخرية بالمسلمين)<sup>(٤)</sup>، وحيث كان العرب يخافون الصواعق، فشبهت الآية حالهم بقوم  
نزل عليهم المطر الغزير، المصحوب بالمخاوف من ظلمات المطر والسحب والليل، والرعد  
القاصف، والبرق الخاطف، وفي هذا الجوّ القائم تلمّسوا سبيل النجاة، وعقدوا الأمل على ما  
لاح في الأفق من نور، فعزموا على اتباع الحق الذي جاءت به الآيات البيّنات، ثم ما لبثوا أن  
وقعوا في الظلام، فأصابهم القلق والاضطراب، والله محيطٌ بهم، قادر عليهم، فلو شاء لأذهب

(١) التفسير المنير، الزحيلي، ٩٢/١ .

(٢) سورة البقرة ١٩ - ٢٠ .

(٣) جاء في سبب نزول هذه الآية أنه كان رجلاً من المنافقين من أهل المدينة هرباً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المشركين، فأصابها هذا المطر الذي ذكر الله: فيه رعد شديد وصواعق وبرق، فكان كلما أضاءت لها الصواعق، جعلاً أصابعهما في آذانهما من الفرق أن دخل الصواعق في مسامعهما، فتقتلهما، وإذا لمع البرق مشوا في ضوئه، وإذا لم يلمع لم يبصرا، وقاما مكانهما لا يمشيان، فجعلوا يقولان: ليتنا قد أصبحنا، فنأتي محمداً، فنضع أيدينا في يده، فأصبحنا فأتياه، فأسلمنا ووضعنا أيديهما في يده، وحسن إسلامهما، فضرب الله شأن هذين المنافقين الخارجين، مثلاً للمنافقين الذين بالمدينة. جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، ص ٣٤٦/١ .

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص ١٤٥/١ .

أسماعهم بقوة الرعد، وأبصارهم بوميض البرق الخاطف، ولكن لحكمة ومصصلحة، لم يشأ ذلك، لإمهالهم وإعطائهم الفرصة ليثوبوا إلى رشدهم<sup>(١)</sup>.

فوجه التمثيل أن النفاق يضيء لصاحبه الدرب حيناً قصيراً، ثم سرعان ما ينطفئ كما تنطفئ النار، مما يجعل النفاق لا دوام له ولا استمرار، وقد يجد المنافق الأمل في نفاقه لتحقيق غرض، أو مكسب مادي رخيص، ثم تتبدد<sup>(٢)</sup>. إنه مثل حافل بالحركة، مشوب بالاضطراب، فيه تيه وضلال، فيه هول ورعب، فيه فزع وحيرة، فيه أضواء وأصداء<sup>(٣)</sup>.  
بهذين المثليين الرائعين فضح القرآن الكريم أصناف المنافقين في جميع الأعصار والأزمان، فهم ليسوا على وجه واحد من الضلال والخذلان، فمنهم من آمن بالله ثم واستضاء بنور الوحي ثم ارتد على عقبيه، وخرج من نور الإيمان إلى ظلمات الكفر، ومنهم الذي ما زال تائهاً في ضلاله وكفره، وكل هؤلاء اشتروا الضلالة بالهدى، فحسروا الدنيا والآخرة، فهم يوم القيامة في الدرك الأسفل من النار.

ج- مثل أصحاب النبي ﷺ:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّعٍ أَخْرَجَ شَطْرَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾<sup>(٤)</sup>.

هذا مثل ضربه الله تعالى للصحابة رضي الله تعالى عنهم قلوباً في بدء الإسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى أمرهم يوماً فيوماً بحيث أعجب وقد كثر الله الصحابة وقواهم ليكونوا غيظاً للكافرين<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر التفسير المنير: الزحيلي، ص ٩٢/١.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٢/١.

(٣) انظر ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة وكلام العرب، مصطفى عيد الصياصنة، ص ١١٨.

(٤) سورة الفتح: ٢٩.

(٥) انظر روح المعاني، الألوسي، ص ٢٣٩/١٩.

يخبر تعالى عن رسوله ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار، (أهم بأكمل الصفات، وأجل الأحوال، جادون ومجتهدون في عداوتهم، وساعون في ذلك بغاية جهدهم، فلم يروا منهم إلا الغلظة والشدة، فلذلك ذل أعداؤهم لهم، وانكسروا، وقهرهم المسلمون، متحابون متراحمون متعاطفون، كالجسد الواحد، يجب أحدهم لأخيه ما يجب لنفسه، هذه معاملتهم مع الخلق، وأما معاملتهم مع الخالق فإن وصفهم كثرة الصلاة، التي أجل أركانها الركوع والسجود، مقصودهم بلوغ رضا ربهم، والوصول إلى ثوابه، قد أثرت العبادة من كثرتها وحسنها في وجوههم، حتى استنارت، لما استنارت بالصلاة بواطنهم، استنارت بالجلال ظواهرهم)<sup>(١)</sup>.

فهذا هو مثل النبي ﷺ وأصحابه في التوراة، كما جاء وصفهم فيه، وأما مثلهم في الإنجيل، فإنهم موصوفون بوصف آخر، وأهم في كمالهم وتعاونهم كزرع أخرج فراخه، فوازرتة فراخه في الشباب والاستواء، (استغلظ، فاستوى على سوقه، يُعجب الزرع ليغيظ بهم الكفار) فقد كان الصحابة ضعافاً قليلي العدد، فازدادوا وكثروا وتقووا، مثل الزرع الذي أخرج فروخه وفروعه على جوانبه، فاشتد وقوي وأعانه وشده، أي: أن الزرع قوى الشطاء، لأنه تغذى منه واحتمى به، وتحوّل من الدقة إلى الغلظ، واستقام على أعواده. يعجب هذا الزرع الزرع من كماله واستوائه، وحسنه واعتداله، كذلك الصحابة رضي الله عنهم، هم كالزرع في نفعهم للخلق واحتياج الناس إليهم، ففوة إيمانهم وأعمالهم بمثلة قوة عروق الزرع وسوقه، وكون الصغير والمتأخر إسلامه، قد لحق الكبير السابق ووازره وعاونه على ما هو عليه، من إقامة دين الله والدعوة إليه، (ليغيظ بهم الكفار) حين يرون اجتماعهم وشدهم على دينهم، وحين يتصادمون هم وهم في معارك التزال، ومعامع القتال. (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً وأجرًا عظيمًا) فالصحابه رضي الله عنهم، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، قد جمع الله لهم بين المغفرة، التي من لوازمها وقاية شرور الدنيا والآخرة، والأجر العظيم في الدنيا والآخرة، وهذا يشمل الصحابة وكل من اقتفى أثرهم، وسار على منهجهم من أفواج الإيمان وجند الإسلام، وتلاحق الأجيال<sup>(٢)</sup>.

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ١/٧٩٥.

(٢) انظر التفسير المنير، الزحيلي، ص ٢٦/٢٠٨.

إنه تمثيلٌ عجيب، وتصويرٌ فنيٌ بديع، يستمدُّ عناصره من الطبيعة فيصُل إلى نهاية الإبداع وقوة التأثير، إنه يجعلك كأنك أمام مشهد يفيض بالحركة والحياة يجعل الغائب مشاهداً، والخفي واضحاً جلياً، ويقرب المراد من العقل ويرفع الأستار عن الحقائق، ويعرض المعنى في أسلوب مشوّق موح مؤثر.

د- مثل المؤمنين والكافرين:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ \* مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾<sup>(١)</sup>.

تحدّث القرآن عن فريقين من الناس، وهما الذي يريد الدنيا وزينتها، والذي يريد الآخرة، فأبان حال كلٍّ من الفريقين في الدنيا والآخرة، فذكر سبحانه حال الكافرين فأخبر أنهم أخسر الناس صفقة في الدار الآخرة؛ لأنهم استبدلوا بالدركات عن الدرجات، واعتاضوا عن نعيم الجنان بحميم آن وعن شرب الرحيق المختوم، بسموم وحميم، وظلّ من يحموم، فلا جرم لهم في الآخرة هم الأخسرون.

(ولما ذكر تعالى حال الأشقياء تثنى بذكر السعداء، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فأمنت قلوبهم، وعملت جوارحهم الأعمال الصالحة قولاً وفعلاً من الإتيان بالطاعات وترك المنكرات، وبهذا ورثوا الجنات المشتملة على الغرف العاليات، والسرر المصفوفات، والقطوف الدانيات، وهم في ذلك خالدون، لا يموتون ولا يهرمون ولا يمرضون)<sup>(٢)</sup>.

ثم ضرب الله مثلاً لكلٍّ من المؤمنين والكافرين، كمثل الأعمى والأصم، والسميع والبصير الكافر مثل الأعمى، لتعاميه عن وجه الحق في الدنيا والآخرة، وعدم اهتدائه إلى الخير وعدم معرفته إياه، ومثل الأصم لعدم سماعه الحجج، فلا يسمع ما ينتفع به والمؤمن مثلاً

(١) سورة هود: ٢١ - ٢٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ص ٣١٥/٤.

متفتح السمع والبصر، لاستفادته بما يسمع من القرآن، ويرى في الأكوان، والسمع والبصر وسيلتا العلم والهدى، وطريقا تكوين العقل<sup>(١)</sup>.

(فالمؤمن سميع بصير في نورٍ يمشي، على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة، حتى يستقر به الحال في الجنات ذات الظلال والعيون، والكافر أعمى أصمّ، في ظلمات يمشي، لا خروج له منها، بل هو يتيه في غيّه وضلاله في الدنيا والآخرة، حتى يفضي به ذلك إلى الحرور والسموم والحميم)<sup>(٢)</sup>.

(فلا تساوي إطلاقاً بين المؤمنين والكافرين، كما لا تساوي بين الأعمى والبصير، ولا بين الأصمّ والسميع، أفلا تنظرون في الوصفين وتتعضون وتعتبرون)<sup>(٣)</sup>، وقد ضرب الأمثال للمؤمنين والكافرين بالأعمى والبصير كثيراً في كتاب الله، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿٦٠﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٦١﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الخُرُورُ ﴿٦٢﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ﴿٦٤﴾ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٦٥﴾ ﴾<sup>(٤)</sup>.

فهذه أمثال ضربها الله سبحانه للمؤمنين والكافرين، كما أنّ هذه الأشياء المذكورات المتباينة المختلفة لا تتساوى، فكذلك لا يستوي الكافر والمؤمن، والجاهل والعالم، والضالّ والمهتدي، ولا أصحاب النار وأصحاب الجنة، فإن بين هذه الأشياء من التفاوت ما لا يعلمه إلا الله تعالى، فإذا علمت المراتب، وميّزت الأشياء، فعلى العاقل أن يختار لنفسه ما فيه سعادتها، ونجاحها في الدنيا والآخرة.

ثانياً: في سنة النبي ﷺ :

لقد أولى الرسول ﷺ طريقة ضرب المثل أهمية كبرى بعده أسلوباً فعلاً ومؤثراً في عملية تعليم القيم الأخلاقية والاجتماعية وتنميتها، فقد استعان لتوضيح مواعظه بضرب المثل

(١) انظر التفسير المنير، الزجيلي، ص ٤٩/١٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ص ٥٤٣/٦.

(٣) التفسير المنير، الزجيلي، ص ٤٩/١٢.

(٤) سورة فاطر: ١٩-٢٢.

مما يشاهده الناس بأم أعينهم ويقع تحت حواسهم، وفي تناول أيديهم؛ ليكون وقع الموعظة في النفس أشدّ وفي الذهن أرسخ، ولذلك ذاع التمثيل في الأحاديث النبوية.

(ولمّا كانت أفكار الرسول وتأمّلاته وحركاته قيساً من نور القرآن يهتدي بهديه ميسر على ضوئه كان كلامه عليه الصلاة والسلام مشتملاً على أمثال عظيمة في الروعة والبيان، جمعة إلى إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية، فكانت أمثال أساليب البلاغة وأكثرها تأثيراً في النفوس وإقناعاً في العقول<sup>(١)</sup>، وقد قسم العلماء أمثال النبي ﷺ إلى قسمين)<sup>(٢)</sup>:

**المثل السائر الموجز:** فيشمل تلك العبارات البليغة الموجزة الجامعة التي سارت عنه ﷺ، وتناقلتها الألسن، فأصبحت أقوالاً سائرة مثلية، يستشهد بها الناس، وهي كثيرة، ومن ذلك قوله ﷺ: (انصر أحاك ظالماً أو مظلوماً).

**المثل القياسي المفصل:** ويشمل هذا النوع تلك الأحاديث النبوية الشريفة التي ضمّنها ﷺ صوراً بلاغية تمثيلية جميلة، تضمّنت في الغالب ألفاظ المماثلة لتدل على التشبيهات المركبة، أو الاستعارات التمثيلية المفصلة، وقد جاءت على نسق الأمثال القرآنية القياسية، وهذا النوع من الأمثلة هو الذي يعيننا في هذه الدراسة، وهو ما يطلق عليه علماء اللغة بالتمثيل. وستناول في هذا الجزء من هذا المبحث نماذج من التمثيل في حديث النبي ﷺ.

#### أ- التمثيل للنبي ﷺ:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: رَأَيْتَ الْجَيْشَ بَعَيْنِي وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعَرِيَانِ، فَالْنَّجَاءُ النَّجَاءُ، فَأَطَاعْتَهُ طَائِفَةٌ فَأَدْجَلُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَبْتَهُ طَائِفَةٌ فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَاجْتَا حَهُمْ} <sup>(٣)</sup>.

(يضرب النبي ﷺ لنفسه المثل على سبيل التشبيه لإرادة التقريب والتفهم، برجل رأى جيش الأعداء، وتحقق عنده ما أخبر عنه تحقّقاً لا يعتريه وهم، ولا يخالطه شك... ثم إن هذا

(١) الطرق التربوية وعلم النفس من القرآن الكريم، أحمد الحبابي، مؤسسة سعيدان، ط ٤، ٢٠٠٩م، ص ١٦٧.

(٢) انظر المثل الصريح وما يجري مجراه، سالم مرعي الهدروسي، ص ١٦-١٧، وظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة وكلام العرب، مصطفى عيد الصياصنة، ص ٦٣-٦٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، ١٠١/٨، برقم ٦٤٨٢.

النذير دعا قومه أن اطلبوا النجاء بأن تسرعوا الهرب، إشارة إلى أنهم لا يطيقون مقاومة ذلك الجيش، فمن أطاعه من قومه ساروا في الليل فنحو بأنفسهم، ومن لم يطعه طردهم الجيش فجأة فاستأصلهم<sup>(١)</sup>.

قال النووي: (قال العلماء: أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخالفة نزع ثوبه وأشار به عليهم إذا كان بعيداً منهم، ليخبرهم بما دهمهم ويبقى عرياناً، وأكثر ما يفعل هذا ريثة القوم، وهو طليعتهم ورقبيهم، وقالوا: وإنما يفعل ذلك؛ لأنه أبين للناظر، وأغرب وأشنع منظرًا عند المبصر، ويكون على مكان عال، فهو أبلغ في استحثاثهم في التأهب للعدو، وقيل: معناه: أنا النذير الذي أدركني جيش العدو فأخذ ثيابي فأنا أندركم عرياناً<sup>(٢)</sup>). والأصل فيه: (أن رجلاً لقي جيشاً فسلبوه وأسروه فانفلت إلى قومه فقال: إني رأيت الجيش فسلبوني، فأوه عرياناً فتحققوا صدقه؛ لأنهم كانوا يعرفونه ولا يتهمونه في النصيحة، ولا جرت عادته بالتعري، فقطعوا بصدقه لهذه القرائن، فضرب النبي ﷺ لنفسه ولما جاء به مثلاً بذلك لما أبداه من الخوارق والمعجزات الدالة على القطع بصدقه؛ تقريباً لإفهام المخاطبين بما يألفونه ويعرفونه)<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: {إنما مثلي ومثل الناس كرجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل الرجل يزعهن ويغلبنه فيقتحمّن فيها، فأنا آخذٌ بجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها}<sup>(٤)</sup>.

(يضرب النبي ﷺ لنفسه مثلاً، بالرجل الذي أوقد ناراً، فجاءت الفراش والهوام تحوم حول النار الموقدة، فجعل يدفعهنّ، وهنّ يدخلنّ ويتقحمّن النار)<sup>(٥)</sup>. (فالفراش هم العصاة التائهون، الذين يعصون الله ورسوله، والرجل المستوقد هو الرؤوف الرحيم رسول الله ﷺ، الذي يمنع الناس من الوقوع بالمعاصي والذنوب التي توصلهم إلى النار، بالدعوة إلى الله

(١) فتح الباري، ابن حجر ٣١٦/١١.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي ٤٨/١٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٣١٧/١١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، ص ١٠٢/٨، برقم ٦٤٨٣.

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ص ٥٠/١٥.

تعالى، وتحذير الناس من سلوك سبيل الضلال، وهدايتهم إلى طريق الخير والسعادة الأبدية. فشبه عليه السلام تساقط أهل المعاصي في نار الآخرة بتساقط الفراش في نار الدنيا<sup>(١)</sup>. وهذا من حرصه عليه الصلاة والسلام وشفقته على الناس، وهو الذي وصفه ربه سبحانه بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وحاصل هذا التمثيل أنه شبه تساقط وتهافت الجاهلين والمخالفين أصحاب الشهوات في المعاصي التي تكون سبباً في الوقوع في النار، بتهافت وتساقط الفراش بالوقوع في النار اتِّباعاً لشهواتها، وشبه ذبَّ العصاة عن المعاصي بما حذرهم به، وأنذرههم بذبِّ صاحب النار الفراش عنها<sup>(٣)</sup>.

ومن الأمثال التي ضربها النبي ﷺ للتدليل على كمال هذه الرسالة، وكونها خاتمة الرسالات السماوية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: {إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتاً فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجِبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَّا وَضَعْتَ هَذِهِ اللَّبْنَةَ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبْنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ} <sup>(٤)</sup>.

ففي هذا الحديث مَثَلُ النَّبِيِّ ﷺ هذا الموكب الكريم، موكب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين أرسلهم الله سبحانه لهداية الأمم، مثل لهم بالبيت الذي أُسِّسَتْ قواعده، وُئِنِّي عَلَى أَحْسَنِ صُورَةٍ، وَأَهْمَى مَنْظَرٍ، فَكَانَ غَايَةَ فِي التَّمَامِ وَالْجَمَالِ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ إِلَّا مَوْضِعُ حَجَرٍ فِي زَاوِيَةٍ هَذَا الْبِنَاءِ حَتَّى يَتِمَّ وَيَكْتَمَلَ جَمَالُهُ وَبِهَؤُوهُ، فَشَبَّهَ النَّبِيُّ ﷺ نَفْسَهُ وَمَا بَعَثَ بِهِ مِنَ الرَّسَالَةِ الْخَاتِمَةَ، بِهَذَا الْحَجَرِ الَّذِي اكْتَمَلَ بِهِ هَذَا الْبِنْيَانُ، بِقُدُومِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَتَمَتِ الرَّسَالَاتِ، وَتَمَّتِ الشَّرَائِعُ، فَشَرِيعَتُهُ شَرِيعَةُ الْكَمَالِ، فِيهَا سَعَادَةُ النَّاسِ وَفَلَاحُهُمْ وَنَجَاحُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قال الحافظ: (جعل الأنبياء كرجل واحد؛ لأنه لا يتم ما أراد من التشبيه إلا باعتبار الكل، وكذلك الدار لا تتم إلا باجتماع البنيان، ويحتمل أن يكون من التشبيه التمثيلي، وهو

(١) فتح الباري، ابن حجر، ص ٣١٨/١١.

(٢) سورة التوبة: ١٢٨.

(٣) انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ص ٥٠/١٥.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، ص ١٨٦/٤، برقم ٣٥٣٥.

أن يوجد وصف من أوصاف المشبه ويشبهه بمثله من أحوال المشبه به، فكأنه شبه الأنبياء وما بعثوا به من إرشاد الناس ببيت أسست قواعده ورفع بنيانه وبقي منه موضع به يتم صلاح ذلك البيت<sup>(١)</sup>. وفي الحديث ضَرَبُ الأمثال للتقريب للأفهام، وفضل النبي ﷺ على سائر النبيين، وأن الله ختم به المرسلين، وأكمل به شرائع الدين

ب- مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ:

حَثَّ الإسلام على مجالسة أهل الخير ومجانبة أهل الضلال والبدع، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، ولذلك فإن الإسلام حَثَّ على الصحبة الحسنة، ومرافقة المؤمنين الذين ينتفع بصحبتهم، هذا الحديث الذي يمثل فيه للجلوس الصالح والجلوس السوء، فعن أبي موسى الأشعري قال: أن رسول الله ﷺ قال: {مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمَسْكِ وَكَبِيرِ الْحَدَادِ لَا يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمَسْكِ، إِمَّا أَنْ تَشْتَرِيهِ أَوْ تَجِدَ رِيحَهُ، وَكَبِيرِ الْحَدَادِ يَحْرِقُ بَدَنَكَ، أَوْ تُوبِكَ أَوْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً} <sup>(٣)</sup>.

يضرب النبي ﷺ في هذا الحديث (مثلاً، للجلوس الصالح والجلوس السوء، فيشبهه النبي ﷺ في هذا الحديث الجلوس الصالح بحامل المسك، والجلوس السوء بنافخ الكير، فحامل المسك إِمَّا أَنْ يَحْذِيكَ، أَيْ يَعْطِيكَ مَجَانًّا، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رَائِحَةً طَيِّبَةً وَهَذَا بَيَانٌ أَقْلَ الْمَنْفَعَةِ، وَنَافِخُ الْكَبِيرِ أَمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ بِنَارِهِ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْ دَخَانِهِ رِيحًا خَبِيثَةً، وَهَذَا أَقْلَ الْمَضْرَةِ، وَهَكَذَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السَّوِّءِ، فَمَنْ جَالَسَ الصَّالِحِينَ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْمَرْوَةِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالْوَرَعِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، اسْتَفَادَ مِنْ عِلْمِهِمْ وَأَدَبِهِمْ وَتَأَثَّرَتْ نَفْسُهُ بِنَفْسِهِمْ، فَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِمْ وَتَزَوَّدَ بِأَدَابِهِمْ، وَمَنْ جَالَسَ أَهْلَ الشَّرِّ وَالْبَدْعِ وَالْعِصَاةِ، تَأَثَّرَ بِهِمْ وَأَخَذَ عَنْهُمْ وَخَاضَ بِبِاطِلِهِمْ، وَهَذَا فَإِنَّ الْإِبْتِعَادَ عَنْهُمْ وَالْحَذَرَ مِنْهُمْ فِيهِ سَلَامَةٌ<sup>(٤)</sup>، وفي الحديث: {المرءُ على دين خليله فلينظر أحدكم مَنْ

(١) انظر فتح الباري، ابن حجر، ص ٥٥٩/٦.

(٢) سورة التوبة: ١١٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك، ص ٣٢٣/٤، برقم ٢١٠١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، ص ٣٢٤/٤.

يُخَالِلُ<sup>(١)</sup> (فمصاحبة الأخيار تورث الخير ومصاحبة الأشرار تورث الشر، وفي الحديث الترغيبُ في مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، وَمَنْ يَنْتَفِعْ بِمَجَالِسَتِهِ فِيهِمَا)<sup>(٢)</sup>.

### ج- مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضُوهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى}<sup>(٣)</sup>.

فقد شَبَّهَ النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف أفراد الأمة الإسلامية في التراحم والتوَادد والتعاطف، شَبَّهَهُمْ جَمِيعاً بِالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا تَأَلَّمَ جُزْءٌ مِنْهُ دَعَا بَعْضُهُ بَعْضاً إِلَى الْمَشَارَكَةِ فِي الْأَلْمِ وَالسَّهْرِ وَالْعَذَابِ، وَوَجَّهَ الشَّبْهَ فِيهِ التَّوَافُقَ فِي التَّعَبِ الرَّاحَةِ<sup>(٤)</sup>.

والفرق بين التراحم والتوَادد والتلاطف فرقٌ لطيف، فالتراحم المراد به: أن يرحم بعضهم بعضاً بأخوة الإيمان لا بسبب شيءٍ آخر، وأمَّا التوَادد فالمراد به: التواصل الجالب المحبة كالتزاور والتهادي، وأمَّا التعاطف فالمراد به إعانة بعضهم بعضاً كما يعطف الثوب عليه ليقويه<sup>(٥)</sup>.

فهذه الأحاديث تصوّر المجتمع الإسلامي بالجدد الواحد الذي يخفق فيه قلب واحد، وتسري فيه روح واحدة، ويتأثر كل عضو فيه بما يصيب بقية الأعضاء، قال النووي: (هذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاقد في غير إثم ولا مكروه، وفيه جواز التشبيه وضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأفهام)<sup>(٦)</sup>.

(١) صحيح الترمذي، كتاب الزهد، ص ٦٨٥/٤، برقم ٢٣٧٨.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ص ١٧٨/١٦.

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتوادهم، ص ٢٠/٨، ٦٧٥١.

(٤) انظر فتح الباري، ابن حجر، ص ١٥٠/١٧.

(٥) المصدر السابق، ١٥٠/١٧.

(٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي ١٣٩/١٦-١٤٠.

فالحديث الشريف شبه علاقة المؤمنين ببعضهم من المودة والمحبة والولاية والرحمة، بعلاقة أعضاء الجسد الواحد، وفي ذلك ترسيخٌ لمعاني الأخوة بين المسلمين.

#### د- مثلُ التوحيد والصيام والصدقة والذكر في كلام نبي الله يحيى عليه السلام:

عن الحارث الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: {إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، وكاد أن يبطئ، فقال له عيسى عليه السلام: إنك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فإما أن تبلغهن، وإما أن أبلغهن؟ فقال يا أخي: إني أخشى إن سبقتني أن أُعذب، أو يخسف بي فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد، فقعد على الشرف، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله عز وجل أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وأمركم أن تعملوا بهن، وأولهن: أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئاً، فإن مثل ذلك، مثل من اشترى عبداً من خالص ماله بورق أو ذهب، فجعل يعمل ويؤدّي غلته إلى غير سيده، فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك، وأن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأمركم بالصلاة، فإن الله ينصب وجهه قبل عبده ما لم يلتفت، فإذا صليتم فلا تلتفتوا. وأمركم بالصيام، فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرّة من مسك في عصابة، كلهم يجد ريح المسك، وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وأمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو، فشدوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه، فقال: هل لكم أن أفندي نفسي منكم؟ فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه، وأمركم بذكر الله عز وجل كثيراً، فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره، فأتى حصناً حصيناً فتحصن فيه، وإن العبد أحسن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله عز وجل<sup>(١)</sup>.

لقد أرسل الله سبحانه أنبياءه الكرام عليهم السلام للدعوة إليه سبحانه، فكلهم كان داعياً إلى الإسلام والإيمان، وكلهم كان على عقيدة التوحيد، عقيدة واحدة وإن اختلفت

(١) صحيح الترمذي، كتاب الأمثال، مثال الصلاة والصيام والصدقة، ١٤٨/٥، برقم ٢٨٦٣.

شرائعهم، ومن هؤلاء الأنبياء نبي الله يحيى عليه السلام، الذي قصَّ الله علينا قصته في القرآن الكريم وخاطبه ربُّ العزة بقوله: ﴿يٰٓيَحْيٰى خُذِ الْكِتٰبَ بِقُوَّةٍ وَّءَاتَيْنٰهُ الْحِكْمَ صَبِيًّا﴾<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الحديث يحدثنا النبي ﷺ عن نبي الله يحيى عليه السلام، الذي يخبر عن خمس كلمات أمره الله سبحانه بهنَّ، وأمر الناس أن يعملوا بهنَّ، ثم ضرب عليه السلام لهذه الكلمات الأمثال.

فأول هذه الكلمات هي توحيد الله ونفي الشريك عنه سبحانه، وقد ضرب عليه السلام مثل التوحيد والشرك كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله ليعمل عنده، فالمشرك بالله يقابل نعمة الله بالجحود، وإحسانه بالإساءة والكفران، وهو كممثل مملوك يأكل مال سيِّده ويسكن في بيته، ولكن يدفع ما يكسب إلى غير سيِّده، فلا يرضى أي إنسان بهذا، فكيف يرضى الله لنفسه مع أنه خلق الإنسان من العدم، وأفاض عليه من فضله ورزقه ورحمته، ثمَّ كيف يرضى هذا الإنسان أن يعبد غير الله سبحانه وتعالى عما يشركون.

قال ابن القيم رحمه الله: (فالموحِّد كمن عمل لسيِّده في داره وأدَّى لسيِّده ما استعمله فيه، والمشرك كمن استعمله سيِّده في داره، فكان يعمل ويؤدي خراجه وعمله إلى غير سيِّده، فهكذا المشرك يعمل لغير الله تعالى في دار الله تعالى، ويتقرَّب إلى عدو الله تعالى بنعم الله تعالى، ومعلوم أنَّ العبد من بني آدم لو كان مملوكه كذلك لكان أمقت الممالك عنده، وكان أشدَّ شيء غضباً عليه، وطرداً له وإبعاداً، وهو مخلوق مثله، كلاهما في نعمة غيرهما، فكيف بربِّ العالمين الذي ما بالعبد من نعمة فمنه وحده لا شريك له، ولا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يصرف السيئات إلا هو، وهو وحده المنفرد بخلق عبده، ورحمته، وتدبيره، ورزقه، ومعافاته، وقضاء حوائجه، فكيف يليق به مع هذا أن يعدل به غيره في الحب، والخوف، والرجاء، والحلف، والنذر، والمعاملة، فيحب غيره كما يحبه أو أكثر، ويخاف غيره ويرجوه كما يخافه أو أكثر؟ وشواهد أحوالهم بل وأقوالهم وأفعالهم ناطقة بأنهم يحبون أنداده من الأحياء والأموات، ويخافونهم، ويرجونهم، ويعاملونهم، ويطلبون رضاهم، ويهربون من سخطهم أعظم مما يحبون الله تعالى، ويخافونه ويرجونه، ويهربون من سخطه، وهذا هو

(١) سورة مريم: ١٢.

الشرك الذي لا يغفره الله عز وجل<sup>(١)</sup>، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٢)</sup>.

والكلمة الثانية التي أمر يحيى عليه السلام أن يعمل بها ويأمر الناس بها هي الصلاة، وأخبر عليه السلام أن الله في قبلة أحدنا عندما نصلي، فلا ينبغي أن نلتفت في صلاتنا إلى غيره سبحانه.

والكلمة الثالثة هي الصوم، وقد ضرب عليه السلام في هذا الحديث مثلاً للصوم، فمثله برجل معه طيب من أطيب الأنواع يسير في جماعة كلهم يشم منه الروائح الطيبة العطرة، وقد أخبر نبينا محمد عليه الصلاة والسلام بأن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من رائحة المسك<sup>(٣)</sup>.

يقول ابن القيم رحمه الله: (إنما مثل النبي ﷺ ذلك بصاحب الصرّة التي فيها المسك؛ لأنها مستورة عن العيون، مخبوءة تحت ثيابه، كعادة حامل المسك، وهكذا الصائم صومه مستور عن مشاهدة الخلق، لا تدركه حواسهم، والصائم هو الذي صامت جوارحه عن الآثام، ولسانه عن الكذب والفحش وقول الزور، وبطنه عن الطعام والشراب، وفرجه عن الرفث، فإن تكلم لم يتكلم بما يجرح صومه، إن فعل لم يفعل ما يفسد صومه، فيخرج كلامه كله نافعاً صالحاً وكذلك أعماله، فهي بمتزلة الرائحة التي يشمها مَنْ جالس حامل المسك، كذلك مَنْ جالس الصائم انتفع بمجالسته له، وأمن فيها من الزور والكذب والفجور والظلم)<sup>(٤)</sup>.

ثم ذكر يحيى عليه السلام الكلمة الرابعة وهي الصدقة وضرب لها مثلاً، قال عليه السلام: ( وأمركم بالصدقة، فإن مثلاً ذلك كمثل رجل أسره العدو، فشدوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه، فقال: هل لكم أن أفندي نفسي منكم؟ فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه).

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص ٤٦-٤٧.

(٢) سورة النساء: ٤٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، ٥٠/١، برقم ١٨٨.

(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم، ص ٦١.

يمثل يحيى عليه السلام للصدقة في هذا الحديث، برجلٍ وقع في الأسر، وقدمه الآسرون ليقتلوه، فصار يقدم لهم الغالي والنفيس حتى يفك نفسه من الأسر، وكذلك فإن الصدقة ترد البلاء عن المتصدق، وتدفع عنه البلاء والرزايا والأمراض بإذن الله، في أشد ما يكون بحاجة لذلك، وتذهب عنه الأوزار والخطايا بفضل الله، يقول نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: {الصدقة تطفئ الخطيئة، كما يطفئ الماء النار} (١).

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (هذا أيضاً من الكلام الذي برهانه وجوده، ودليله وقوعه، فإن للصدقة تأثيراً عجيباً في دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجرٍ أو ظالم، بل من كافر، فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعاً من البلاء، وهذا أمرٌ معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون به؛ لأنهم قد جرّبوه... وفي تمثيل النبي ﷺ ذلك بمن قدّم ليضرب عنقه فافتدى نفسه منهم بماله كفاية، فإن الصدقة تفدي العبد من عذاب الله تعالى، فإن ذنوبه وخطاياها تقتضي هلاكه، فتجيء الصدقة تفديه من العذاب وتفكه منه) (٢).

ثم ينتقل الحديث إلى الكلمة الخامسة التي أمر الله يحيى عليه السلام بها، وأمره أن يبلغها وهي ذكر الله عز وجل، فيمثل لها برجل هرب من عدوه وتحصن في حصن حصين، فلا يقدر عدوه أن يصل إليه، يقول عليه السلام: (وأمركم بذكر الله عز وجل كثيراً، فإن مثل ذلك كمثّل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره، فأتى حصناً حصيناً فتحصن فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله عز وجل).

يقول ابن القيم: (فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة، لكان حقيقاً بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى، وأن لا يزال لهجاً بذكره، فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر، ولا يدخل عليه العبد إلا من باب الغفلة، فهو يرصده، فإذا غفل وثب عليه وافترسه، وإذا ذكر الله تعالى انحنس عدو الله وتصاغر، وانقمع، حتى يكون كالوضع وكالذباب، ولهذا سمي الوسواس الخناس) (٣).

(١) صحيح، كتاب أبواب السفر، باب ما ذكر في فضل الصلاة، ٥١٢/٢، برقم ٦١٤.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم، ص ٧٠-٧٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٥٦.

وذكر الله من أفضل الأعمال وأزكاها عند الله سبحانه، وقد أمر سبحانه من الإكثار من ذكره، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾<sup>(١)</sup>.

وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: {ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى. قال ذكر الله} <sup>(٢)</sup>. وهذه الأمثال وغيرها مما ورد في القرآن والسنة النبوية الكريمة يجب علينا أن ندرّب عليها أجيالنا الصاعدة لتربيتهم على حبّ القرآن وسنة الرسول، وليلتصقوا بهما التصاق الولد بظفره ومرضعته، ولنناقش معهم معانيها السامية بدل أن نقاش معهم أمثال العلمانيين التي تبثّ فيهم سموم الزندقة والإلحاد<sup>(٣)</sup>.

#### هـ- تمثيل قارئ القرآن:

عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: {مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالأْتْرِجَةِ طَعْمَهَا طَيِّبٌ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ وَالَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحُ لَهَا، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرِّيحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مَرٌّ وَلَا رِيحُ لَهَا} <sup>(٤)</sup>.

من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بتلاوة كتابه والإيمان به وإتباع أحكامه، وجعل على تلاوته الأجر العظيم، لذلك فإنّ النبي ﷺ حثّ في كثيرٍ من الأحاديث على تلاوة كتاب الله عز وجل، واستخدام في بعض الأحاديث أسلوب التشبيه؛ لإيصال المعنى المراد من كلامه للناس، ففي هذا الحديث يمثّل عليه الصلاة والسلام لحال المؤمنين والمنافقين مع القرآن الكريم.

(١) سورة الأحزاب: ٤١-٤٢.

(٢) صحيح، كتاب الدعوات، باب منه، ص ٥٤٩/٥، رقم ٣٣٧٧.

(٣) الطرق التربوية وعلم النفس من القرآن الكريم، أحمد الحياي، ص ٦٣.

(٤) صحيح البخاري، كتاب فضل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام، ص ١٩٠/٦، رقم ٥٠٢٠.

(يبين الرسول ﷺ بالمثل المحسوس الذي يقدر السامع على استيعابه وإدراكه درجات الناس في الاستفادة، والتأثر بالقرآن الكريم، فكلام الله المجيد له تأثير في باطن العبد وظاهره، وإن العباد متفاوتون في ذلك فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير وهو المؤمن القارئ<sup>(١)</sup> ومنهم من دون ذلك، فذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث لذلك أصنافاً أربعة: <sup>(٢)</sup>

**الأول:** المؤمن الذي يقرأ القرآن ويتدبر معانيه، فيتحرك قلبه وتمتلئ نفسه من هدايته، ويكون سلوكه وفق ما تلا من آيات القرآن الكريم، فحسن بذلك ظاهره وباطنه، فشبهه الرسول بالأترجة<sup>(٣)</sup>.

أما النوع الثاني فهو المؤمن الذي لا يقرأ القرآن من حيث إنه مؤمن غير تال في الحال الذي لا يكون فيه تالياً، فهو وإن حرم من هذه النعمة الكبرى لكنه استجاب لدعوة القرآن ونفذ أوامره و التزم تعاليمه، فظهرت آثار ذلك في سلوكه وتعامله مع الآخرين، فهو حسن الباطن، نقي السريرة، فشبهه النبي ﷺ بالتمرة؛ لأنها ليست لها رائحة تدلُّ على طيبها، أو تلفت الأنظار إليها لكن طعمها حلو ومذاقها طيب، فكذلك حال المؤمن الذي لا يتلو القرآن حالاً.

**النوع الثالث:** منافق يدعي الإسلام ويقرأ القرآن ظاهره يخالف باطنه فيخدع الناس بقراءته للقرآن، فشبهه النبي ﷺ بالريحانة؛ لأن القرآن طيب وليس إلا أنفاس التالي وقت قراءته، وطعمها مر؛ لأن النفاق كفر الباطن، والحلاوة إنما هي للإيمان، فشبهه بالريحانة لكونه لم ينتفع ببركة القرآن، ولم يفز بحلاوة أجره فلم يجاوز الطيب موضع الصوت وهو الحلق، ولا اتصل بالقلب.

(١) فتح الباري، ابن حجر ١١٣/٢٩.

(٢) فيض القدير، المناوي، ص ٦٥٥/٥.

(٣) الأترجة: بضم الهمزة والراء وتشديد الجيم وقد تخفف، ثم معروف يقال لها تُرُجج جامع لطيب الطعم والرائحة وحسن اللون ومنافع كثيرة، عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الفكر، لبنان، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ص ٣٥١/١٠.

النوع الرابع: منافق يدعي الإسلام ولا يقرأ القرآن، فهو سيئ الباطن مظلم السريرة بما حوته نفسه من كذب ونفاق، بعيد عن الفائدة والتخلق والتزكية لبعده عن القرآن، وقد شبهه الرسول ﷺ بالحنظلة؛ لمرارة طعمها وخلوها من الرائحة الطيبة.

قال الإمام ابن حجر رحمه الله: (اعلم أن هذا التشبيه والتمثيل في الحقيقة وصفٌ اشتمل على معنى معقول صرف لا يبرزه عن مكنونه إلا تصويره بالחסوس المشاهد... ووجه التشبيه في المذكورات مركب منتزع من أمرين محسوسين: طعم، وريح، وقد ضرب النبي المثل بما تنبته الأرض، ويخرجه الشجر للمشاهدة التي بينها وبين الأعمال، فإنها من ثمرات النفوس فخص ما يخرجه الشجر من الأترجة والتمر بالمؤمن وبما تنبته الأرض من الحنظلة والريحانة بالمنافق؛ تنبيهها على علو شأن المؤمن، وارتفاع علمه ودوام ذلك وتوقيفاً على ضعة شأن المنافق وإحباط عمله وقلة جدواه)<sup>(١)</sup> وفي الحديث فضيلة حاملي القرآن، وضرب المثل للتقريب للفهم، وأن المقصود من تلاوة القرآن العمل بما دل عليه

و- تمثيل محارم الله بحمي الملوك:

عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال: {إنَّ الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتهيات لا يعلمهنَّ كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإنَّ لكل راع حمأ، ألا وإنَّ حمى الله محارمه، ألا وإنَّ في الجسد مضغة إن صلحت صلح الجسد كله، وإن فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب} <sup>(٢)</sup>.

أراد الرسول ﷺ من خلال هذه الصورة المحسوسة أن ينبِّه المسلمين إلى تعظيم حرمت الله، والابتعاد عن الأمور المشتهيات، والأمور المشتهيات هي التي ليست بواضحة الحلِّ والحرمة؛ لتجاذب الأدلة وتنازع المعاني والأسباب، فبعضها يعضده دليل التحريم، والبعض بالعكس ولا مرجح لأحدهما إلا خفاء، فلهذا لا يعرفها كثير من الناس ولا يعلمون حكمها<sup>(٣)</sup>.

(١) فتح الباري، ابن حجر، ص ٢٩/١١٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ٥/٥٠، برقم ٤١٧٨.

(٣) انظر المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، ١١/٢٧.

قال النووي: (الملوك يكون لكل ملك منهم حمى يحميه عن الناس ويمنعهم دخوله، فمن دخله أوقع به العقوبة، ومن احتاط لنفسه لا يقارب ذلك الحمى خوفاً من الوقوع فيه. والله تعالى أيضاً حمى وهي محارمه، أي المعاصي التي حرّمها الله كالقتل، والزنا، والسرقه، والقتل، والخمر، والكذب، والغيبه، والنميمة، وأكل المال بالباطل، وأشباه ذلك، فكل هذا حمى الله تعالى من دخله بارتكابه شيئاً من المعاصي استحق العقوبة، ومن قاربه يوشك أن يقع فيه، فمن احتاط لنفسه لم يقاربه ولا يتعلّق بشيء يقربه من المعصية فلا يدخل في شيء من الشبهات)<sup>(١)</sup>.

(وهو ﷺ يعتمد على ما استقرّ في أذهان الناس من أن لكل ملك حمى، ليس بوسع أحد أن يدخله إلا بإذنه، فإذا دخله أحد بغير إذن أثار غضب الملك وسخطه، واستحق عقوبته، وحمى الملك قد يتشابه مع غيره، وقد لا تكون الحدود واضحةً بينه وبين غيره من الأملاك، وهنا يستعين الرسول ﷺ بالتمثيل لتوضيح الفكرة، ولتصوير الحالة التي يكون عليها المرء حين يتبع ما تشابهه، فيختار صورة الراعي إلى جنب الحمى، وهذه الصورة يعرفها جمهور المسلمين معرفة جيدة. فالراعي في هذا الموضع قد يدخل حمى الملك دون علم منه؛ لعدم وضوح الحدود، وقد تدخل مواشيه على غفلة منه إلى الحمى القريب، وفي الحالتين لن تكون العقاب مرضيةً، ولن يعصمه الحذر منها)<sup>(٢)</sup>.

قال المناوي تعليقاً على هذا المثل النبوي: (إنما ضرب المثل بذلك زيادة في التوضيح والتقريب ليصير المعقول محسوساً والمتخيل متحققاً، فإن التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعنى الممثل ورفع الحجاب عنه وإبرازه في صورة المشاهد ليساعد فيه الوهم العقل، فإن المعنى الصرف إنما يدركه العقل مع منازعة الوهم؛ لأن طبعه الميل إلى الحس، وحبّ المحاكاة، ولذلك شاعت الأمثال في الكتب الإلهية، وفشت في عبارات البلغاء وإشارات الحكماء)<sup>(٣)</sup>. من خلال ما تقدم نرى أن أسلوب ضرب المثل من أهم الأساليب التي استعملها القرآن الكريم والسنة النبوية لتقريب المعاني، وقوة التصوير، وسرعة الإقناع، فالصورة التشبيهية التي تعتمد على التشبيه التمثيلي تتكوّن من مجموعة من العناصر، والجزئيات،

(١) المصدر السابق، ٢٨/١١.

(٢) أساليب التصوير في خطابة صدر الإسلام، عدنان محمد أحمد، دار التراث العربي، دمشق د.ط، ص ٧٨.

(٣) فيض القدير، المناوي، ٣٣٥/٤.

---

والتفصيلات الحركية أو التركيبية، تساهم جميعها في بناء الصورة وتجسيد المعنى وبيان خفاياه، من أجل تأكيده وإثباته، ومن أجل بلوغ التأثير المطلوب في المتلقي<sup>(١)</sup>. لذلك ينبغي على المعلم والداعية والمرثي، أن يستخدم هذا الأسلوب في كلامه أثناء قيامه بالدعوة، حتى يكون لكلامه وقعٌ في نفوس المخاطبين، وتظهر منه المعاني واضحةً جليةً، بشكل ملائم ومفهوم.

---

(١) انظر أساليب التصوير في خطابة صدر الإسلام، عدنان محمد أحمد، ص ٧٥.

---

---

## الفصل الثاني

### أهداف التشبيه في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة وخصائصه

المبحث الأول: أهداف التشبيه في الدعوة إلى الله تعالى.

المبحث الثاني: خصائص التشبيه في الدعوة إلى الله  
تعالى.

# المبحث الأول

## أهداف التشبيه في الدعوة إلى الله

### في ضوء الكتاب والسنة

الأصل في البيان التعريف بما يراد التعريف به بأسلوب مباشر، والخروج عن هذا الأصل لا يكون عند البلغاء والعقلاء إلا لغرض يقتضي ذلك، والتشبيه في الكتاب والسنة من الأساليب البيانية غير المباشرة للتعريف بما يراد التعريف به، وكلام الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام مترهان عن العبث، لذلك فإن كل تشبيه ورد فيهما له حكمة بالغة، وغرضٌ يهدف إليه<sup>(١)</sup>، فتشبيهات الكتاب والسنة لها أهداف كثيرة، ومنها، الإيجاز والاختصار، والبيان والتوضيح، والترغيب والترهيب، والمدح والذم، والإقناع والتأثير الوجداني وغير ذلك من الأغراض الدعوية، وقد يرمي التشبيه الواحد إلى أكثر من هدف من هذه الأهداف، فقد يأتي التشبيه الواحد للترغيب والإقناع والتوضيح ونحو ذلك، وسنعرض في المبحث التالي لأهم هذه الأهداف من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: الإيجاز والاختصار.

المطلب الثاني: البيان والتوضيح.

المطلب الثالث: الترغيب والترهيب.

المطلب الرابع: المدح والذم.

المطلب الخامس: الإقناع والتأثير الوجداني.

(١) انظر أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، عبد الرحمن حسن حبنكة، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤١٢هـ،

ص٦٠، ١٩٩٢م.

## المطلب الأول: الإيجاز والاختصار:

إنّ القول يكون حسناً وحكمة بقدر ما يعتني بأصول الكلام، ويتعد عن فضوله، فيتحرّك بنبضات القلب الحي، وهو اجس النفس الصادقة، ويحسن الكلام حين يكون قصداً عدلاً ليس بالإيجاز المخل، ولا الطويل الممل<sup>(١)</sup>.

ومن مظاهر الحسن في التشبيه أن يكون فيه إيجاز، والإيجاز من أعظم أنواع البلاغة، قال الزمخشري: (كما أنه يجب على البليغ في مظانّ الإجمال أن يجمل ويوجز، فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل أن يفصّل ويشيع)<sup>(٢)</sup>، والرماني تحدّث عن الإيجاز بقوله: (الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى)<sup>(٣)</sup> (ويلتزم فيه الرماني بآرائه في ثنائية اللفظ والمعنى، وفي تصوّره لمفهوم البلاغة، فلا يكون الكلام بليغاً إلا بتحققهما معاً، وتلازمهما تلازماً تاماً، وكذلك لا يكون في الكلام إيجازٌ حتى تأتي الألفاظ على قدر المعاني لا تزيد عنها ولا تنقص، فإذا كان الكلام يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة، كما يمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة، فإنّ الإيجاز هو البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ)<sup>(٤)</sup>.

والإيجاز ظاهرة بارزة تميّز الصورة القرآنية عن غيرها من الأساليب، وهي أنه في تصوّره يستثمر برفق أقل ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني، لا يجاوز سبيل القصد، ولا يميل إلى الإسراف ميلاً، بل كل مراميه تؤدّي كاملة العناصر في أقل ما يمكن من الألفاظ، وليس فيه حرف إلا جاء لمعنى. وفضلاً عن أنّ التصوير القرآني يتجنّب الحشو والفضول البتة، فإنه فوق ذلك كله ينتقي الألفاظ الجامعة المانعة، التي هي بطبيعتها اللغوية، أتمّ تحديداً للغرض، وأعظم اتساعاً لمعانيه المناسبة<sup>(٥)</sup>. يقول ابن عاشور رحمه الله: (ومن أبداع الأساليب في كلام العرب الإيجاز، وهو متنافسهم وغاية تباري إليها فصحاءهم، وقد جاء القرآن بأبدعه؛ إذ كان مع ما فيه من الإيجاز المبين في علم المعاني فيه

(١) انظر مفهوم الحكمة في الدعوة، صالح بن عبد الله بن حميد، دار العاصمة، الرياض، د.ت، ص ١٨، وقد تم بيان تعريفه والحديث عنه في مزايا الحديث النبوي ص ٣٣.

(٢) الكشف، الزمخشري، ص ١١٥/١.

(٣) النكت، الرماني، ص ٧٦.

(٤) المرجع السابق، ص ٧٦.

(٥) انظر الصورة الأدبية في القرآن الكريم، صلاح الدين عبد التواب، ص ١٤٠.

إيجازٌ عظيم آخر وهو صلوحية معظم آياته لأن تؤخذ منها معان متعددة كلها تصلح لها العبارة باحتمالات لا ينافيها اللفظ ، فبعض تلك الاحتمالات مما يمكن اجتماعه ، وبعضها وإن كان فرضاً واحداً منه يمنع من فرض آخر فتحريك الأذهان إليه وإخطاره بما يكفي في حصول المقصد من التذكير به للامثال، أو الانتهاء<sup>(١)</sup>. ويقول ابن عاشور رحمه الله في موضع آخر: (فالقرآن من جانب إعجازه يكون أكثر معاني من المعاني المعتادة التي يودعها البلغاء في كلامهم، وهو لكونه كتاب تشريع وتأديب وتعليم كان حقيقاً بأن يودع فيه من المعاني والمقاصد أكثر ما تحمله الألفاظ، في أقل ما يمكن من المقدار، بحسب ما تسمح به اللغة الوارد هو بها، التي هي أسمح اللغات بهذه الاعتبار)<sup>(٢)</sup>.

والمتتبع لأسرار التشبيه يجد أن تشبيهات القرآن الكريم والسنة النبوية، تتسم بالإيجاز البليغ غير المخل، فليس كل إيجاز بليغاً، وليس كل إطناب مملاً، بل إن الإيجاز مطلوب في موضعه، والإطناب مطلوب في موضعه، وهذا ما نجده في نصوص الكتاب والسنة.

أولاً: نماذج الإيجاز والاختصار في التشبيه في القرآن الكريم.

أ- تشبيه المؤمن والكافر.

في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾<sup>(٣)</sup>، (فهذا مثل ضربه الله تعالى

للمؤمنين وللكافرين، فكما لا تستوي هذه الأشياء المتباينة المختلفة في حقيقتها وفائدتها، كذلك لا يتساوى الكافر الذي عمى عن دين الله، والمؤمن الذي عرف طريق الرشاد فاتبعه وانقاد له، ولا تتساوى ظلمات الكفر ونور الإيمان، أو الباطل والحق، ولا يتساوى الثواب والعقاب أو الجنة والنار)<sup>(٤)</sup>، فعندما تشبّه الآية الكافر بالأعمى، والمؤمن بالبصير، فإن هذا التشبيه يغني عن التفصيل في حال كل منهما، فتشبيه الكافر بالأعمى يغني عن شرح طويل يفصل فيه حالة الكافر في الحياة الدنيا؛ إذ يتخبط على غير هدى في كل تصرفاته<sup>(٥)</sup>.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص ١/٢٢١.

(٢) المرجع السابق، ص ١/٩٣.

(٣) سورة فاطر: ١٩.

(٤) التفسير المنير، الزحيلي، ص ٢٢/٢٥٤.

(٥) انظر الأمثال في القرآن، عبد الرحمن حسن حبنكة، ص ١٠٨.

## ب- تشبيه أعمال الكافرين.

ويشبه القرآن الكريم أعمال الكافرين بالسراب، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا

أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ تَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ

عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾<sup>(١)</sup>، فالآية الكريمة تصف حال الكافرين الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، فوصف أعمال الكافر بأعمال الساعي إلى سراب يغني عن شرح طويل يصف حالة الكافر في الحياة الدنيا الساعي إلى إرواء ظمئه منها، دون جدوى، ويظل متعلق الأمل بما يسعى إليه حتى يدركه الموت وهو على ذلك<sup>(٢)</sup>.

## ج- تشبيه الانفاق في سبيل الله

﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا

أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾<sup>(٣)</sup>.

يعلق ابن عطية رحمه الله في تفسيره على هذه الآية بقوله: (المثال القائم في النفوس من إنفاقهم الذي يعدونه قربةً وحسبةً وتحتناً، ومن حبطه يوم القيامة وكونه هباءً منثوراً وذهابه كالمثال القائم في النفوس من زرع قوم نبت واحضر وقوي الأمل فيه فهبت عليه ريح فيها صرٌّ محرق فأهلكته فوق التشبيه بين شيئين وشيئين ذكر الله عز وجل أحد الشيين المشبهين وترك ذكر الآخر، ثم ذكر أحد الشيين المشبه بهما وليس الذي يوازي المذكور الأول وترك ذكر الآخر ودلّ المذكور أنّ على المتروكين، وهذه غاية البلاغة والإيجاز)<sup>(٤)</sup>.

وأما الإيجاز في السنة المطهرة، فإنّ كلام النبي ﷺ كان من سماته الإيجاز، وقد أوتي عليه الصلاة والسلام جوامع الكلم، فتجتمع في كلامه المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة، التي تقل عن العدد المتعارف عليه بين الناس في عادات خطابهم، فقد سلم كلام رسول الله ﷺ، من الإيجاز المخل، والإطناب الممل، المؤدي بالسامع إلى السامة والملل، قال ابن حجر:

(١) سورة النور: ٣٩.

(٢) انظر الأمثال في القرآن، عبد الرحمن حسن حبنكة، ص ١٠٩.

(٣) سورة آل عمران: ١١٧.

(٤) المحرر الوجيز، ابن عطية، ص ٤٨٨/١.

(وحاصله أنه ﷺ كان يتكلم بالقول الموجز، القليل اللفظ، الكثير المعاني)<sup>(١)</sup>.

يقول الأديب الجاحظ عن هذا الجانب في البلاغة النبوية: (وأنا ذاكر بعد هذا فناً آخر من كلامه ﷺ، وهو الكلام الذي قلَّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجلَّ عن الصنعة، ونُزه عن التكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: قل يا محمد: (وما أنا من المتكلفين)، فكيف وقد عاب التشديق، وجانب أصحاب التعقيب، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن المهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصمة، وشُدَّ بالتأييد، ويسر بالتوفيق، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلت به قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذل الخطب الطوال بالكلم القصار ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلافة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يبطن ولا يعجل ولا يسهب، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أقصد لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنىً، ولا أبين في فحوى، من كلامه ﷺ كثيراً)<sup>(٢)</sup>.

ثانياً- نماذج من الإيجاز والاختصار في التشبيه من سنة النبي ﷺ

أ- تشبيه المدينة المنورة.

فالنبي الكريم نفذ إلى قلوب الكلمات، واختار أقدرها على التعبير عن المعنى، فعندما يتحدث النبي ﷺ، عن المدينة النبوية وفضائلها، ويبيِّن طيبها وطهرها، ويحثُّ الناس على سكنى المدينة وعدم الخروج منها؛ لما لها من فضل عظيم، يشبّه النبي الكريم المدينة بالكبير الذي يستخدمه الحدّاد في تنقية الحديد من الشوائب حتى يصبح نقياً صالحاً، يقول عليه الصلاة والسلام: {المدينة كالكبير تنقي خبثها وينصع طيبها}<sup>(٣)</sup>.

(١) فتح الباري، ابن حجر، ص ٢٤٧/١٣.

(٢) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت: فوزي عطوي، دار صعب ط ١، ١٩٦٨م، ص ١٧/٢-١٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل الحج، باب المدينة تنفي الخبث، ص ٢٢/٣، برقم ١٨٨٣.

ومعنى الحديث أنه يخرج من المدينة مَنْ لم يخلص إيمانه، فَمَنْ خرج عن المدينة كراهة فيها ورغبة عنها فإنه كالحبث الخارج عن الحديد عند تطهيره وتنقيته، وهذا لا يشمل الصالحين الذي فارقوا المدينة لأغراض صحيحة، كنشر العلم وفتح بلاد الشرك والمرابطة في الثغور وجهاد الأعداء، وهم يعتقدون فضل المدينة وفضل سكانها<sup>(١)</sup>.

فانظر إلى هذه الكلمات القليلة في التشبيه الذي استخدمه النبي ﷺ، والتي تظهر فيه كل هذه المعاني، في كلامٍ وجيزٍ مختصرٍ بليغٍ، يبين عظمة وقداسة المدينة المنورة، وفضل سكانها.

### ب- تشبيه للزهد في الدنيا

ومن الأحاديث الشريفة التي يظهر فيها الإيجاز في كلام النبي وتشبيهاته عليه الصلاة والسلام، قوله: {كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل}<sup>(٢)</sup>، ففي هذا الحديث (يدعو النبي عليه الصلاة والسلام المؤمنين للزهد في الدنيا وعدم الانشغال بمتاعها، والإقبال على الآخرة؛ لأنها دارا القرار، فشبه الناسك السالك بالغريب الذي ليس له مسكن يأويه، ولا مسكن يسكنه، ثم ترقى وأضرب عنه إلى عابر السبيل؛ لأن الغريب قد يسكن في بلد الغربة، بخلاف عابر السبيل القاصد لبلد شاسع وبينهما أودية مردية، ومفاوز مهلكة، وقطاع طريق، فإن من شأنه أن لا يقيم لحظة، ولا يسكن لحظة)<sup>(٣)</sup>.

وهذا المعنى موجودٌ في كثير من نصوص الكتاب والسنة، ولكنه عليه السلام يقدم في هذه الحديث جميع هذه المعاني في كلمات قصيرة، فهذا الحديث الذي لا يتجاوز عشر كلمات يرسم منهج حياة أمة، ليعدها لحياة أخرى هي الحياة الباقية، وانظر إلى التدرج في التشبيه، فقد بدأ بالتشبيه بالغريب ثم ثنى بعابر السبيل؛ لأنه أكثر عزوفاً عن الدنيا، وليس له رغبة في التملك أو المقام، إنما هو مارٌّ مرور الكرام، ينظر ويعتبر<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر فتح الباري، ابن حجر، ٢٠٠/١٣ و المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ص ١٥٦/٩.  
(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، ص ٨٩/٨، برقم ٦٤١٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ص ٢٣٤/١١.

(٤) انظر التشبيه التمثيلي في الصحيحين، فائزة سالم صالح يحيى أحمد، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، ١٤٠٥هـ، ١٤٠٦هـ، ص ١٣٤.

## المطلب الثاني: البيان والتوضيح:

(لما كان التبليغ والتبيين الغرض الأول من هَدْي القرآن الكريم، وجدنا التشبيهات منثورة فيه بكثرة؛ وذلك لأنَّ هذه التشبيهات تعين في الإبانة والتوضيح للصور المراد عرضها أجلى وأنصع ما يمكن أن تكون)<sup>(١)</sup>.

التشبيه من صور البيان الرائعة التي تتخذ من التشبيه طريقاً دقيقاً مصوراً ومعبراً عن كلِّ ما تدركه الوجدانات، أو تنفعل له المشاعر والأحاسيس، والتشبيه في حقيقته التأثيرية ما هو إلا ملح الصلة بين أمرين من حيث وقعهما النفسي، وبه يوضِّح الإنسان شعوره نحو شيء ما توضيحاً وجدانياً، حتى يحس السامع بما يحس به المتكلِّم، ولا شك أن تشبيه الشيء بغيره يهدف إلى تقرير المشبه في النفس بصورة المشبه بها وبمعناه، وخاصة إذا كان التشبيه رائعاً جيِّداً يدرك به المتفنن ما بين الأشياء من صلوات، يمكن أن يستعين بها في توضيح شعوره، ومن ثم يثير في النفس الاستحسان والارتياح، فبلاغة التشبيه في تحقق ما أريد به، من التحقق بين الشئيين، أو الوقوف على مدى التقريب بينهما، إذاً أنه كلما كان التشبيه محققاً للغرض الذي اجتلب من أجله كان أبلغ وأوعى<sup>(٢)</sup>. وبسبب هذا الدور الذي يؤدِّيه التشبيه في الإيضاح فإنه يعدُّ أوضح الأنواع البلاغية ارتباطاً بفن الوصف، فهو يرسم المعاني رسماً، ويعمل على تمثيلها سعياً وراء التعريف والتأثير ولذلك فإن الوحي عندما يريد أن يوضِّح قضية تغمض على بعض الناس يشرحها بتشبيه معروف للناس؛ ليظهر الخفي في صورة الجلي، والغائب في صورة المشاهد، وتجعل المتخيِّل في صورة المتحقِّق<sup>(٣)</sup>.

ومن أغراض التشبيه (توضيح المعاني من خلال تقريب صورة المشبه إلى ذهن المخاطب، فقد يكون لدى المخاطب نوعٌ جهالة حول المرغَّب به ويراد رفعها عنه، وقد يكون المشبه أمراً ذهنياً، أو وجدانياً ليس ذا صورة مادية يمكن أن تُدرك بالحسِّ الظاهر، فيقوم التشبيه بتقريب هذه الصورة الذهنية، وقد يكون المشبه مادياً يدرك بالحسِّ الظاهر، ويتم تقريبه من خلال

(١) التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، واجدة الأطرقي، ص ٧٣-٧٤.

(٢) انظر الصورة الأدبية في القرآن الكريم، صلاح الدين عبد التواب، ص ٤٤.

(٣) انظر أساليب التصوير في خطابة صدر الإسلام، عدنان محمد أحمد، ص ٧٤ وموسوعة الأمثال القرآنية، محمد عبد

الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الآداب، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ص ٢٥ / ١.

التشبيه<sup>(١)</sup>. فالبيان والتوضيح هو ميزة التشبيه الكبرى؛ لأنَّ وظيفته الأساسية أن يزيل عن المعنى اللبس والغموض، ويجلوه على الأنظار، ويقربُه إلى الأذهان، لذلك كان أشد عيوب التشبيه قبحاً أن يأتي مبهماً مستغلقاً، فإنَّ ذلك ضد الغرض الذي سيق من أجله<sup>(٢)</sup>.

ومن نماذج التشبيهات في القرآن الكريم التي تهدف من جملة ما تهدف إلى التوضيح والبيان في أبلغ أسلوب وأعظم تشبيه، من خلال تقريب المعنى الذهني بتشبيهه بصورة حسية ظاهرة، قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(تمثّل الآية لحال للمؤمنين والكافرين بحال من جمع بين العمى والصمم، ومن جمع بين البصر والسمع ففي الآية تشبيهان: الأول تشبيه حال الكفرة الموصوفين بالتعمي، والتصام عن آيات الله تعالى بحال من خلق أعمى أصم لا تنفعه عبارة ولا إشارة، والثاني تشبيه حال الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانتفعوا بأسماعهم وأبصارهم إهداءً إلى الجنة وإنكفاءً عما كانوا خابطين فيه من ضلال الكفر والدجنة بحال من هو بصير سميع يستضيء بالأنوار في الظلام<sup>(٤)</sup>)، فالآية تشبّه حالة الصدود عن الحق التي عند الكفار، وهي حالة نفسه فكرية قلبية، بحالة حسية تتمثل في الأعمى والأصم والبصير والسميع، فالكافر أعمى عن النظر إلى الدلائل والشواهد، وأصم عن سماع الحق من أهل الحق، بعكس المؤمن البصير بآيات الله والسامع لأمره ونهيه.

ومن التشبيهات التي تقرب إلى ذهن المخاطب معنى حسياً من خلال تشبيهه بمعنى حسي، لتقريب المعنى إلى نفس المخاطب وتصويره في خياله، وذلك في مقام وصف نعيم الآخرة أو عذابها وما أعدَّ فيها لأصحاب الجنة وأصحاب النار، وبما أنَّ أنواع النعمة أو العذاب في الآخرة لا تكون من جنس نعيم الدنيا أو عذابها، فلا يمكن تشبيه إحداهما بالأخرى إلا على سبيل التقريب، كوصف الحور والغلمان، فانظر إلى وصف الله سبحانه

(١) انظر أمثال القرآن، عبد الرحمن حسن حبنكة، ص ٦١.

(٢) فن التشبيه، علي الجندي، ص ٦٦.

(٣) سورة هود: ٢٤.

(٤) روح المعاني، الألوسي، ص ٢٤/١٢.

للحور العين في الجنة وتقريب مدى جمالهن وحسنهن للمؤمنين، في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٥٩﴾﴾<sup>(١)</sup> وقوله سبحانه: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٦٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٦٣﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد تعتمد تشبيهات الكتاب والسنة إلى البيان والتوضيح والتعبير من خلال التصوير، فعندما يريد القرآن أن يعبر عن معنى مجرد، أو حالة نفسية أو صفة معنوية، أو نموذج إنساني، أو حادثة واقعة، أو قصة ماضية، أو مشهد من مشاهد القيامة، أو حالة من حالات النعيم والعذاب.

فانظر إلى قوله تعالى في تصوير مشهد سفينة نوح عليه السلام: (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ)، (فبعد أن أمر الله سبحانه وتعالى نوحاً عليه السلام وأهله والمؤمنين بركوب السفينة، أعقبه بتصوير إلهي رائع لسير السفينة وسط المياه ذات الأمواج العظيمة، بسبب الرياح الشديدة العاصفة، وبقصد بيان شدة الهول والفرع)<sup>(٣)</sup>. (فشبه السفينة في حال جريها بنوح وبقومه في موج يشبه الجبال في علوه وارتفاعه وامتداده، وهو يحدث في ظاهر البحر عند اضطرابه وارتفاعه بفعل الرياح، ومن شاهد ما يحدث في البحار العظيمة من الأمواج عندما تهيجها الرياح الشديدة، رأى أن المبالغة في هذا التشبيه غير بعيدة)<sup>(٤)</sup>.

ومن أمثلة التصوير في سياق التشبيه، عندما يذكر القرآن الكريم يوم القيامة، ويبيّن سرعة قيام الساعة، بأسرع مما يستطيع الناس أن يتخيلوا، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَمْرٌ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

تخبر الآية الكريمة (أن الله سبحانه يجيء بالساعة أسرع ما يكون وهو قادر على ذلك، وما أمر إقامة الساعة التي كنهها وكيفيتها من الغيوب الخاصة به سبحانه، وهي إماتة الأحياء، وإحياء الأموات من الأولين والآخرين وتبديل صور الأكوان أجمعين، والتي هي

(١) سورة الرحمن: ٥٨ - ٥٩.

(٢) سورة الواقعة: ٢٢-٢٣.

(٣) التفسير المنير، الزحيلي، ص ٧٥/١٢.

(٤) التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، واجدة الأطرقي، ص ٢٢٩.

(٥) سورة النحل: ٧٧.

أعظم ما وقع فيه الممارة من الغيوب، إلا كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها، أو هو أسرع زماناً من ذلك، وهذا تمثيل لسرعة مجيئها<sup>(١)</sup>. فتجد في هذا التشبيه غاية البيان والتوضيح، لأمر القيامة، وقرب وقوعها، في أي لحظة.

وعندما يتحدّث القرآن الكريم عن الإيمان بالبعث، يشبّه إخراج الموتى من قبورهم بإخراج النبات من الأرض، فيقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(يُصَوِّرُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مشهد السحاب عندما تقوده الرياح بإذن الله إلى الأرض الجذبة القاحلة، فتحولها إلى جنة مثمرة، ثم يشبه هذا الحالة المصورة بالبعث يوم القيامة وإخراج الموتى من قبورهم، فمثل هذا الإخراج لأنواع النبات من الأرض الميتة الجذبة بالماء، نخرج الموتى ونبعثهم، فالله على كل شيء قدير، يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، وقد بين سبحانه هذا الشبه للناس ليتذكروا ويتعظوا، ويؤمنوا بالبعث، فالأمثال تقرن ببعضها لمعرفة تماثلها في الحكم)<sup>(٣)</sup>.

إن التشبيه في القرآن تعود فائدته على المشبه تصويراً وتوضيحاً، ولهذا كان المشبه دائماً أقوى من المشبه به وأشدّ وضوحاً، ففي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ مَثَلُ نُورِهِ ۗ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۗ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۗ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۗ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ ۗ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

(فالله سبحانه يشبه في الآية نوره في قلب عبده المؤمن بنور المشكاة)، كما ورد في كثير من التفاسير، وهو اختيار ابن القيم رحمه الله<sup>(٥)</sup>، فقد يبدو أن المشبه وهو نور الله أقوى

(١) تفسير أبو السعود، أبو السعود، ١٣١/٥.

(٢) سورة الأعراف: ٥٧.

(٣) التفسير المنير، الزحيلي، ص ٢٤٦/٨.

(٤) سورة النور: ٣٥.

(٥) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ابن القيم، ص ٤٩/٢ - ٥٠.

من مصباح المشكاة، ولكن بالتعمق في فهم الآية الكريمة، يظهر أن النور المراد هو النور الذي يغمر القلب، ويشرق على الضمير، فيهدي إلى سواء السبيل، فالقلب ليس في حاجة إلى أكثر من هذا المصباح، يلقي عليه ضوءه، فالقلب المظلم، لا يلبث نور اليقين أن يشرق عليه، فيجد الراحة والاستقرار في حين يرى البعض أن المشبه به في هذه الآية أقوى من المشبه في هذه الآية لكونه أوضح، ومن ثم فالإحاطة به أتم وأكمل<sup>(١)</sup>.

وتشبيهات السنة النبوية أيضاً نجد أنها تهدف إلى إيضاح المعاني وتقرير معناها، بطريقة توضّح المعنى المطلوب بأفصح بيان وأعظم توضيح، ومن الأمثلة الرائعة على ذلك تشبيه النبي ﷺ للواقع بالشبهات بالراعي الذي يحوم حول حمى الملك، ويوشك أن يدخله فينال عقابه، فكذلك الذي يحوم حول حمى ملك الملوك، وحمى الله هي محارمه، فمن تقحم بجرأة الأمور المشتبهات التي يشك في حرمتها وحليتها، أو شك أن يقع في الحرام، ويتعدى حدود الله ويظلم نفسه، فهذا التشبيه فيه غاية التوضيح والبيان.

قال عليه الصلاة والسلام: {إنَّ الحلال بيّن، والحرام بيّن، وبينهما أمور مشتهيات لا يعلمهنّ كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإن لكل راع حمًا، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إن صلحت صلح الجسد كله، وإن فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب} <sup>(٢)</sup>.

قال المناوي رحمه الله: (إنما ضرب المثل بذلك زيادة في التوضيح والتقريب ليصير المعقول محسوساً والمتخيّل متحقّقاً، فإن التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعنى الممثل ورفع الحجاب عنه وإبرازه في صورة المشاهد ليساعد فيه الوهم العقل، فإن المعنى الصريح إنما يدركه العقل مع منازعة الوهم؛ لأن طبعه الميل إلى الحسّ وحبّ المحاكاة، ولذلك شاعت الأمثال في الكتب الإلهية، وفشت في عبارات البلغاء، وإشارات الحكماء) <sup>(٣)</sup>.

(١) انظر موسوعة الأمثال القرآنية، محمد عبد الوهاب عبد اللطيف، ص ٢ / ٤٧٧ ومن بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، ص ١٩٤-١٩٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ص ٥٠/٥، برقم ٤١٧٨.

(٣) فيض القدير، المناوي، ص ٣٣٥/٤.

## المطلب الثالث: الترغيب والترهيب:

المقصود بالترغيب في مجال الدعوة إلى الله كلُّ ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والمقصود بالترهيب كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وحزيل ثوابه في الآخرة، وأن يكون الترهيب بالتحذير من غضب الله وعذابه في الآخرة وهذا هو نهج رسل الله الكرام كما بيّنه القرآن الكريم وجاءت به السنة النبوية المطهرة<sup>(١)</sup>. (فمفهوم الترغيب عند علماء الدعوة الإسلامية هو قوة كبيرة تجذب النفس الإنسانية إلى طريق الخير وتستعطفها نحوه، بما أعدَّ الله لسالكيه من منافع، ولذات وخيرات عظيمة معجلة مؤجلة)<sup>(٢)</sup>، (فالترغيب يكون بكل ما يشوق إلى الاستجابة وقبول الحق والالتزام به والثبات عليه وتزيين المشبه له وإبراز جوانب حسنه عن طريق تشبيهه بما هو محبوب للنفوس ومرغوب لديها<sup>(٣)</sup>)، (والترهيب يكون بكل ما يخيف ويحذر من عدم الاستجابة أو رفض هذا الحق أو عدم الالتزام به أو الثبات عليه، والكتاب والسنة مليعان بما يرغب الناس في قبول دعوة الحق، وإلى ما فيه خيرهم وسعادتهم، ومليء بكل ما ينفر الناس عن الضلال والكفر واتباع طريق الشرور والآثام)<sup>(٤)</sup>.

ومن أهداف تشبيهات الكتاب والسنة ترغيب الأفراد فيما فيه صلاحهم، وفوزهم في الدنيا والآخرة، ومن الأغراض الترغيبية لهذه التشبيهات:

تقريب صورة المرغوب به إلى ذهن المخاطب عن طريق تشبيهه بما تحبُّه القلوب وتأنس به النفوس، فالتشبيه في هذه الحالة أحسن الوسائل عند تعذر إحضار المرغوب به، أو إحضار صورته أمام المخاطب، كقوله تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ۖ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ۗ ﴾ جزاء بما

(١) انظر أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م، ص ٣١٦.

(٢) أسلوب الترغيب في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، مفهومه مجالاته آثاره، سليمان عبد العزيز بن أحمد السديش،

بحث مقدم إلى قسم الدعوة والاحتساب لنيل درجة الماجستير، ١٤١٦هـ، ص ١٣٢.

(٣) أمثال القرآن، عبد الرحمن حسن حبنكة، ص ٧٧.

(٤) أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البياني، عمر محمد عمر باحاذق، دار المأمون للتراث، بيروت، ط ١،

١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، ص ١٢٨.

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾<sup>(١)</sup>، فالتشبيه في الآية الكريمة يرغب المؤمنين في عمل الصالحات حتى يكون من أهل الجنان، ويحظوا بالخور العيان، الذين أجمل ما يقال في وصفهنّ، ويرغب في حسنهنّ، أنهن يشبهن اللؤلؤ المكنون، في الجمال والرقّة والنفاسة، فالتشبيه في الآية الكريمة يدعو إلى إثارة النفس، والتعلق بهذه الأوصاف التي تطمئن إليها الروح.

ومن هذا الأغراض الترغيبية للتشبيه التزيين والتحسين، كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٥﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٧﴾<sup>(٢)</sup>.

فشبه سبحانه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة المثمرة الراسخة الآمنة من الانقلاع والانقطاع، والزوال، والفناء وهي طيبة، الشكل والريح والمنظر، وشبه الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة الواهنة الضعيفة المجتثّة من جذورها، فالتشبيه الأول فيه تزيين وتحسين للكلمة الطيبة، وهي كلمة التوحيد والإيمان والقرآن، والتشبيه الثاني فيه تنفير من الكلمة الخبيثة، وهي كلمة الكفر والشرك، وبالمقارنة بين كلمتي الحق والباطل، وما ضرب لهما من مثل، فإن العاقل يرغب بأن يكون من أصحاب الكلمة الطيبة، وينفر من أن يكون من أصحاب الكلمة الخبيثة، وبذلك يؤدّي التشبيه في الآية الكريمة الغرض المطلوب<sup>(٣)</sup>.

ومن هذه الأغراض إثارة الطمع والرغبة لدى المخاطب، وكمثال على ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ۗ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾<sup>(٤)</sup>.

(ففي إثارة محور الطمع يتجه الإنسان بمحرض ذاتي إلى ما يراد توجيهه له، فإن الناس يعرفون قيمة العطاء الزراعي إذا أقبل، ويشهدون أمثلته الكثيرة في الواقع، فإذا كان هذا الإقبال

(١) سورة الواقعة: ٢٢-٢٤.

(٢) سورة إبراهيم: ٢٤-٢٦.

(٣) انظر الكشاف، الزمخشري، ص ١٢٥/٤.

(٤) سورة البقرة: ٢٦١.

في العطاء الزراعي قد يصل بعملية حسابية سهلة إلى سبعمائة ضعف؛ لأنَّ الحبة الواحدة تنتب سبع سنابل، والسنبلة الواحدة تحمل مئة حبة، كانت إثارتها لطمع الإنسان المزارع والتاجر بطبعه أعظم وأكثر<sup>(١)</sup>.

والترهيب يبلغ أشده في وصف القرآن الكريم للنار وتشبيهه عذاب أهلها، فصور العذاب قد عرضها القرآن الكريم بأسلوب تصويري دقيق، في مشاهد يمتزج فيها العذاب الحسي والمعنوي، فانظر إلى قوله سبحانه: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٣٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٣٨﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٣٩﴾ فَإِنَّهُمْ لَأَكَلُونَ مِنْهَا فَمَا لَعُونَهَا مِنْهَا اللَّبُطُونَ ﴿٤٠﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

فالآية الكريمة تشبه شجرة الزقوم وهي من شجر النار المرعب المخيف، برؤوس الشياطين ووجه الشبه: قبح المنظر وتشويه الصورة، وقد صنّف العلماء هذا التشبيه في باب التشبيه بالمتخيّل وليس المحسوس. وقد يقال كيف تشبه الآية شجرة الزقوم وهي مجهولة برؤوس الشياطين هي مجهولة أيضاً؟ يجيب الفخر الرازي رحمه الله على هذا بقوله:

(إنَّ الناسَ لما اعتقدوا في الملائكة كمال الفضل في الصورة، والسيرَة واعتقدوا في الشياطين نهاية القبح والتشويه في الصورة والسيرَة، فكما حسن التشبيه بالملك عند إرادة تقرير الكمال والفضيلة في قوله: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup> فكذلك وجب أن يحسن التشبيه برؤوس الشياطين في القبح وتشويه الخلقة، والحاصل أن هذا من باب التشبيه لا بالمحسوس بل بالمتخيّل، كأنه قيل إنَّ أقبح الأشياء في الوهم والخيال هو رؤوس الشياطين فهذه الشجرة تشبهها في قبح النظر وتشويه الصورة، والذي يؤكّد هذا أن العقلاء إذا رأوا شيئاً شديداً الاضطراب، منكر الصورة، قبيح الخلقة، قالوا إنه شيطان، وإذا رأوا شيئاً حسن الصورة والسيرَة، قالوا إنه ملك<sup>(٤)</sup>.

(١) أمثال القرآن، عبد الرحمن حسن حبنكة، ص ٨٦-٨٧.

(٢) سورة الصافات: ٦٢-٦٦.

(٣) سورة يوسف: ٣١.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي، ١٢٤/٢٦.

وكذلك في السنة النبوية نجد النبي ﷺ يستخدم في تشبيهاته أسلوب الترغيب، كقوله عليه الصلاة والسلام، في الحث على الصبر: {إِنَّمَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِ حِينَ يَصِيبُهُ الْوَعَكُ أَوْ الْحُمَى كَمَثَلِ حَدِيدَةٍ تَدْخُلُ النَّارَ فَيَذْهَبُ خَبْثُهَا، وَيَبْقَى طَيِّبُهَا} <sup>(١)</sup>، فالنبي عليه الصلاة والسلام يرغب المؤمن بالصبر على المرض والمصائب، فيشبهه تطهير المؤمن من الخطايا والذنوب، بتنقية الحديد إذا أدخلت بالنار لتنقى من الشوائب.

وأما الترهيب والتنفير فيكون بإبراز جوانب قبح المشبه عن طريق تشبيهه بالمكروه والمستقبح في النفوس، ومن الآيات القرآنية في هذا الباب قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَنِذِرُونَ عَلَيْنَا أُنْتَهَىٰ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ <sup>(٢)</sup> وقال تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۗ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ۗ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٣١﴾﴾ <sup>(٣)</sup>، لما كان الإنسان يعيش في الدنيا، ويشاهدها، ويحس بها ويتعرض لإغراءاتها مما قد يجره إلى الركون إليها والتعلق بها ونسيان الآخرة، فلا بد إذا من تنفير المدعوين من إثارها على الآخرة لا من الفرار منها جملة واحدة، مع بيان حقيقتها وقيمتها وقدرها بالنسبة إلى الآخرة ونعيمها، وقد بين ذلك كله القرآن الكريم خير بيان مما يجعل أي مسلم عاقل يؤثر الآخرة على الدنيا، بل ويجعل المدعو غير المسلم منجذب إلى هذه الحقائق في موازنة الدنيا مع الآخرة، وقد يجره ذلك إلى الإيمان لما يحسه من صدق هذا البيان والتصوير لقيمة الدنيا <sup>(٤)</sup>.

(١) مستدرک الحاکم ، ص ٢٣٩/١ ، رقم ٢٢٨ .

(٢) سورة يونس : ٢٤ .

(٣) سورة الحديد: ٢٠ .

(٤) انظر أمثال القرآن، عبد الرحمن حسن حبنكة، ص ٣١٨ .

ومن السنة النبوية فإنَّ أحاديث النبي ﷺ التي ورد فيها التشبيه، هدفت في كثيرٍ من الأحيان إلى الترغيب والترهيب، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: {مَثَلُ الْمُؤْمَنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ لَا تَزَالُ الرِّيحُ تَمِيلُهُ، وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يَصِيْبُهُ الْبَلَاءُ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الْأَرْزِ لَا تَهْتَرُ حَتَّى تَسْتَحْصِدَ} <sup>(١)</sup>.

فهذا التشبيه الرائع والتصوير الفائق، جعل كلاً من المؤمن والمنافق، صورة واضحة للعيان، كأنها مشاهدة مرئية، وبهذا تتضح حقيقة المؤمن وحقيقة المنافق، والصورة الأولى مشوّقة، والصورة الثانية تنفر من النفاق، وتجعل المؤمن يزداد تمسكاً بإيمانه؛ لما يحسّ به بعد إيراد هذه الصورة البيانية الرائعة. فكل عاقل يسمع هذا التصوير يرغب في أن يكون من أصحاب الصورة الأولى، وينفر من ذوي الصورة الثانية <sup>(٢)</sup>.

وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام، في التنفير من الرجوع بالصدقة: {مَثَلُ الَّذِي يَتَصَدَّقُ بِالْصَدَقَةِ، ثُمَّ يَرْجِعُ فِيهَا، كَمَثَلِ الْكَلْبِ، قَاءَ ثُمَّ عَادَ فِي قَيْئِهِ، فَأَكَلَهُ} <sup>(٣)</sup>.

(فهذه الصورة المنفرة التي رسمها الحديث الشريف، عندما شبّه الراجع بالصدقة، بالكلب الذي يأكل قيئه، فإنَّ المؤمن عندما يتصدّق إنما يتصدّق عن طيب نفس، ويتغى بالصدقة وجه الله، فعندما يستمع لنداء الشيطان عندما يوسوس له، ليتراجع عن صدقته ويستردها، استحقَّ هذا الوصف النبوي، فجاء التشبيه بهذه الصورة المنفرة، لتناسب هذا الفعل القبيح، والعمل الدنيء، والمراد من الحديث التزيه عن فعلٍ يشبه فعل الكلب، فلا ينبغي للمؤمنين أن يتصفوا بصفة ذميمة يشابهون بها أحسن الحيوانات في أحسن أحوالها) <sup>(٤)</sup>.

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام، في وصف الذي ينصر قومه بالباطل، كما كان عليه الناس في الجاهلية: {مَثَلُ الَّذِي يَعِينُ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ، كَمَثَلِ بَعِيرٍ رَدِيٍّ فِي بئرٍ، فَهُوَ يَتَرَعُّ مِنْهَا بِذَنْبِهِ} <sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح مسلم، كتاب صفة الجنة والنار، باب مثل المؤمن كالزرع ومثل الكافر كشجر الارز ١٣٦/٨، برقم ٧٢٧٠.

(٢) انظر موسوعة الأمثال القرآنية، ص ١٤٩ / ١.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الهبات، باب تحريم الرجوع في الصدقة، ص ٦٤/٥، برقم ٤٢٥٥.

(٤) تحفة الأحوذى، المباركفوري، ص ٤١٣/٣.

(٥) مسند الإمام احمد، ص ٤٠١/١، برقم ٣٨٠١.

---

معنى هذا الحديث (أنه قد وقع في الإثم وهلك، كالبعير إذا تردى في بئرٍ فصار يترع بذنبه ولا يقدر على الخلاص)<sup>(١)</sup>، ويهدف الحديث الشريف إلى التنفير من الوقوف مع الظلم والباطل ولو كان صادراً من الأقربين، والوقوف مع الحق كائناً مَنْ كان صاحبه، من خلال تشبيه المعاند الناصر للباطل، بالبعير وقع في بئرٍ وصار الناس يجرونه من ذيله لإنقاذه، بلا فائدة ولا جدوى، فهو سائر إلى حتفه لا محالة، وهي صورة تمثل حال الواقفين مع الباطل بمشهد مؤلم منفر يتحاشاه كلُّ عاقل.

---

(١) فيض القدير، المناوي، ص ٦٥٢/٥.

## المطلب الرابع: المدح والذم:

إنَّ من أساليب الدعوة في القرآن والسنة مدح أهل الصلاح والتقوى وذم أهل الفساد والعصيان، فامتداح المؤمنين الصالحين بإيمانهم وصلاتهم لحمل الآخرين على الاقتداء بهم وتمثّل سلوكهم، والتهوين من شأن الكفرة والفاسقين والخطّ من قدرهم، بهدف التنفير منهم، وتحذير الناس من انتهاج نهجهم واتباع سبيلهم.

إنَّ أساليب المدح والذم في القرآن والسنة كثيرة ومتنوعة، ومن الأساليب التي اعتمدها الكتاب والسنة في المدح والذم، أسلوب التشبيه والتمثيل، ومن الأمثلة على ذلك مدح أصحاب النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ

بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ

السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَعٍ أُخْرِجَ شَطْرَهُ فَأَزَّزَهُ فَأَسْتَغْلَظَ

فَأَسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾. في الآية الكريمة (تمثيلٌ للنبي ﷺ وأصحابه

في أن النبي ﷺ بعث وحده، فكان كالزرع حبة واحدة، ثم كثر المسلمون فهم كالشطاء،

وهو فراخ السنبل التي تنبت حول الأصل) (٢).

لقد شبّهت الآية الكريمة النبي وأصحابه والكرام بتشبيهات فيها من المدح والثناء

الشيء العظيم، فشبّهت الآية الصحابة في تعاونهم وكمال حالهم وترقيهم في الزيادة إلى أن

قروا، واستحكموا بالزرع المبارك الذي أخرج فروعاً على جوانبه، فأصبح مستويًا قويًا

شديدًا مستقيمًا على أعواده حتى أعجب الخاصة من الزرّاع والعامّة من الناظرين، فالصحابه

كالزرع في نفعهم للخلق، وقوّة إيمانهم وسمو أعمالهم، كقوّة عروق الزرع، وسماقه

سوقه، ولهذا يقول سبحانه: (ليغيظ بهم الكفار)، لما يرونه من اجتماعهم، وقوّة اعتصامهم

بدين الله، وشدّتهم على أعدائه وعدوهم (٣).

(١) سورة الفتح: ٢٩.

(٢) البحر المحيط، أبو حيان، ص ١٠١/٨.

(٣) انظر ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة وكلام العرب، مصطفى عيد الصياصنة، ص ١١٠.

ففي هذه التشبيهات مدحٌ للصحابة الكرام يدفعهم لعمل المزيد من الصالحات، والجدُّ والاجتهاد في مرضاة الله ورسوله، والاهتمام بعمل الصالحات لئيل مغفرة الله وأجره ورضوانه، كما أن هذا المدح للصحابة الكرام فيه تشجيعٌ لمن يأتي من بعدهم لاقتفاء آثارهم والافتداء بهم؛ حتى ينال ما نالوا من المدح والثناء، والأجر العظيم.

أمَّا الذم في القرآن والسنة فهو موجهٌ إلى الكفرة والمشركين، حيث نجد تشبيهاتهما تفضح حالهم، وتبين تفاهة اعتقاداتهم، وتكشف سوء طوياتهم، مما يبعث في النفس الاشمئزاز من سلوك طريقهم، وابتغاء سبيلهم، فتشبيهات الكتاب والسنة المراد منها الذم والتحقير، عرّت المشركين حتى جعلتهم في أسفل سافلين، لذلك قال فيها الشيخ مصطفى المراغي: (وإن جاء التمثيل في باب الذم كان وقعه أشدّ، وحده أحد<sup>(١)</sup>)، لذلك نجد أن الكتاب والسنة شباها الكافرين تشبيهات تليق بهم، كالحمار والكلب والعنكبوت والجراد والفراس، وغير ذلك من التشبيهات التي تصوّر حالهم.

وقد استخدم القرآن الكريم والسنة النبوية أنواعاً من التشبيهات فيها الذم والتحقير للكافرين وأعمالهم، هدفت إلى التشنيع على الذين لم يستجيبوا لدعوة الحق، وتذمّ من رضي لنفسه أن يتصف بالصفات القبيحة، كالتشبيه الذي ساقه الله سبحانه في شأن من آتاه الله كتابه وعلمه ثم نبذه وراء ظهره، ولم يعمل بما فيه، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ

الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٦﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٧﴾<sup>(٢)</sup>، (في هذه الآية مثل الله تعالى حال ذلك المشرك الذي آتاه الله العلم،

فبدل أن يستفيد منه ويعمل به، تركه وانسلخ منه واتبع هواه، فلم يعد ينفع فيه وعظ أو نصح، فصار كالكلب اللاهث في جميع أحواله، في حالة التعب وحالة الراحة، وفي هذا تشبيه للأعلى بالأدنى، وهو جيّد في باب الذم، فهل أسوأ من هذا التشبيه، وهل أسوأ من

(١) علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ٢٠٠٢م،

ص ٢٠٨.

(٢) سورة الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦.

الانسلاخ والتعرّي من الهدى، وهل أسوأ من الالتصاق بالأرض واتباع الهوى، وهل يظلم الإنسان نفسه كما يظلمها مَنْ يصنع بها هكذا، من يعرّيها من الغطاء الواقى، والدرع الحامى ويدعها غرضاً للشيطان يلزمها ويركبها، ويهبط بها إلى عالم الحيوان، اللاصق في الأرض، الحائر القلق اللاهث لهات الكلب أبداً<sup>(١)</sup>.

وانظر إلى تشبيه اليهود المكذّبين بالحمار في جهلهم وغبائهم، في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ

الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ تَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٠٠﴾<sup>(٢)</sup>. تتناول الآية الكريمة (اليهود المعاصرين للرسول ﷺ)، الذين كلفوا القيام بأوامر التوراة وونواهيها، ولم يطبقوا القيام بها حين كذبوا الرسول ﷺ، وهي ناطقة بنبوته، فشبهه صفتهم بصفة الحمار الذي يحمل كتباً، فهو لا يدري ما عليه، أكتب هي أم صخر وغير ذلك؟<sup>(٣)</sup>، وقد كان من الممكن أن يشبه القرآن هؤلاء بالحصان أو الجمل بدل الحمار، فهما أيضاً لا يفقهان شيئاً مما يحمل على ظهورهما من أسفار العلم، ولكن التمثيل بالحمار أبلغ في الذم؛ لاشتهار الحمار عند الناس بالبلادة والغباء والجهالة المفرطة<sup>(٤)</sup>.

وانظر إلى تشبيه حال قوم أبرهة أصحاب الفيل، عندما أنزل عليهم الله حجارةً من سجيل، فأصبحوا كالعصف المأكول، وهو ورق الزرع الذي أكله الدود وغيره، أو التبن الذي أكلته الدواب وراثته، فانظر إلى حكمة الله سبحانه في هذا التشبيه، كيف عرض مصير هؤلاء المجرمين المعاندين، إذ شبه الله مصيرهم بأمور هي في غاية الحقارة، وقلة الشأن<sup>(٥)</sup>.

ولما اعترض المعاندون على الأمثلة المضروبة في القرآن والتشبيهات التي تضمنتها واستنكروها، وقالوا كيف يضرب الله مثلاً بهذه الأمور الحقيرة كالعنكبوت والذباب

(١) ضرب الأمثال في القرآن، أهدافه التربوية وآثاره، عبد الحميد البيانوني، دار القلم، دمشق ١٤١١هـ، ١٩٩١م، ص ١١١.

(٢) سورة الجمعة: ٥.

(٣) البحر المحيط، أبو حيان، ص ٢٦٣/٨.

(٤) انظر أمثال القرآن، عبد الرحمن حسن حبنكة، ص ١٠١.

(٥) انظر التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، واجدة الأطرقيجي، ص ١٦٦.

والحمار ونحوها، فقالوا كما أخبر عنهم القرآن: ﴿ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾<sup>(١)</sup> فردَّ عليهم ربنا بقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا ﴾<sup>(٢)</sup>. فكلُّ هذه المخلوقات خلقها سبحانه وتعالى لحكمة بالغة، والكافرون بشركهم وكفرهم وعنادهم، وصلوا إلى مرحلة أصبحوا فيها أحسنَّ من هذه المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾<sup>(٣)</sup>.

(فإنَّ الله سبحانه يضرب المثل بما شاء من خلقه، البعوضة من وما أصغر منها وما أكبر، فهو خالق الكلِّ ورب الجميع، وقوله سبحانه فما فوقها المقصود به: بما فوقها في الصغر أي بما هو أصغر منها، فإنَّ المقصد من هذا التمثيل تحقير الأوثان، وكلما كان المشبه به أشدَّ حقارة، كان المقصود في هذا الباب أكمل حصولاً)<sup>(٤)</sup>.

وفي السنَّة المطهرة فقد استخدم النبي عليه الصلاة والسلام في أحاديثه الشريفة أسلوب التشبيه بغرض المدح والذم، ومن ذلك مدحه لأصحابه المجاهدين في البحر، فقد روى أنس رضي عنه قال: { كان رسول الله ﷺ إذا ذهب إلى قباء يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت تحت عبادة بن الصامت فدخل يوماً فأطعمته فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ يضحك قالت: فقلت ما يضحكك يا رسول الله، فقال ناس من أمي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة أو قال: مثل الملوك على الأسرة، شكَّ إسحاق، قلت ادع الله أن يجعلني منهم فدعا، ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ يضحك فقلت: ما يضحكك يا رسول الله قال: ناس من أمي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر<sup>(٥)</sup> ملوكاً على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة، فقلت ادع الله أن

(١) سورة البقرة: ٢٦.

(٢) سورة البقرة: ٢٦.

(٣) سورة الفرقان: ٤٤.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي، ١٢٥/٢.

(٥) ثبج البحر: أي وسطه، وقيل ظهره، وأصله ما بين الكاهل إلى الظهر. انظر فتح الباري، ابن حجر، ٩٤/١.

يجعلني منهم قال أنت من الأولين، فركبت البحر زمان معاوية فصُرِعَتْ عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت} (١).

يشبّه النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف قوماً من أصحابه يعتلون السفن ويغزون البحر، يشبههم بالملوك عند اعتلائهم عروشهم، وفي هذا دعوةٌ منه عليه الصلاة والسلام للترغيب في الجهاد في سبيل الله.

وقد اختلف شُرّاح الحديث في المقصود بهذا التشبيه، هل هو إخبار عن حالهم في الآخرة وما ينالهم من الثواب، أم هو إخبار عما يؤول إليه أمرهم في الدنيا عندما يغزون في البحر.

فقال ابن عبد البر: (أراد والله أعلم: أنه رأى الغزاة في البحر من أمته ملوكاً علي الأسرة في الجنة، ورؤياه وحيُّ، وقد قال الله تعالى في صفة أهل الجنة: (على سرر متقابلين)، وقال: (على الأرائك متكئون). وقال القاضي عياض: (هذا محتمل، ويحتمل أيضاً أن يكون خبراً عن حالهم في الغزو من سعة أحوالهم وقوام أمرهم، وكثرة عددهم، وجودة عددهم، فكأنهم الملوك على الأسرة، والأرجح أن هذا التشبيه سيق لوصف حالهم عند ركوب السفن في البحر للجهاد في سبيل الله، فالنبي عليه الصلاة والسلام، في هذا التشبيه يهدف لمُدح هؤلاء المجاهدين من جهة، ويهدف إلى ترغيب المؤمنين بالجهاد في سبيل الله ولو كان ذلك بركوب البحار واقتحام المحيطات، لنشر دين الله وتبليغ دعوته للعالمين (٢).

والتشبيهات التي يراد منها الذمّ في كلام النبي ﷺ كثيرة، كتشبيهه المنافق بالأرزة، وبالشاة العائرة بين الغنمين، وقد تحدّثنا عن هذين التشبيهين في موضع سابق بما يغني عن إعادته (٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء بالجهاد والشهادة للنساء والرجال، ١٦/٤، برقم ٢٧٨٨.

(٢) انظر فتح الباري، ابن حجر، ٧٤/١١.

(٣) انظر ص ٨١ من هذه الدراسة.

## المطلب الخامس: الإقناع والتأثير الوجداني:

الإقناع أفضل وسيلة لنشر الدين، ذلك أنه يخاطب العقول والأرواح قبل الأبدان، ويجرّك الفطرة الإنسانية والشعور العميق داخل الإنسان، والذي كان بالأمس من أسباب انتشار الإسلام في العالم بسرعة كبيرة ومذهلة، ولقد جاء الإسلام للناس بالعتيدة الإسلامية الصافية، وموطن العتيدة هو الضمير والوجدان، وأقرب الطرق إلى الضمير هو البدهة، وأقرب الطرق إلى الوجدان هو الحس<sup>(١)</sup>.

إن عملية الإقناع عبارة عن معرفة الشيء بالعقل، وقبوله بالقلب، فالإقناع عملية تتكوّن من شقين، الأول: المعرفة العقلية، التي تقدّم من خلال سرد الأدلة التي يجب أن تكون واضحة، وباتباع الطرق السليمة للتفكير يمكن الوصول إلى حجج عقلية منطقية قابلة لأن تؤدّي إلى قناعات، والثاني: القبول القلبي، فإنّ عدم قبول القلب للنتيجة المنطقية الناتجة عن المعرفة العقلية، ليس لها فائدة إن لم يقبلها القلب ويطمئن لها حتى تصبح قناعةً تولّد الإيمان. فإذا تخلف القبول بالقلب، مع المعرفة العقلية كان هو الجحود<sup>(٢)</sup>، كحال فرعون وقومه الذين قال الله في حقهم: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(ولذلك إننا نجد أسلوب الكتاب والسنة له هذا الطابع المزدوج وهو الإقناع العقلي في الوقت الذي يتحقّق فيه الإمتاع الوجداني، وهذا الأسلوب لا نراه في غيرهما، فإذا وقفنا على كلام الأدباء والشعراء والحكماء، نجد غلوّاً في جانب وقصوراً في جانب آخر، فأما الحكماء فإنما يؤدّون ثمار عقولهم غداء للعقول، ولا تتوجّه نفوسهم إلى استهواء النفس واختلاب العاطفة، فيقدّمون حقائق العلوم لا يأبهون لما فيها من جفاف، وأما الشعراء فإنما يسعون إلى استثارة الوجدان وتحريك أوتار الشعور، ولا يباليون أن يكون ذلك غيّاً، أو رشداً)<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر ضرب الأمثال في القرآن، أهدافه التربوية وآثاره، عبد المجيد البيانوني، ص ٨٣.

(٢) انظر الإقناع أسسه وأهدافه في ضوء أسلوب القرآن الكريم، دراسة وصفية تحليلية، خالد حسين حمدان، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ص ٦.

(٣) سورة النمل: ١٤.

(٤) الصورة الأدبية في القرآن الكريم، صلاح الدين عبد التواب، ص ١٨٠.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٣٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ

وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٣٧﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٨﴾﴾<sup>(١)</sup>.

إن المناهج الدعوية من حيث ركائزها تُقسَّم إلى المنهج العقلي، والمنهج العاطفي، وإن أسلوب التشبيه في الدعوة إلى الله في الكتاب والسنة يهدف إلى إقناع المدعويين من خلال هذين المنهجين، فالإقناع بفكرة من الأفكار قد يصل إلى مستوى الحجة البرهانية، وقد يقتصر على مستوى الحجة الخطابية، وقد يقتصر على لفت النظر إلى الحقيقة عن طريق صورة مشابهة، ولذلك فإن من مزايا أسلوب التشبيه أنه يستجلب اللب، ويقنع العقل، ويشرح الصدر، ويهدي النفس وتطمئن إليه، ويخاطب العاطفة والعقل، والوجدان والفكر<sup>(٢)</sup>.

فمن أمثلة التشبيهات القرآنية التي يقصد منها الإقناع بفكرة من الأفكار، قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ<sup>٤</sup> وَعَدَّا عَلَيْنَا<sup>٣</sup> إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٣٨﴾﴾<sup>(٣)</sup> فالآية الكريمة (تهدف إلى إقناع الناس بالحجة البرهانية على قدرة الخالق على إعادة الخلق، من خلال تشبيه إعادة الخلق عند البعث ببدء الخلق، فإن إعادة الخلق بعد فنائه مثل بدء خلقه بعد أن كان معدوماً، بل إن إعادة الخلق أهون من إخراجهم من العدم إلى الوجود، وظاهر ما أفاده الكاف من التشبيه في قوله تعالى: (كما بدأنا أول خلق نعيده) أن إعادة خلق الأجسام شُبِّهَتْ بابتداء خلقها، ووجه الشبه هو إمكان كليهما والقدرة عليهما)<sup>(٤)</sup>.

ومن أمثلة التشبيهات القرآنية التي تهدف للإقناع من خلال الدليل والحجة البرهانية، قوله تعالى رداً على النصارى الذين زعموا أن المسيح عيسى ابن مريم ابن الله سبحانه وتعالى، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ زَعْمَهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ<sup>٥</sup> خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ

(١) سورة الشعراء: ٢٢٤-٢٢٦.

(٢) انظر أمثال القرآن، عبد الرحمن حسن حبنكة، ص ٦٦ وموسوعة الأمثال القرآنية، ج ٢، محمد عبد الوهاب عبد اللطيف، ص ٢٥.

(٣) سورة الأنبياء: ١٠٤.

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٧/١٦٠.

ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦١﴾<sup>(١)</sup>، فمن خلال تشبيهه خلق عيسى بخلق آدم، يظهر ربنا أن حجّتهم فاسدة، فإن كان عيسى هو ابن الله؛ لأنه وجد من غير أب، فإن آدم وجد من غير أب ولا أم، فهو أولى وأحرى، ولكنهما عبدين من عباد الله الصالحين، فهذا البرهان قطع حجّتهم الواهنة، من خلال أسلوب التشبيه الذي انتهجته الآية الكريمة.

وبعد أن أظهر الله لهؤلاء المشركين الحقّ، وكشف وهن حجّتهم، سلك معهم أسلوباً آخر يعتمد على العاطفة والوجدان، وذلك بأن أمر نبيه محمد عليه الصلاة والسلام أن يدعو هؤلاء المدعين للمباهلة، بحيث يجتمعوا جميعاً في صعيد واحد، ويدعون خاصة جماعتهم المشركين، وهو يدعو خاصة جماعته المؤمنين، ويدعو الكل أن لعنة الله على الكاذبين<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

ومن التشبيهات القرآنية التي هدفت للإقناع من خلال البراهين العقلية قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا<sup>ع</sup> الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾<sup>(٤)</sup>.

تهدف الآية الكريمة إلى إقناع الناس بأن ما وقع فيه المشركون من مساواة الله بخلقه، يخالف العقل والفهم والبرهان، فشبهت المشرك الذي يعبد أكثر من إله، بحالة رجل عبد مملوك يملكه عدد من الرجال، مختلفون فيما بينهم، متنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم، فكيف يمكن لهذا العبد أن يرضي جميع الشركاء، وكذلك المشرك في عبادته آلهة متعدّدة لا يتمكّن من إرضاء جميع تلك الآلهة، كما شَبَّهت الآية المؤمن الموحد بحالة رجل آخر مملوك لشخص واحد، لا يشاركه فيه غيره، فإذا طلب منه شيئاً لبّاه دون ارتباك ولا حيرة، وهذا

(١) سورة آل عمران : ٥٩ .

(٢) انظر قصة نصارى نجران والمباهلة معهم في مفاتيح الغيب للرازي ٦٩/٨، وما بعدها، والبحر المحييط لأبي حيان، ٣٠٢/٢، وما بعدها.

(٣) سورة آل عمران: ٦١ .

(٤) سورة الزمر: ٢٩ .

كالمسلم الذي لا يعبد إلا الله، ولا يسعى لإرضاء غير ربّه، من غير حيرة، فهذان المملوكان لا يستويان صفة وحالاً، وكذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله، والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له<sup>(١)</sup>، فالذي يفكر ويتأمل في هذا التشبيه القرآني، يدرك فساد المساواة بين العبد المملوك لشخص واحد والعبد المملوك لمجموعة من الأشخاص، وبالتالي يدرك فساد اتخاذ الأنداد والشركاء من دون الله، إن كان ذا عقل وفهم، ونظر.

(فمن المسلم به أن فنون البلاغة يقصد منها التأثير في العاطفة، فتتولد لديها الرغبة، أو تسيطر عليها الرهبة، والتشبيه في الكتاب والسنة هو فن من فنون البلاغة يهدف إلى هذا حتى يؤثر في نفوس السامعين، ويلوى زمام الشاردين)<sup>(٢)</sup>.

فانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، (فالآية الكريمة تريد أن تبين للكفار أن الأصنام التي يعبدونها من دون الله، لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع، فعبادتهم لها عبث في عبث، لكن القرآن بهذا التشبيه يصور هذا المعنى الذهني، من خلال صورة تشبيهية حسية، فشبهه حالهم بالبهيمة السارحة التي لا تفقه ما يقال لها.

وفي السنة المطهرة نجد النبي ﷺ يهدف إلى إقناع المدعويين من خلال استخدام أسلوب التشبيه، ومن الأمثلة على ذلك ما رواه عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أن رجلاً من خثعم جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: (إنّ أبي أدركه الإسلام وهو شيخ كبير لا يستطيع ركوب الرحل والحج مكتوب عليه، أفأحجّ عنه، قال أنت أكبر ولده، قال نعم، قال: أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته عنه أكان ذلك يجزي عنه قال نعم، قال: فاحجج عنه)<sup>(٤)</sup>.

فقد شبه النبي ﷺ الحج المتوجّب على والد السائل، بالدين المترتب على ذمته، فقرب المسألة إلى ذهنه، من خلال هذا التشبيه وهو قضاء الدين عن الميت، فجعل دين الله عز

(١) انظر التفسير المنير، الزحيلي، ٢٣/٢٨٥.

(٢) موسوعة الأمثال القرآنية، محمد عبد الوهاب عبد اللطيف، ص ٤٨٩/٢.

(٣) سورة البقرة: ١٧١.

(٤) مسند الإمام أحمد، ص ٣٥٠/٢٢، برقم ١٥٥٤٠.

---

وجل، بمرتلة دين الإنسان، ودين الله أحق بالوفاء، وبذلك ألحق النظر بالنظر، فأتضحت المسألة، وبان الحكم، وزال الإشكال<sup>(١)</sup>.

والمقصود من الحديث (الحثُّ على برِّ الوالدين، والنظر في مصالحهما دنياً وديناً، وجلب المنفعة إليهما جبلةً وشرعاً، ولما رأى النبي ﷺ من الرجل انفعلاً وطواعية ظاهرة، ورغبة صادقة في برِّ أبيه، وحرصاً على إيصال الخير والثواب إليه، وتأسّف على أن تفوته بركة الحج، أجابه إلى ذلك)<sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة وكلام العرب، مصطفى عيد الصياصنة، ص ١٥٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص ٤ / ١٥٢.

## المبحث الثاني

### خصائص التشبيه في الدعوة إلى الله تعالى

إذا جئنا إلى أسلوب التشبيه في القرآن وجدنا أسلوباً فوق طاقة البشر، ووجدنا تصويراً فنياً عجبياً يعجز عن إدراك شأوه أساطين البيان، وتسجد له البلاغة في أسمى معانيها، وإنما كان بهذه المثابة وتلك المترلة؛ لاشتماله على خصائص فنية لا توجد في غيره<sup>(١)</sup>. وكذلك التشبيه في السنة المطهرة، فإنه عليه الصلاة والسلام، إنما كان كلامه تفسيراً وبياناً للقرآن الكريم، وكان ينطق بنور الله ووحيه.

وسنعرض في هذا المبحث لأبرز خصائص التشبيه الدعوة إلى الله في الكتاب والسنة،

من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: استمداد العناصر من الطبيعة.

المطلب الثاني: الوضوح.

المطلب الثالث: الابتكار.

المطلب الرابع: التناسق.

المطلب الخامس: الترابط.

المطلب السادس: الدقة في التشبيه.

(١) انظر نظرات في التمثيل البلاغي، محمود السيد شيخون، مجلة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، العدد ٤٥،

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ٩/١٩.

## المطلب الأول: التشبيه يستمد عناصره من الطبيعة:

إن عناصر التشبيه في القرآن الكريم مستمدة من الطبيعة، تلك الطبيعة التي ما زالت تشهد مرور الأجيال البشرية وهي ثابتة على حالتها المتغيرة، فالطبيعة هي ميدان التشبيهات القرآنية منها استمدت حيويتها وتجدها الدائمين دوام الإنسان والطبيعة، ومن هنا نلاحظ ارتباط الإنسان في أيّ جيل بهذه الطبيعة التي تمثل الميدان الفسيح الذي يؤدي عليه الجنس الآدمي دوره في الحياة، وكلما امتزجت عناصر هذا الاختلاط بين الإنسان والطبيعة، ازدادت القرابة بينهما، وبرزت الألفة القائمة على معرفة الإنسان بأدقّ مظاهر الطبيعة، ومن هنا فإنّ التمثيل في القرآن مستمر استمرار الطبيعة نفسها، وعمّ يدرّكه الناس جميعاً فنحن لا نكاد نجد في القرآن تمثيلاً واحداً يدرك جماله شخص دون آخر، أو يتأثر به إنسان دون إنسان.

التمثيل في القرآن يختلف عن التمثيل عند العرب في الجاهلية مثلاً؛ لأنّ هذا الأخير مستمدٌ من بيئةٍ خاصة لا يدركه إلاّ مَنْ عاش في هذه البيئة، وعاشر أشياءها على اختلاف طبقاتها من نبات وحيوان وجماد<sup>(١)</sup>.

وتتنوّع تشبيهات الكتاب والسنة، فنجدها قد اعتمدت على عناصر من البيئة العربية، وعلى عناصر من البيئات الأخرى المبتوثة في هذا الكون الفسيح، والرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أرسل بلسانٍ عربيّ مبین، ولهذا فقد بدت ظواهر الطبيعة العربية واضحةً في تشبيهات الكتاب والسنة، فتناولت التشبيه بالغيث، والسراب، والسحاب، والجنان، والزرّوع، والنخيل، والأنعام، والجراد، والكتبان، والرمال، والرياح، والأعاصير، وغيرها مما تتوافر عليها البيئة، وجاءت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مصوّرة للحياة الاجتماعية موضحةً لمعتقداتهم، وأفكارهم وتقاليدهم<sup>(٢)</sup>.

وعلى سبيل المثال فإنّ التشبيه بالإبل ورد كثيراً في الكتاب والسنة، فالإبل من أعجب المخلوقات التي خلقها الله، وقال سبحانه داعياً إلى التفكّر في عظمة خلقها: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ

(١) انظر نظرات في التمثيل البلاغي، محمود السيد شيخون، ١٩/١٩.

(٢) التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، واحدة الأطرقيجي، ص ٧٤.

إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ <sup>(١)</sup> وللإبل عند العرب أهمية كبيرة، فقد اعتمد العرب عليها اعتماداً كبيراً، حيث باتت جزءاً لا يتجزأ من أدوات الحياة عندهم، فأصبحت الوسيلة التي لا يستغنون عنها في أسفارهم وتنقلاتهم وطعامهم وغذائهم، قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٢٠﴾﴾ <sup>(٢)</sup>. فالجمال كانت تشكل ثروة مهمة للعرب، ولها أهمية كبيرة عندهم، من حيث قيمتها المادية والمعنوية، فالجمال هي سفينة الصحراء، تقطع فيافيها بصبرٍ وأدب، وهي رأسُ مال العربي، وهبة الله التي تعينه على الحياة وشؤونها، لذلك فقد ورد التشبيه بالإبل في عدّة آيات وأحاديث، كون الإبل لصيقةً بالبيئة العربية، فوجد النبي ﷺ عندما يريد أن يبيّن فضل خيار الناس وندرتهم، يعبر عن ذلك من خلال صورة تشبيهية مرتبطة بالإبل، يقول عليه الصلاة والسلام: {إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة} <sup>(٣)</sup>. فالناس كجموع الإبل، فلا تجد في مائة من الإبل راحلة تصلح للركوب، وكذلك لا تجد في مائة من الناس من يصلح للصحبة.

ومن صور التشبيه بالإبل قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿١٦﴾ كَأَنَّهُ جَمَلٌ صُفْرٌ ﴿١٧﴾﴾ <sup>(٤)</sup>، يصور الله سبحانه وتعالى مشهد عذاب جهنم للكافرين وهوله وشدته، فيشبه الشرر المتطاير من جهنم بالجمال في حجمها وقدرها، واستعمال هذه التشبيه له ارتباطه بالبيئة العربية، فالعربي لكثرة معاشته للجمال، وألفته إياه ومعرفته لصفاته، وأنه أضخم الحيوانات جثّة في البيئة العربية، فالشرر المعهود المتطاير من النار عادة هو شررٌ دقيق صغير، أمّا شرر نار جهنم المتطاير فكل شرارة فيه بحجم الجمل، وهذا التصوير القرآني يبعث في النفس الرهبة، والرعب من هول ذلك الموقف العظيم <sup>(٥)</sup>.

(و لم ينحصر التشبيه في الكتاب والسنة باستقاء صوره من البيئة العربية، إذ إنّ دين الإسلام الخالد، ليس خاصاً بالأمة العربية، بل هو دين عالمي، فقد أرسل الله رسوله الكريم،

(١) سورة الغاشية: ١٧.

(٢) سورة النحل: ٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، ١٠٤/٨ برقم ٦٤٩٨.

(٤) سورة المرسلات: ٣٢ - ٣٣.

(٥) انظر التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، واجدة الأطرقي، ص ٢١١.

وأنزل معه الكتاب المبين، ليكون رحمةً للعالمين. لذلك نجد نصوص الوحيين، تلحظ عالمية الإسلام في عناصر التشبيه التي تعتمد عليها في الدعوة الله تعالى، فنرى تشبيهات الكتاب والسنة تشبيهات واقعية، فهي صور منتزعة من الواقع الإنساني، وهي ماسة بحياة الإنسان وقريبة منها، ليست مما يحمل صفة الندرة، ندرة الوجود أو الوقوع، أو الانتشار في نطاق ضيق أو بيئة محدودة<sup>(١)</sup>، فنرى تنوع التشبيهات المنتزعة من الطبيعة تنوعاً كبيراً، حيث نجد الكتاب والسنة يستمدان التشبيهات من حيوانات الأرض ونباتها وجمادها، فنجد التشبيه بالحشرات كالذباب والبعوض والعنكبوت والجراد، وبالأنعام كالإبل والغنم والحمير، وبالحيوانات كالكلب والذئب والقسورة، وبالزروع كالسنبل والأترجة و الحنظلة والنخلة، وبالعناصر الطبيعية الأخرى كالرياح والأمطار والخشب والصفوان وغير ذلك من العناصر التي تصلح للتمثيل والتشبيه في كل زمان ومكان، لأن الإسلام هو الرسالة الخالدة للناس كافة.

فهذه التشبيهات المستمدة من الطبيعة خالدة خلود الزمن، دائمة دوام الدهر، أبدعها ربُّ العالمين وسيَّرها على أساس طبيعي، لا يكاد يختلف باختلاف العصور، ولا يتفاوت بتفاوت الزمان، عناصره عناصر الطبيعة الناطقة بعظمة الله، الشاهدة بآثاره، ماثلة أمام البشر، معروفة لديهم، شائعة بينهم وحاضرة بين أيديهم فلا تجد النفس فرصةً للتردد في قبوله، أو الشك في معقوليته<sup>(٢)</sup>، وعلى هذا الأساس كانت نصوص الوحي تختار من الصور الأدبية ما يمكن أن يكون من الصور العالمية التي تظلّ موحية، والتي يظلُّ فعلها القوي الساحر، مهما اختلفت البيئات، وتتابع الزمن<sup>(٣)</sup>، فالتشبيه عندما يستمد عناصره من الطبيعة التي تختلف من مكان إلى مكان وفي زمان عن زمان يهدف إلى أن يكون مؤثراً في كل وجدان، مسيطراً على كل تفكير.

وعلى سبيل المثال فإن القرآن الكريم عندما يشبّه حالة الضلال التي يعيش الكافرون، يختار تشبيه ظلمات الكفر التي تعترى حياتهم، بظلمات البحار الثلاث في هذه الآية المعجزة، قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي خَرِّ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ

(١) ضرب الأمثال في القرآن، أهدافه التربوية وآثاره، عبد المجيد البيانوني، ص ١١١.

(٢) انظر البيان في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، ط ١، دار المعارف، مصر، ١٩٨٤م، ص ٧٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٨١.

بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَهَا ۗ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿١﴾

قال ابن سعدي عند تفسيره لهذه الآية (فشبّهت الآية الكريمة ضلال أعمال الكافرين بظلمة البحر البعيد قعره، الطويل مداه، ثم فوقه ظلمة الأمواج المتراكمة، ثم فوق ذلك، ظلمة السحب المدلّمة، ثم فوق ذلك ظلمة الليل البهيم، وكذلك الكفار، تراكت على قلوبهم الظلمات، ظلمة الطبيعة، التي لا خير فيها، وفوقها ظلمة الكفر، وفوق ذلك، ظلمة الجهل، وفوق ذلك، ظلمة الأعمال الصادرة عما ذكر، فبقوا في الظلمة متحيّرين، وفي غمرتهم يعمهون، وعن الصراط المستقيم مدبرين، وفي طرق الغي والضلال يتردّدون؛ وهذا لأنّ الله تعالى خذلهم، فلم يعطهم من نوره)<sup>(١)</sup>.

فالصورة التشبيهية الرائعة التي اعتمدها الآية الكريمة مستمدة من الطبيعة، وهل هناك منظر أكثر رهبةً وتأثيراً من ظلمة البحر الشاسع في الليل البهيم، فالبحار من أعظم مخلوقات الله في هذه الطبيعة، وهي منتشرة على ثلاثة أرباع الكرة الأرضية، ولها رهبة في قلوب الناس جميعاً، فالتشبيه بظلمة البحر أمر مؤثّر أيما تأثير، والمشبّه به وهو البحر يعرف عظّمته من رآه، ومن لم يره.

والواقع أنّ البحر لم يكن غريباً عن البيئة العربية بالمرّة، فهم لم يكونوا بمعزل عن البحر تماماً، وخاصة من كان يقيم منهم قريباً من السواحل، غير أنّ أغلبية العرب لم يكن لهم شأن بالبحر، وكانت الصحراء أقرب إلى قلوبهم من عالم البحار المجهول عندهم، فقد كانوا بدروها أعلم وأدرى<sup>(٢)</sup>.

(وأياً يكن فهذه الصورة التشبيهية الرائعة التي جاء بها رسول الله ﷺ، وهو لم يركب البحر في حياته، ولم يره في عمره، فيها وصف علمي دقيق للبحر والجو، وفي ذلك دليل على أنّ هذا الوصف ليس من عنده، بل من عند خالق الأرض والسماوات فهذا الوصف لا يستطيع

(١) سورة النور: ٤٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٥٦٩/١.

(٣) انظر نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث، عبد المجيد محمود عبد المجيد، مكتبة البيان، الطائف، ١٤١٣هـ،

ص ١٩٩٢م. ص ٣٥٤.

---

أن يأتي به، حتى من قضى عمره يعلو لجج البحار، فضلاً عن راكب الناقة ابن الصحراء، الذي لم ير البحر مرة في حياته<sup>(١)</sup>، وفي هذا بيان على أن القرآن كرسالة عالمية، يعتمد التشبيهات العالمية أيضاً.

ومن تشبيهات القرآن الخالدة المستمدة من الطبيعة قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ<sup>ط</sup> أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالآية الكريمة تشبه أعمال الكفار في ضياعها واضمحلالها، بالرماد الهش الذي تذروه الرياح وتبدده، فتتخذ من الرماد وهو عنصر من عناصر الطبيعة مثلاً لأعمال الكفار الضائعة، ثم تضيف الآية الكريمة عنصراً طبيعياً آخر، وهو الرياح القوية العاتية التي أتت على هذا الرماد فتناثرت ذراته في الهواء، وتلاشت.

---

(١) نظرات في القرآن، محمد الغزالي، مؤسسة مصر للطباعة والتوزيع والنشر، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ١٣٧.

(٢) سورة إبراهيم: ١٨.

## المطلب الثاني: الوضوح:

تفاوتت الأفهام في معرفة القضايا، وتختلف العقول في استيعابها تبعاً لوضوح التعبير وخفائه، فمن الناس مَنْ يكتفي بالتلميح، ومنهم مَنْ يحتاج إلى التصريح، والقرآن كتاب هداية، خاطب الله به الناس جميعاً، وجعل من مزاياه أَنْ يفهمه الذكي والغبي، والعالم والجاهل، والمتقف والأمي، ولكن النفوس تعثرها الغفلة، ويسيطر عليها الوهم، فتتسى أبسط البسائط ويستعصي عليها الفهم، وربما دفعها الكبر أحياناً إلى نكران الحقائق، ولذلك فإنَّ الله سبحانه راعى تفاوت نفوس البشر فأودع في كتابه ألواناً شتى من الأساليب، حتى لا تكون هناك حجة، وأمر رسله وأنبياءه أَنْ يدعو أقوامهم بكل الأساليب، ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى أسلوب التشبيه، فالله سبحانه أعلم بنفوس خلقه، وهو خالقها وفاطرها، وهو أعلم بما يصلح نفوسهم ويقومها، فكان من لطفه لعباده مراعاة تفاوت النفوس للخلق<sup>(١)</sup>.

فالدعوة في الكتاب والسنة موجّهة إلى العامة والخاصة على حدّ سواء، وهاتان غايتان متباعدتان عند الناس، فلو أنك خاطبت الأذكياء بالواضح المكشوف الذي تخاطب به الأغبياء، لتزلت بهم إلى مستوى لا يرضونه لأنفسهم في الخطاب، ولو أنك خاطبت العامة باللمحة والإشارة التي تخاطب بها الأذكياء لجتتهم من ذلك بما لا تطيقه عقولهم، وأمّا أن جملة واحدة تلقى إلى العلماء والجهلاء، وإلى الأذكياء والأغبياء، وإلى السوق والمالوك، فذلك ما لا تجده على أئمه إلا في القرآن الكريم، فهو قرآن واحد، يراه البلغاء أوفى كلام بلطائف التعبير، ويراه العامة أحسن كلام وأقربه إلى عقولهم<sup>(٢)</sup>.

وهكذا فإنك تجد أن تشبيهات الكتاب والسنة تتسم بسمة الوضوح، وتبتعد كل البعد عن التعقيد والغموض، وقد سبقت الإشارة إلى أن من خصائص التشبيه في الكتاب والسنة استمداد عناصره من الطبيعة، وهذا يطبعها بسمة الوضوح، فالتشبيه بعناصر الطبيعة يضيء عليها صفة الخلود والوضوح والتجدد بدوام تجدد الطبيعة، فالصناعة تتلاشى وتذهب بمرور الأيام، أمّا الطبيعة فإنها باقية ما بقي الإنسان، فهي غير محدّدة في زمان أو مكان، مما جعلها

(١) انظر موسوعة الأمثال القرآنية، ج١، محمد عبد الوهاب عبد اللطيف، ص ٢٣.

(٢) انظر الصورة الأدبية في القرآن الكريم، صلاح الدين عبد التواب، ص ١٦٥.

في تناول المدارك والأفهام، واستوى في فهمها العام والخاص والعالم والجاهل، فالطبيعة لا تحتاج في فهمها إلى ثقافة، وإنما تدرك بأدن تأمل ولذلك فإننا نلاحظ ورغم تنوع تشبيهات الكتاب والسنة، وتعدد أهدافها وصورها، ولكن يجمعها جميعاً، شدة وضوحها وتأثيرها، فالقرآن لا يعني بنفاسة المشبه به، إنما يعني العناية كلها باقتراب الصورتين في النفس، وقوة تأثيرهما في المدعوين<sup>(١)</sup>.

ولا يعني كون الوضوح من خصائص التشبيه في الكتاب والسنة أن يكون المشبه به دائماً قريباً من المشبه به، أو متفقاً معه في وجوه كثيرة، فيشير عبد القاهر الجرجاني إلى أن أجود التشبيه ما كان بين الأشياء المتباعدة التي لا يلحظ المرء أوجه اتفاقها، ويعلل ذلك بأن هذا النوع من التشبيه أكثر تأثيراً في النفوس؛ لأنه يمنحها المتعة بلذة الاكتشاف الجديد، فنحن نرى به (الشيئين مثلين متباينين ومؤتلفين مختلفين)<sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر التعبير الفني في القرآن، بكرى الشيخ أمين، ص ١٩٩ وموسوعة الأمثال القرآنية، ج ٢، محمد عبد الوهاب عبد اللطيف، ص ٤٩١.

(٢) أسرار البلاغة، الجرجاني، ص ٧٣.

## المطلب الثالث: الابتكار:

المقصود بالابتكار في القرآن: ما أبدعه من نظم لم يكن معهوداً في أساليب العرب، ولكنه جار على قانون لغتهم، وقد عدَّ ابن عاشور رحمه الله التمثيل من مبتكرات القرآن، باعتبار أن القرآن قد أوضح الأمثال وأبدع تركيبها، وقد كانت معروفةً عند العرب، وهي جمل بليغة قيلت في أحوال وحوادث معيّنة إلا أن غالب الأحوال والحوادث نسيت مع تقادم الزمن، ولكن بقيت تلك الجمل البليغة تذكّر بتلك الأحوال ومغازيها<sup>(١)</sup>.

يقول ابن عاشور: (وكذلك التمثيل فقد كان في أدب العرب الأمثال، وهي حكاية أحوال مرموز لها بتلك الجمل البليغة التي قيلت فيها، أو قيلت لها المسمّاة بالأمثال، فكانت تلك الجمل مشيرةً إلى تلك الأحوال، إلا أنها لما تداولتها الألسن في الاستعمال، وطال عليها الأمد نسيت الأحوال التي وردت فيها، ولم يبق للأذهان عند النطق بها إلا الشعور بمغازيها التي تقال لأجلها، أمّا القرآن فقد أوضح الأمثال وأبدع تركيبها)<sup>(٢)</sup>

واستشهد ابن عاشور بحديثه عن التمثيلات المبتكرة في القرآن، بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ويذكر ابن عاشور عند تعليقه على هذا التشبيه (بأنه تمثيلٌ مبتكر لا عهد للعرب بمثله، وليس لشيء من الحيوان حالة تصلح للتشبيه بها في الحالتين غير حالة الكلب اللاهث؛ لأنه يلهث إذا أتعب، وإذا كان في دعة فاللهث في أصل خلقتة، ووجه شبه الكافر بالكلب أنه تحمل عبء البحث عن الدين الحق، في حين لم يكن مكلفاً بذلك، وعندما ظهر الدين الحق كفر به فتحمل مشقة الكفر والعناد وعناؤه، في حين كان الأولى له أن يريح نفسه في

(١) مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، شعيب بن محمد بن أحمد الغزالي، رسالة دكتوراه في البلاغة والنقد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ، ١٤٢٥هـ، ص ٤١٢-٤١٨.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص ١٢١/١.

(٣) سورة الأعراف: ١٧٦.

الحالين، فكانت حالته هذه شبيهةً بحالة الكلب الذي لا يدع اللهث على أي حال، فهو يلهث إن حملت عليه وطرته، وهو لا يدع ذلك أيضاً إن تركته وسالته<sup>(١)</sup>.

ومن التشبيهات المبتكرة في القرآن أيضاً، قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(فهذا تشبيهٌ لحال المشركين الذي اتخذوا من دون الله آلهة، لا يملكون لهم نفعاً ولا ضرراً، بالعنكبوت التي تتعب نفسها فتتخذ بيتاً واهناً لا يغني عنها شيئاً، ولا يمنع عنها عدواً، فالمشركون أشبهوا العنكبوت في الغرور بما أعدوه، وأولياؤهم أشبهوا بيت العنكبوت في عدم الغناء عمن اتخذوها وقت الحاجة إليها، وأقصى ما ينتفعون به منها نفع ضعيف وهو السكنى فيها، وتوهم أن تدفع عنهم كما ينتفع المشركون بأوهامهم في أصنامهم، وهو تمثيل بديع من مبتكرات القرآن)<sup>(٣)</sup>.

وكذلك التشبيه في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾<sup>(٤)</sup> كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ

(فشبهت الآية إعراض المشركين عن دعوة الحق والهدى، بنفرة الحمر الوحشية عندما تهاجمها الأسود، فتتساءل الآية: ما الذي حصل لهم حال كونهم معرضين عن القرآن المشتمل على التذكرة الكبرى، والموعظة العظمى كأنهم في نفورهم عن الحق وإعراضهم عنه من حمر الوحش إذا فرّت من رماة يرمونها، أو من أسد يريد افتراسها<sup>(٥)</sup>)، ويصف ابن عاشور هذا التشبيه بأنه مبتكر لحالة إعراض مخلوط برعب مما تضمنته قوارع القرآن)<sup>(٦)</sup>.

(١) مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، شعيب بن محمد بن أحمد الغزالي، ص ٤٢٨.

(٢) سورة العنكبوت: ٤١.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٥٢/٢٠.

(٤) سورة المدثر: ٤٩-٥١.

(٥) انظر التفسير المنير، الزحيلي، ص ٢٤٤/٢٩.

(٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص ٣٣٠/٢٩.

## المطلب الرابع: التناسق:

إنَّ من سمات التشبيه في الكتاب والسنة التناسق في عرض هذه التشبيهات، فأسلوب القرآن يميّز بتناسق ألفاظه وجمله وتراكيبه، وقد تناولت تشبيهات القرآن والسنة مواقف عدّة في الدنيا والآخرة، فحياة ثم موت ثم بعث وحساب، ونعيم وعذاب، فلم يعد ذلك العالم الآخر الموعود موصوفاً فحسب، بل عاد مصوراً محسوساً، وحيّاً متحرّكاً، وبارزاً شاخصاً، وعاش الناس في ظلال هذا العالم فرأوا مظاهره وتأثروا بها، وخفقت قلوبهم تارة، واقشعرت جلودهم تارة، وسرى في نفوسهم الفرع مرة، وعاودهم الاطمئنان أخرى، ولفحهم من النار شواظ، ورفّ إليهم من الجنة نسيم، ومن ثم باتوا يعرفون هذا العالم تمام المعرفة قبل اليوم الموعود<sup>(١)</sup>.

ومن صور التناسق في تشبيهات القرآن (التقابل) والتي يقصد بها التقابل بين الصورة الكلية بما هي عليه من نسقٍ خاص، وبما فيها من إيقاع موسيقي، وانفعال نفسي، وبين ما يقابلها في صورة كلية أخرى، وهي على النقيض تماماً من سابقتها، فصور التقابل في القرآن كثيرة، فلم تعد تفرع الأسماع أو ترتسم في الأذهان صورة من الصور القرآنية، إلى ورسمت إلى جانبها الصورة المقابلة المتوقعة، حتى ينجلي الفرق واضحاً بين الصورتين، وبضدّها تميّز الأشياء<sup>(٢)</sup>.

(فإبراز الفكرة عن طريق مقارنتها بضدّها، يهدف إلى تجلية الأفكار وتوضيحها في ذهن المتلقي، وذلك بطرح المفاهيم المتعارضة، والتركيز على إبانة أوجه التعارض والتنافر بينما، أو بعقد مقارنة بين نقيضين، بالوقوف على جانب التخالف بين طرفيهما، كالتركيز على إظهار أوجه المفارقة، بين الخير والشر، وبين الإيمان والكفر، وبين الفضيلة والرذيلة، أو بين الصلاح والفساد)<sup>(٣)</sup>.

وعلى سبيل المثال فعندما يشبّه القرآن الكريم زيف إنفاق المنافقين المرائين وذهابهم سدى، من خلال صورة وابل من المطر الذي أصاب حجراً أملس عليه تراب، فانكشف

(١) انظر الصورة الأدبية في القرآن الكريم، صلاح الدين عبد التواب، ص ١٧٤.

(٢) انظر الصورة الأدبية في القرآن الكريم، صلاح الدين عبد التواب، ص ١٣٦.

(٣) ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة وكلام العرب، مصطفى عيد الصياصنة، ص ٩٩.

ذلك التراب وبقي الحجر صلداً، وكذلك إنفاق المنافقين هو وهمٌ وسراب، وأعمالهم كلها يوم القيامة تجعل هباءً منثوراً. يقول تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ (١).

ثمّ يتبع القرآن الكريم هذا التشبيه المعبرٌ بتشبيهه مقابل يصورُ إنفاق المؤمنين الصادقين في سبيل الله، بصورة أخرى جميلة ومعبرة: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاتَتْ أَكْطَاهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ (٢).

فكلا التشبيهين قد استمدا من مشهد نزول المطر على الأرض، والذي قد يكون رحمةً من الله يجيئ به الأرض بعد موتها، وقد يكون نقمةً وعذاباً، ولكن التشبيه الأول ضرب مثلاً لإنفاق الكافرين الذين ينفقون أموالهم ثمّ تكون عليهم حسرة، في مقابلة التشبيه الثاني للمؤمنين الذين يربي الله صدقاتهم أضعافاً مضاعفة.

وفي أمثلة التناسق من خلال التقابل في كلام النبي ﷺ قوله: {مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ لَا تَزَالُ الرِّيحُ تَمِيلُهُ وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يَصِيبُهُ البَلَاءُ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الأَرزِ لَا تَهْتَرُ حَتَّىٰ تَسْتَحْصِدَ} (٣).

فالحديث الشريف حوى صورتين تشبيهيتين، للمؤمن والمنافق، فقد شَبَّه النبي ﷺ، المؤمن الصابر بالزرع الذي يتعرض لأنواع الرياح وهو ثابت راسخ، وكذلك حال المؤمن واثق صابر محتسب؛ لأنه يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ثم عرض الصورة المقابلة وهي تشبيه المنافق بالأرزة التي تظهر شامخة ثم تكون نهايتها فتحصد

(١) سورة البقرة: ٢٦٤

(٢) سورة البقرة: ٢٦٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن كالزرع ومثل الكافر كشجر الأرز ١٣٦/٨،

برقم ٧٢٧٠.

---

مرة واحدة، وتقلع من جذورها، وكذلك المنافق إذا رأته يعجبك جسده، وإن يقل تسمع لقوله، لكنه لا يصمد عند المصائب والشدائد، فينهار أمام أول مصيبة تصيبه، فليس عنده صبرٌ كصبر المؤمنين.

فعرض هذه الصور مع نقيضها في تشبيهات الكتاب والسنة، تزيد المعاني في الأذهان وضوحاً وجلالاً، وتسهّل على المتلقّي فهم الفكرة، وتلمّس جوانب التنافر مع نقيضها<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة وكلام العرب، مصطفى عيد الصياصنة، ص ٩٩.

## المطلب الخامس: الترابط:

من خصائص التشبيه في الكتاب والسنة أنه ليس عنصراً إضافياً في الجملة، ولكنه جزء أساسي لا يتم المعنى بدونه، فصور التشبيه في القرآن والسنة تتماسك تماسكاً شديداً، يجعلها بحيث لو حاولنا فصل أحد الأجزاء لا نفرط عقد الصورة، وانتشرت معالم الجمال فيها، ومن هنا نرى القوة البيانية المتمثلة في إعطاء الفكرة عن طريق الصورة التمثيلية مركبة الأجزاء، والعجيب في ذلك أن التمثيل نفسه لم يأت عبثاً، ولكننا نراه يجيء عقب فكرة يراد توضيحها، وتمكينها في ذهن السامع، هذا لما نعلمه من أن الحجّة لا تقام إلا بعد طرح الدعوى وبسط الفكرة<sup>(١)</sup>.

يبين الدكتور أحمد بدوي هذه الخاصية بقوله: (فإذا سقط من الجملة أثار المعنى من أساسه، فعمله في الجملة أنه يعطي الفكر في صورة واضحة مؤثرة، فهو لا يمضي إلى التشبيه كأنما هو عمل مقصود لذاته، ولكن التشبيه يأتي ضرورة في الجملة، يتطلب المعنى ليصبح واضحاً قوياً)<sup>(٢)</sup> ويستشهد لذلك بقوله تعالى: ﴿صُمُّ بَكْمٍ عُمَىٰ فَهَمَّ لَا يَرْجِعُونَ﴾<sup>(٣)</sup> فالتشبيه في الآية يبيّن إعراض الكافرين عن الحق، فلا يستمعون إليه ولا ينطقون به ولا يرون أدلته، فكان اختيار التشبيهات في الآية أساسية في بيان وجه التشبيه.

وتأمل قوله تعالى في تصوير نفرة الكفار عن الإسلام: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ﴾<sup>(٤)</sup> فرّت من قسورة<sup>(٥)</sup> فشبّهت الآية (الكافرين في نفورهم عن القرآن بحمير نافرة، الحمير الوحشية إذا عاينت الأسد هربت، كذلك هؤلاء المشركين إذا رأوا محمداً ﷺ هربوا منه، كما يهرب الحمار من الأسد)<sup>(٥)</sup>.

فقد يظن أيضاً قصير النظر أنه كان يمكن الاكتفاء في تصوير حالتهم بوصفهم بالحمير، ولكن المراد غير ذلك، فالمشركون لا يريدون إعمال عقولهم في خلق السماوات والأرض

(١) انظر نظرات في التمثيل البلاغي، محمود السيد شيخون. ص ٩/١٩.

(٢) من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، ص ١٩٨.

(٣) سورة البقرة: ١٨.

(٤) سورة المدثر: ٥٠-٥١.

(٥) مفاتيح الغيب، الرازي، ص ٣٠/١٨٧.

---

ليهندوا إلى الخالق، وهم في الوقت نفسه لا يستجيبون إلى الداعي، بل كلما عرض عليهم من دعوته ابتعدوا عنه مسرعين، وكأنَّ في أعماقهم شيئاً يحثُّهم على الهرب منه والابتعاد الخاطف من طريق دعوته، هذه الحالة لا تكفي لها حالة الحمر، وإنما تقتضي كون هذه الحمر مستنفرة مدفوعة من نفسها أو من غيرها إلى العدو الجبان، ثمَّ تزداد الصورة وضوحاً، وتمكناً من النفس عندما يلحق بها جزئية الفرار من أسد هصور يطلبها طعاماً لأنيا به ومخالبه، فنجدها تتفرَّق في كل مكان هائمة على وجهها، والخوف الشديد يملأ صدورها، فهذا أبلغ تصوير لإعراض الكافرين عن الدعوة، وهو في الوقت نفسه بعث للنفس العاقلة على السخرية منهم<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر نظرات في التمثيل البلاغي، محمود السيّد شيخون، ص. ١٠/١٩.

## المطلب السادس: الدقة في التشبيه:

(من خصائص الصورة الأدبية في الكتاب والسنة، ما تمتاز به من البيان الواضح القوي مع الإجمال الدقيق، وهذا ما لا تجده في كلام الناس، ذلك أنهم إذا عمدوا إلى تحديد أغراضهم لم تتسع لتأويل، وإذا أجملوا ذهبوا إلى الإبهام أو الإلباس، أو إلى اللغو الذي لا يفيد، ولا يكاد يجتمع لهم هذان الطرفان في كلام واحد)<sup>(١)</sup>.

والدقة في اختيار عناصر التشبيه نجدتها في كل تشبيهات الكتاب والسنة، حيث إن انتقاء ألفاظ التشبيه، واختيارها اختياراً مناسباً للمعنى، معطياً كل ما يتطلبه المقام، بحيث يناسب اللفظ المعنى وافياً بالغرض المقصود، ومن هنا كان التشبيه في الكتاب والسنة موحياً مشعاً لا يكاد ينقر حبات القلوب؛ حتى يؤثر فيها بطريقة فنية، ونفسية عجيبة<sup>(٢)</sup>.

فانظر إلى القرآن العظيم حينما يستخدم أسلوب التشبيه في تصوير فناء الحياة الدنيا، التي يظن أصحابها أنها خالدة باقية فتعلقوا فيها وافتتنوا بزينتها ونسو الله فنسيهم، حتى قال قائلهم كما أخبر عنهم القرآن: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِدَلِيلٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾<sup>(٣)</sup> يقول سبحانه: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهِمْ أَنْتَهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) الصورة الأدبية في القرآن الكريم، صلاح الدين عبد التواب، ص ١٥٥.

(٢) انظر موسوعة الأمثال القرآنية، محمد عبد الوهاب عبد اللطيف، ص ٤٨٧/٢.

(٣) سورة الجاثية: ٢٤.

(٤) سورة يونس: ٢٤.

(٥) الكهف: ٤٥.

﴿ اَعْلَمُوا اَنَّهَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْاَمْوَالِ وَالْاَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ اَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ﴾<sup>(١)</sup>.

يقول الدكتور أحمد بدوي عن بلاغة التشبيه في هذه الآيات الكريمة:<sup>(٢)</sup>

فهذه التشبيهات القرآنية جميعاً تهدف إلى دعوة الناس إلى معرفة حقيقة الحياة الدنيا الفانية أمام الآخرة التي هي دار الخلود، حتى لا يغتر بها الناس، فيركنوا إليها، ويعدون لها المبدأ والمنتهى، ويظنون أنفسهم خالدين فيها، مع أنها عرض زائل، والآيات الكريمة توصل حقيقة الحياة الدنيا وفناءها القريب، من خلال هذه التشبيهات الدقيقة، التي لن تجد أنسب منها في تصوير وتقريب هذه الحقيقة التي غفل عنها كثير من الناس.

لجأ القرآن إلى التشبيه بصور به فناء هذا العالم الذي نراه مزدهراً أمامنا، عامراً بألوان الجمال، فيخيل إلينا استمراره وخلوده، فيجد القرآن في الزرع يرتوي من الماء، فيصبح بهيجاً نضراً يعجب رائيه، ولكنه لا يلبث أن يذبل ويصفر، ويصبح هشيماً تذروه الرياح يجد القرآن في ذلك شبيهاً لهذه الحياة، ولقد أوجز القرآن مرة في هذا التشبيه، وأطبأ أخرى؛ ليستقر معناه في النفس، ويحدث أثره في القلب فقال مرة: ﴿ وَأَصْرَبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا كَمَاۤ اَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهٖ نَبَاتُ الْاَرْضِ فَاَصْبَحَ هَشِيْمًا تَذْرُوهُ الرِّيْحُ وَكَانَ اللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٢٠﴾ ﴾<sup>(٣)</sup> وقال مرة أخرى: ﴿ اَعْلَمُوا اَنَّهَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْاَمْوَالِ وَالْاَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ اَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ﴾<sup>(٤)</sup> وقال مرة ثالثة: ﴿ اِنَّمَا مَثَلُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا كَمَاۤ اَنْزَلْنَاهُ مِنَ

السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهٖ نَبَاتُ الْاَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْاَنْعَامُ حَتّٰى اِذَا اخَذَتِ الْاَرْضُ زُخْرُفَهَا وَاَزْيِنَتْ وَظَنَّ اَهْلُهَا اَنَّهٗمْ قٰنِدِرُوْنَ عَلَيَّآ اَتْنَهَا اَمْرُنَا لَيْلًا اَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنٰهَا حَصِيْدًا كَاَنْ لَّمْ تَعْنِ بِالْاَمْسِ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْاٰيٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُوْنَ ﴿٢١﴾ ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) الحديد آية ٢٠.

(٢) انظر من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، ص ٢٠٩.

(٣) سورة الكهف: ٤٥.

(٤) سورة الحديد: ٢٠.

(٥) سورة يونس: ٢٤.

ومن الأمثلة التي تدلُّ على دقة اختيار التشبيهات القرآنية قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ  
النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿١﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٢﴾﴾<sup>(١)</sup>، فحتى  
تكون صورة التشبيه دقيقةً واضحة، لم يكتف بتشبيه الجبال يوم القيامة بالعهن، بل أتبع ذلك  
بوصفه بالمنفوش، وذلك للدقة في تصوير هشاشة الجبال يومئذ.

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ  
مَرْصُوصٌ ﴿٣﴾﴾<sup>(٢)</sup> (فقد أحرر الله سبحانه في الآية الكريمة أنه يحب الذين يصفون أنفسهم  
عند القتال في سبيل الله، ويثبتون في الجهاد، ويلزمون مكائهم كثبتت البناء المرصوص  
المستقر)<sup>(٣)</sup>. (ولقد أثر القرآن اختيار لفظ البنيان؛ لما يثيره هذا اللفظ من معنى الاتصال  
والالتحام والاجتماع القوي مما لا يثار في النفس عند استخدام لفظ حائط أو جدار على  
سبيل المثال)<sup>(٤)</sup>.

ومن دقة التشبيه في القرآن أنه يصف ويقيد، حتى تصبح الصورة دقيقةً أحاذه، فانظر  
إلى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا  
بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾﴾<sup>(٥)</sup> فقد يُظن  
أنه يمكن أن يكتفي في التشبيه أن يقال مثلهم كمثل الحمار الذي لا يعقل، ولكن الصورة  
تزداد قوةً والتصاقاً، حين يقرن بين هؤلاء وقد حملوا التوراة فلم ينتفعوا بما فيها، وبين الحمار  
يحمل أسفار العلم ولا يدري مما ضمنته شيئاً، فتمام الصورتين يأتي من هذا التقييد الذي  
جعل الصلة بينهما قوية ووثيقة، فتمام الصورة لا يحصل إلا بتجميع كل هذه الأجزاء،  
وإلصاق كل تلك القيود، ومن هنا تبرز الصورة قوية التعبير صادقة الأداء<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة القارعة: ٤-٥.

(٢) سورة الصف: ٤.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٧١/٢٩.

(٤) التعبير الفني في القرآن، بكرى الشيخ أمين ص ١٩٩.

(٥) سورة الجمعة: ٥.

(٦) انظر من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، ص ١٩٩.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَمًى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (١).

(يشبّه سبحانه هذا الصنف من الكافرين الذي رفضوا أن يستجيبوا لدعوة الحق، واختاروا الكفر على الإيمان بالبهائم، فإن الكفرة لانهماكهم في التقليد وإخلادهم إلى ما هم عليه من الضلالة، لا يلقون أذاهم إلى ما يتلى عليهم، ولا يتأملون فيما يقرر معهم، فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها، وهي لا تسمع إلا جرس النغمة ودوي الصوت) (٢).

فالكافرون بعد وضوح دلائل الإيمان لهم قد استوى لديهم الإنذار وعدمه؛ لأنهم أرادوا أن لا يؤمنوا وصمموا على ذلك، فإنه يمكن تشبيههم بالجدر الصماء التي لا تستجيب لداعيها ومنذرها، ولكن الجدر لا تسمع وهم يسمعون، إذا فأحسن تشبيه لهم أن يشبهوا بالأنعام، وأن يشبه من يدعوهم إلى الهدى وينذرهم عاقبة كفرهم بخطيب يقف في قطع غنم، فيخطب فيهم خطبةً بليغة، فهذا هو التشبيه الملائم المطابق المراعى فيه دقة التصوير، من خلال هذه الصورة التشبيهية الحية الناطقة (٣).

وانظر إلى الدقة في تشبيه التجاء المشركين إلى معبوداتهم بالتجاء العنكبوت إلى بيتها الواهن، في قوله سبحانه: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤).

فالقرآن الكريم لم يقل أوهن الخيوط خيط العنكبوت؛ لأن هذا يخالف الحقيقة العلمية الثابتة بأن خيط العنكبوت أقوى من مثيله من الفولاذ والنحاس، وإنما قال أوهن البيوت بيت العنكبوت، فكان التعبير الدقيق: (أَوْهَنَ الْبُيُوتِ) (٥). وهكذا فإن من يتبع تشبيهات القرآن والسنة، فإنه سيجدها تجمع بين دقة الإحكام مع العظمة والجلال، مع صدق المماثلة بين المشبهة والمشبه به.

(١) سورة البقرة: ١٧١.

(٢) روح المعاني، الآلوسي، ص ١٤١/٢.

(٣) انظر الأمثال في القرآن، عبد الرحمن حسن حبنكة، ص ١٢٠.

(٤) سورة العنكبوت: ٤١.

(٥) انظر إشكالات التكامل المعرفي، محبوب محمد ادم، بحث مقدم للمؤتمر العلمي العالمي الثاني، التكامل المعرفي بين

علوم الوحي وعلوم الكون، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، محرم ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م. ص ١٧.

---

---

## الفصل الثالث

مجالات التشبيه في الدعوة إلى الله في ضوء

الكتاب والسنة

المبحث الأول: مجالات التشبيه في الدعوة إلى العقيدة .

المبحث الثاني: مجالات التشبيه في الدعوة إلى الشريعة .

المبحث الثالث: مجالات التشبيه في الدعوة إلى الأخلاق .

## الفصل الثالث

### مجالات التشبيه في الدعوة إلى الله

#### في ضوء الكتاب والسنة

إن المقصود بالدعوة إلى الله الدعوة إلى دينه، وهو الإسلام كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾<sup>(١)</sup>، ودين الإسلام هو دين جميع الأنبياء والرسل الذي ارتضاه الله للناس جميعاً، وأكمله على حبيبه وخير خلقه محمد بن عبد الله ﷺ، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(٢)</sup>، فلا يقبل عند الله دين سواه كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

لقد كانت أديان وشرائع من قبلنا، نزلت بها كتب، وبعثت بها رسل، فجاءت هذه الشريعة أكملها، وهذا الدين أتمها، والكتاب الذي أنزلها مصدق لما بين يديه ومهيمن عليه. والرسول ﷺ خاتم الرسل وأفضلهم اصطفاها الله من خلقه لخير أمة أخرجت للناس، فشريعته عليه الصلاة والسلام، خير شريعة أنزلت على خير من أرسل لخير من أنزل إليهم، فهي الخير أجمع.

وقد جاء أكمل بيان وأجمل تعريف لدين الإسلام في حديث جبريل عليه السلام الذي ذكر فيه مراتب الدين، فعن عمر رضي الله عنه قال: {بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، فقال: صدقت.

(١) سورة آل عمران: ١٩.

(٢) سورة المائدة: ٣.

(٣) سورة آل عمران: ٨٥.

فعجبنا له يسأله ويصدّقه، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه  
ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟  
قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال:  
ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: أن تلد الأمة ربّتها وأن  
ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، قال: فمضى، فلبثنا ملياً. فقال: يا  
عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: هذا جبرائيل أتاكم يعلمكم أمر  
دينكم<sup>(١)</sup>.

بيّن جبريل عليه السلام في هذا الحديث مراتب دين الإسلام، وهي: الإسلام،  
والإيمان، والإحسان، وهي التي جاء نبينا محمد عليه الصلاة والسلام للدعوة إليها. فالإسلام  
هو مجموع ما أنزله الله تعالى على رسوله محمد ﷺ من أحكام العقيدة، والأخلاق،  
والعبادات، والمعاملات، والاحباريات في القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وقد أمره الله بتبليغها  
إلى الناس قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا  
بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾<sup>(٢)</sup> وما أنزله الله عليه هو القرآن والسنة،  
وفيها جميع الأحكام التي ذكرناها، وهي دين الله، وهو الإسلام<sup>(٣)</sup>، وأحكام الإسلام  
بالنسبة لما تتعلق به تنقسم إلى الأقسام الآتية<sup>(٤)</sup>:

أولاً: أحكام العقيدة الإسلامية، وهي تتعلق بأمر العقيدة كالإيمان بالله، واليوم الآخر،  
وهذه هي الأمور الاعتيادية.

ثانياً: أحكام الأخلاق، وهي المتعلقة بما يجب أن يتحلّى به المسلم، وما يجب أن يتخلّى عنه  
كوجوب الصدق وحرمة الكذب.

ثالثاً: أحكام تتعلق بتنظيم علاقة الإنسان بخالقه، كالصلاة، والصيام وغيرها من العبادات.

(١) صحيح البخاري، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، رقم ١٠٢، ص ٢٨/١.

(٢) سورة المائدة: ٦٧.

(٣) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص ٦.

(٤) المرجع السابق، ص ٣٤.

رابعاً: أحكام تتعلق بتنظيم علاقات الأفراد فيما بينهم، كأحكام الأسرة، وعلاقات الأفراد، ومعاملاتهم كالبيع، والإجارة، أحكام تتعلق بالقضاء والدعوى.

فالدعوة الإسلامية دعوة شاملة كاملة، وموضوع الدعوة الإسلامية التي جاء بها القرآن الكريم، والسنة والنبوية هي الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، ومن ثمَّ الدعوة إلى تطبيق الشريعة من عبادات، وأخلاق، وآداب، وفعل الطاعات، واجتناب المحرمات.

فالقرآن العظيم يدعو في آياته إلى العقيدة، والشريعة، والأخلاق، وكذلك النبي ﷺ، في أحاديثه الشريفة، وقد بيَّنا في الفصل الأول من هذه الدراسة أن الكتاب والسنة استخدمتا كلَّ الأساليب المؤثرة في الدعوة إلى الله، ومن أهمها أسلوب التشبيه، وذلك في مختلف النواحي التي جاءت بها الدعوة الإسلامية، وبناءً على هذا البيان، فإنَّ الباحثة ستقسّم في هذا الفصل، استعمال أسلوب التشبيه في الدعوة إلى الله، إلى ثلاثة مباحث، على النحو التالي:

**المبحث الأول: مجالات التشبيه في الدعوة إلى العقيدة.**

**المبحث الثاني: مجالات التشبيه في الدعوة إلى الشريعة.**

**المبحث الثالث: مجالات التشبيه في الدعوة إلى الأخلاق.**

## المبحث الأول

### مجالات التشبيه في الدعوة إلى العقيدة

**العقيدة لغة:** (من العقد، وهو الربط والشدّ بقوة، منه الإحكام والإبرام، والتماسك والمراصة والإثبات والتوثق) <sup>(١)</sup> وعرفت العقيدة في الاصطلاح بأنها: (الإيمان الجازم بالله وما يجب له في ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة في أصول الدين وأمر الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح والتسليم لله تعالى في الحكم، والأمر، والقدر، والشرع، ورسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم، والإتباع) <sup>(٢)</sup>.

فموضوع العقيدة يشمل التوحيد والإيمان والإسلام والغيبات، والنبوات، والقدر والأخبار، وأصول الأحكام القطعية، وسائر أصول الدين والاعتقاد، ويتبعه الردُّ على أهل الأهواء، والبدع، وسائر الملل والنحل، والمذاهب الضالة، والموقف منهم ومن مسميات هذا العلم، العقيدة، والتوحيد، والسنة، وأصول الدين.

والعقيدة في الإسلام تقابل الشريعة؛ إذ الإسلام عقيدة وشريعة تعني التكاليف العملية التي جاءت في القرآن والسنة النبوية في العبادات والمعاملات، والعقيدة هي أمور علمية يجب على المسلم أن يؤمن بها؛ لأنَّ الله أخبرنا بها عن طريق كتابه، أو عن طريق وحيه إلى رسوله ﷺ. وأصول العقائد التي أمرنا الله باعتقادها هي التي حددها الرسول ﷺ في حديث جبريل المشهور بقوله: {الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تعالى} <sup>(٣)</sup> فالعقيدة هي الأصل والشريعة هي الفرع؛ لأنَّ العقيدة الصحيحة هي الأساس الذي يقوم عليه الدين، وتصح معه الأعمال، فإذا فسدت العقيدة بالشرك فسد العمل كله.

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة عقد، فصل العين المهملة، ص ٢٩٥/٣.

(٢) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، عبد الكريم ناصر العقل، دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤١٢هـ، ص ٩.

(٣) صحيح مسلم، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، رقم ١٠٢، ١/٢٨.

فالعقيدة في دين الإسلام هي التي تدور حول قضايا معينة، هي التي أخبرنا بها الله ورسوله، وحتى تصبح هذه عقيدة لا بد أن تصدق بما تصديقاً جازماً لا ريب فيه، فإن كان فيها ريب أو شك كانت ظناً لا عقيدة<sup>(١)</sup>. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾<sup>(٢)</sup>، وذم سبحانه المشركين المرتابين بقوله: ﴿ وَأَزْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ يَزْتَدِدُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>، والمسائل التي يجب اعتقادها أمور غيبية، ليست مشاهدة منظورة، وهي التي عناها الله بقوله عندما مدح المؤمنين: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾<sup>(٤)</sup>، فالإيمان بالله غيب، وكذلك الإيمان بالملائكة واليوم الآخر، أمّا الكتب والرسول فقد يتبادر أنها تشاهد وتنظر، ولكن المراد هو الإيمان بنسبتها إلى الله، أي: كون الرسل مبعوثين من عند الله، وأنّ الكتب منزلة من عند الله، وهذا أمر غيبي.

(فمن أحكام العقيدة وجوب الإيمان بالله ورسوله محمد ﷺ، ومسألة الإيمان بالله ورسوله من المسائل البديهية التي يؤمن بها كل عقل سليم، وكف فطرة سليمة، وعليها من الأدلة والبراهين ما لا يوجد على غيرها من البديهيات، وعلى هذا فلا يتصور مجيء زمان أو جيل من الناس يقال فيه: إنّ مسألة الإيمان بالله وما يتفرع عنها من مسائل العقيدة، أو مسألة الإيمان بمحمد محمد ﷺ أصبحت من المسائل العتيقة التي تناقض العصر ولا يقرّها العقل؛ لأنّ العقل لا ينكر الحقائق الثابتة، وإنما يؤكدها ويعمّقها في النفس؛ ولأنّ شأن الحقائق الثابتة الخلود، والعقل يعترف ويقرّ بهذا الثبات، ولا شك أنّ الإيمان بالله من الحقائق الثابتة الخالدة التي لا يمكن أن تتغيّر، وتنقض في أيّ زمان)<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، عبد الكريم ناصر العقل،

ص ٩-١٠.

(٢) سورة الحجرات: ١٥.

(٣) سورة التوبة: ٤٥.

(٤) سورة البقرة: ٣.

(٥) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص ٤٣.

## المطلب الأول: أهمية الدعوة إلى العقيدة في الإسلام:

لما كان توضيح العقيدة الصحيحة والدعوة إليها هو أهم الأمور وأكد الواجبات؛ لأنها الأساس الذي تنبني عليه صحة الأعمال وقبولها، كان اهتمام الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، واهتمام أتباعهم بإصلاح العقيدة أولاً عما يناقضها أو ينقصها، وكان نصيب هذا الجانب من سور القرآن وآياته النصيب الأوفر، وكان نصيبه من دعوة الرسول ﷺ واهتمامه النصيب الأكبر، فقد مكث ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى التوحيد وإخلاص العقيدة، ولما فتح الله عليه مكة، كان أول ما بدأ به هدم الأصنام، والقضاء عليها والأمر بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له. كما قال تعالى عنهم: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾<sup>(١)</sup>، وكل رسول يقول لقومه أول ما يدعوهم: ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾<sup>(٢)</sup>، كما قالها نوح، وهود، وصالح، وشعيب، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، وسائر الرسل عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين، ومن المعلوم بداهة أن أي بناء لا يقوم ولا يستقيم إلا بعد إقامة أساسه، ولهذا كان الرسل يهتمون بما قبل كل شيء، وكان النبي ﷺ عندما يبعث الدعوة يوصيهم بالبداة بالدعوة إلى تصحيح العقيدة<sup>(٣)</sup>.

ولعظيم شأن العقيدة في النفوس، وما يترتب عليها من آثار خطيرة في سائر حياة الإنسان، فلقد استحوذت أساليبها على نصيب كبير في القرآن الكريم، بل كادت أن تكون كله، إذ إنه ما من جزء أو سورة، أو آية خلت من الدعوة إلى العقيدة صراحةً أو ضمناً. ولقد جاءت هذه الأساليب متنوعة، وهذه الكثرة لتقرير العقيدة وتثبيتها من ناحية وبيان أهدافها وأغراضها، وآثارها من ناحية أخرى.

وكذلك في السنة النبوية فإن النبي ﷺ قد أولى جانب العقيدة اهتمامه الأكبر؛ حيث كانت عقائد الشرك سائدة في الجزيرة العربية قبل مبعثه الشريف، ولم يترك عليه الصلاة والسلام وسيلةً لتصحيح عقائد الناس ودعوتهم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، وإلى ترك العقائد الفاسدة التي كانوا قد نشؤوا عليها وتلقوها عن آبائهم، وغرس مفاهيم العقيدة

(١) سورة النحل: ٣٦.

(٢) سورة الأعراف: ٥٩.

(٣) انظر الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار ابن

الجوزي، ط ٤، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ١/١٥.

الصحيحة في نفوسهم.

لقد جاءت الشرائع السماوية المختلفة بحقيقة واحدة هي أعظم حقيقة في الكون، أعني: حقيقة التوحيد كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾<sup>(١)</sup>، ولكن تنوعت أساليب وطرق عرض هذه الدعوة والتأكيد عليها من نبي إلى نبي، ومن رسول إلى رسول ومن قوم إلى قوم، وليست شريعة الإسلام الخاتمة بعيدة عن هذا التعدد الأسلوبي في عرض هذه الحقيقة الخالدة مراعاةً لتنوع مشارب الناس وأفكارهم وشبههم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرِ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾<sup>(٢)</sup>، ولا شك أن هيمنة القرآن الكريم، ونسخه لما سواه من كتب يستلزم شمولية في الخطاب تناسب كافة المشارب، والمنازع الفكرية حين دعوتها إلى الحق، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾<sup>(٣)</sup>.

إن أصل داء الناس في القديم والحديث هو جهلهم برّبهم وشرودهم عنه، أو كفرهم به ورفضهم الدخول في العبودية الكاملة له، والسير على نهج الأنبياء والاعتزاز بالدنيا والغفلة عن الآخرة، هذه هي مقومات الداء، وهي تجتمع مع الكفر بالله، وتتفرق مع أصل الإيمان به، كما نجده في ضعاف العقيدة من المسلمين، فإذا وجد أصل الداء بكل مقوماته وحدث الشرور والمفاسد بكل صنوفها وأنواعها، أمّا أصل الدواء لهذا الداء فهو الإيمان بالله رباً وإلهاً لا إله غيره، والكفر بالطاغوت بكل أنواعه ومظاهره والإقبال على الله وعدم الركون إلى الدنيا، وهذا ما دعا إليه أنبياء الله جميعاً، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

فالعقيدة الإسلامية وتجليه معانيها وأصولها وما تستلزمه وتتضمنه هي الأساس في دعوة الداعي وما يؤكّد عليه دائماً ولا يغفل عنه مطلقاً؛ لأنها هي الأصل في دعوته، وما عداه فروع،

(١) سورة الأنبياء: ٢٥.

(٢) سورة الكهف: ٥٤.

(٣) سورة المائدة: ٤٨.

(٤) سورة النحل: ٣٦.

فإذا استقام له هذا الأصل، واستجاب له المدعوون بعد كفرهم، سهل عليه إقناعهم بمعاني الإسلام وفروعه المختلفة، وإذا رفضوه رفضوا سائر فروعه ومعانيه، وهذا هو النهج الصحيح الذي دلَّ عليه القرآن الكريم، وسار عليه النبي الكريم ﷺ . فإنَّ القرآن ظلَّ يستزلُّ في مكة بالسور والآيات في بيان أصول العقيدة ومعانيها، مثل الإيمان بالله، ووحدانيته في الربوبية، والألوهية، والإيمان بيوم الحساب ومآل الناس إلى الجنة والنار، وضرورة الإيمان بالرسول ﷺ والقيام بالعمل الصالح المشروع، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعْتَرَأَلَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُطْعَمُ قُلٌّ إِنَّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥﴾ قُلْ إِنَّي أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٦﴾ مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ۗ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۗ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨﴾ ۝ ﴿١٩﴾ . وقال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عُلُقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُمْ مَّن يُمُوتُ ۗ وَمِنكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنْتَبَتْ مِن كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ ﴿٢٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢١﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ۝ .

وهذا النهج القرآني في التأكيد على العقيدة الإسلامية ظلَّ مستمراً حتى بعد الهجرة إلى المدينة، فكانت الآيات تنزل ببيائها، أو تختتم آيات المعاملات بأصول العقيدة كالإيمان بالله واليوم الآخر<sup>(٣)</sup>، وقد كان من أهم الوسائل التي استخدمها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في الدعوة إلى العقيدة الإسلامية، أسلوب التشبيه، وسنستعرض في المطلب التالي نماذج من هذا الأسلوب في كلِّ من كتاب الله، والسنة المطهرة.

(١) سورة الأنعام: ١٤-١٧.

(٢) سورة الحج: ٥-٧.

(٣) انظر أصول الدعوة عبد الكريم زيدان، ص ٣٠٥ .

## المطلب الثاني: أمثلة لاستعمال أسلوب التشبيه في الدعوة إلى

### العقيدة في الكتاب والسنة:

أولاً: في القرآن الكريم:

أ- الدعوة إلى كلمة التوحيد:

قضية التوحيد هي قضية القضايا في دعوة الأنبياء، وهي الأساس الذي سعى إليه أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾<sup>(١)</sup>، ففي كل أمة خلقت ومضت بعث الله عز وجل نبياً يدعو إلى عبادته والكفر بالطاغوت، وينفي سبحانه وتعالى وهو عز وجل أعلم برسله أن يكون أرسل رسولاً بغير شهادة التوحيد: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي القرآن الكريم بيّن الله عظيم فضل كلمة التوحيد، ويزينها في قلوب المؤمنين، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١٦﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴿١٧﴾ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٨﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿١٩﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

شبه الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، (وعن ابن عباس في قوله: (مثلاً كلمة طيبة) شهادة أن لا إله إلا الله، (كشجرة طيبة) وهو المؤمن)<sup>(٤)</sup>.  
(فالله سبحانه وتعالى ذكر شجرة موصوفة بصفات أربع ثم شبه الكلمة الطيبة بها، فالصفة الأولى لتلك الشجرة كونها طيبة والصفة الثانية قوله: (أصلها ثابت) أي راسخ باق آمن الانقلاع، والانقطاع، والزوال والفناء، والصفة الثالثة قوله: (وفرعها في السماء) وهذا

(١) سورة النحل: ٣٦.

(٢) سورة الأنبياء: ٢٥.

(٣) سورة إبراهيم: ٢٤-٢٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/٤٩١.

الوصف يدلُّ على كمال حال تلك الشجرة، والصفة الرابعة قوله: (تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) والمراد: أن الشجرة المذكورة كانت موصوفةً بهذه الصفة، وهي أن ثمرتها لا بد أن تكون حاضرةً دائمةً في كلِّ الأوقات، ولا تكون مثل الأشجار التي يكون ثمارها حاضراً في بعض الأوقات دون بعض<sup>(١)</sup>.

والمراد بهذه الشجرة التي جاء ذكرها في الآية الكريمة النخلة، فقد روى البخاري عن ابن عمر قال: (كنا عند رسول الله ﷺ فقال: {أخبروني عن شجرة تشبهه أو: كالرجل المسلم، لا يتحات ورقها، ولا ولا ولا.. تؤتي أكلها كل حين، قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلّم، فلما لم يقولوا شيئاً، قال رسول الله ﷺ: (هي النخلة). فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتا، والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة. قال: ما منعك أن تكلم؟ قال: لم أركم تتكلمون، فكرهت أن أتكلّم، أو أقول شيئاً. قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا<sup>(٢)</sup>.

فالنبي ﷺ شبه المؤمن بالنخلة، ثم شبه سبحانه الكلمة الطيبة وهي كلمة لا إله إلا الله، بهذه الشجرة المباركة، التي تتصف بالصفات التي وردت في الآية، فإن النخلة لا بد لها من عروقٍ وساقٍ، وفروعٍ وورقٍ وثمرٍ، وكذلك شجرة الإيمان لا بد لها من أصلٍ، وفرعٍ، وثمرٍ، فأصلها الإيمان، وفرعها الأعمال الصالحة، والطاعات المتنوعة، والقربات العديدة، وثمراتها كلُّ خيرٍ يحصله المؤمن، وكلُّ سعادةٍ يجنيها في الدنيا والآخرة.

قال البغوي رحمه الله: (والحكمة في تمثيل الإيمان بالشجرة هي أن الشجرة لا تكون شجرةً إلا بثلاثة أشياء، عرق راسخ، وأصل قائم، وفرع عال، وكذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء، تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأبدان<sup>(٣)</sup>).

ثمَّ شبه ربنا سبحانه الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة، والكلمة الخبيثة هي كلمة الكفر، فكلمة الكفر ليس لها أصل تقوم عليه ولا دليل تستند إليه ولا يقبل الله مع الشرك عملاً. فهذه الشجرة الخبيثة إذا اجتثت واقتلعت جثها بتزع الأصول وبقيت في غاية الوهن والضعف، فتقلبها أقل ريح، فالكافر يرى أن بيده شيئاً، وهو لا يستقر ولا يغني عنه كهذه

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ص ٢٤٢/٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، برقم ٦١، ص ٢٢/١.

(٣) معالم التنزيل، البغوي، ص ٣٧٣/٤.

الشجرة التي يظن بها على بعد الجاهل أنها شيء نافع، وهي خبيثة الجني غير نافعة، وهي بخلاف الشجرة التي أصلها ثابت لم يتمكن لها أصل، ولا عرق في الأرض، وإنما هي نابتة على وجه الأرض، ما لها من قرار، فشبه بهذه الشجرة القول الذي لم يعضد بحجة، فهو لا يثبت بل يضمحل عن قريب لبطلانه، والقول الثابت هو الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه، وتمكّن فيه، واطمأنت إليه نفسه<sup>(١)</sup>، والتشبيه في هذه الآية من الطرق التربوية لتركيّز وتثبيت الإيمان في القلوب، حيث إنّ المشبه به الذي هو شجرة مما يسهل مشاهدته والاعتبار به، ورؤية أطواره غدواً ورواحاً<sup>(٢)</sup>.

وكذلك فإنّ النبي ﷺ، في أحاديثه الشريفة كان يدعو إلى كلمة التوحيد، ويبيّن للناس فضل هذه الكلمة، وهي خير ما قاله والنبيون من قبله عليه الصلاة والسلام، وقد وردت الكثير من الأحاديث التي تبين فضلها، ومنها هذا الحديث الذي يستخدم فيه النبي ﷺ أسلوب التشبيه، في ذكر فضل كلمة التوحيد وبيان التفاضل بين المؤمنين بها، فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (يخرج من النار مَنْ قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار مَنْ قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برّة من خير، ويخرج من النار مَنْ قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير<sup>(٣)</sup>).

في الحديث تشبيهه بتفاضل أهل الإيمان في الأعمال بتفاضل وزن الشعير والبر والذرة، وفيه الإسراعُ إلى التزوّد من الأعمال الصالحة؛ لأنّ الأسلوب المستخدم للحضّ على ذلك هو التشبيه عن طريق وسائل محسوسة يشاهد الناس تفاضلها في حياتهم اليومية.

### ب- التحذير من الشرك:

التوحيد أعظم عقائد الإسلام، بل هو الأساس في دعوة الأنبياء والمرسلين جميعاً، لذلك فقد كانوا عليهم السلام يحدّرون الناس من الوقوع في الشرك، فهو الذنب الأكبر، والجرم الذي لا يغفر.

ولمّا كان شأن التوحيد كذلك، وشأن الشرك كذلك، فقد حدّر القرآن الكريم من الشرك، في كثيرٍ من الآيات، وكذلك كان بيان النبي ﷺ للتوحيد أعظم بيان، ونهيه وتحذيره

(١) انظر البحر المحيط، أبو حيان، ص ١٥٧/٧.

(٢) انظر الطرق التربوية وعلم النفس من القرآن الكريم، أحمد الحبابي، ص ١٢٣.

(٣) صحيح البخاري، باب زيادة الإيمان ونقصانه، ص ١٧/١ برقم ٤٤.

عن الشرك أعظم النهي صلوات الله وسلامه عليه، فهو ﷺ، أبان التوحيد، وحسى حماه، وأوضح الشرك، وحذر منه، وسدّ ذرائعه؛ نصحاً للأمة، وشفقةً على العباد. فالشرك بالله وهو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، وهو أقبح الذنوب وأكبرها على الإطلاق، لا يغفر الله لمن مات عليه، بل هو خالد مخلد في النار لعظم جرمه في حق الله سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال جلّ وعلا: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومن الأساليب التي وردت في التحذير من الشرك بالله عزّ وجل في القرآن الكريم أسلوب التشبيه، ومن أمثلة ذلك تشبيه القرآن الكريم ولاية المشركين الذين اتخذوا من دون الله أولياء، بيت العنكبوت في الوهن، يقول سبحانه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

فنرى في الآية الكريمة صورةً عجيبة تلحّ على الحسّ والوجدان، وتجتذب إليها الالتفات وتسترعي الانتباه، وتسترق الأسماع، وتبهر الألباب، وتستولي على الأحاسيس والمشاعر، إنها تصوّر هؤلاء العباد الغافلين بصورة العناكب الضئيلة الواهنة، وتصور هؤلاء الضعفاء العاجزين بصورة بيت العنكبوت الذي يضرب به المثل في الضعف والوهن<sup>(٥)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: (ذكر سبحانه أنهم ضعفاء، وأن الذين اتخذوهم أولياء أضعف منهم، فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت اتخذت بيتاً وهو أوهن البيوت وأضعفها، وتحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حيث اتخذوا من

(١) سورة لقمان، آية: ١٣.

(٢) سورة النساء، آية: ٤٨.

(٣) سورة الزمر، آية: ٦٥.

(٤) سورة العنكبوت: ٤١.

(٥) انظر نظرات في الإعجاز البياني في القرآن الكريم نظرياً وتطبيقياً، سامي محمد هشام حريز، ص ٧٧.

دون الله أولياء فلم يستفيدوا. بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفاً<sup>(١)</sup>، فالمشرك ما ازداد باتخاذهِ ولياً ونصيراً من دون الله إلا ضعفاً، لأن قلبه انقطع عن الله، ومن انقطع قلبه عن الله وتعلقه بال مخلوق زاده وهناً إلى وهنه، فخاب ظنه وانقطع أمله فالولاية لغير الله وهي أمر معنوي مجرد، صارت هنا صورة محسوسة، بيت عنكبوت هزيل واهن، ولا يخفى ما في هذا التشبيه من التنفير والتحقير لمن يتخذ من دون الله أولياء، والله الحكيم يفعل ما يحقق المصلحة بضرب المثل في العظائم والمحقرات حسب الأحوال والمناسبات، فإن كان الأمر عظيماً كالحق والإسلام ضرب مثله بالنور والضياء، وإن كان الأمر مهيناً حقيراً كالأصنام ضرب مثله في عدم النفع وانعدام الفائدة بما يشبهه من الذباب، والبعوض والعنكبوت<sup>(٢)</sup>.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

يشبه سبحانه في هذه الآية (الذين يدعون من دون الله راجين إجابتهم، بمن يبسط كفيه من بعيد إلى الماء ليلبغ فاه، ظناً منه أن الماء يصل إلى فمه دون أن يتوسل إلى ذلك بإناء، والماء لن يصل إلى فمه أبداً؛ لأنه لا يشعر بعطشه، ولا يرى بسط كفيه إليه، ولا يسمع دعوته له، فكذلك حال هذه الأصنام لا تحس بعبادة المشركين، ولا تجيب دعاءهم، وقيل شَبَّهوا في قلة فائدة دعائهم لآهتهم، بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه فيبسطها ناشراً أصابعه ولم تصل كفاه إلى ذلك الماء ولم يبلغ مطلوبه من شربه)<sup>(٤)</sup>.

فدعاء الداعي المشرك كبسط الكفين لطالب الماء، وما يرجوه من أوثانه كالماء الذي يطلبه، وعدم تحقق المطلوب للداعي كعدم تحقق الوصول إلى الماء بالنسبة إلى باسط كفيه إلى

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ص ١٨٠/١.

(٢) انظر التفسير المنير، الزحيلي، ص ١١١/١.

(٣) سورة الرعد: ١٤.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي، ص ٢٤/١٩.

الماء عن بعد، فالغرض من هذا التشبيه تقريبُ صورة المشبه إلى ذهن المخاطب، والتنفير من دعاء غير الله، والإقناع بلفت النظر إلى الحقيقة عن طريق صورة مشابهة<sup>(١)</sup>.

وفي آية أخرى يشبّه الله سبحانه حال المشركين بالله فيقول: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا

خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

(فالمشرك بالله قد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده نهاية، فصوّرت الآية حاله بصورة حال مَنْ خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَاحْتَطَفَتْهُ الطَّيْرُ، فتفرّق مزعاً في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة، والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزّع أفكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوّح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة)<sup>(٣)</sup>.

لقد خلق الله الإنسان ورفعته بالتكوين إلى مرتبة عبوديته له سبحانه، وتحرّره من عبودية من سواه، فإذا اختار الإنسان أن يجعل نفسه عبداً لغير الله، فقد أسقط نفسه من مرتبته، وبسقوطه انعكس على رأسه، فخراً من مرتبه السمو، وهو إلى سحيق مهلك، وفي هذا التشبيه القرآني تقريبُ صورة الحالة النفسية التي يكون عليها المشرك بالله، والتنفير الشديد من الشرك<sup>(٤)</sup>.

### ج- الردّ على النصارى:

زعم النصارى أنّ نبي الله المسيح بن مريم عليه السلام، ابن الله سبحانه وتعالى عما يشركون، وعيسى عليه السلام إنما هو نبي مرسل جاء ليدعو الناس إلى توحيد الله، لكن النصارى من بعده حرّفوا شريعته وعبدوه من دون الله، وزعموا أنه ابن الله وثالث ثلاثة، فجاءت الآيات القرآنية لتردّ عليهم زعمهم هذا، ومما استدللّ به النصارى لهذه العقيدة الشركية، أنّ المسيح عليه السلام ولد من غير أب، فردّ عليهم القرآن الكريم زعمهم هذا من

(١) انظر أمثال القرآن، عبد الرحمن حسن حبنكة، ص ١٨٥.

(٢) سورة الحج: ٣١.

(٣) الكشف، الزمخشري، ص ١٥٧/٣.

(٤) انظر أمثال القرآن، عبد الرحمن حسن حبنكة، ص ١٩٠-١٩١.

خلال تشبيه عيسى عليه السلام بآدم، فأدم عليه السلام، خُلِقَ من غير أب ولا أم، فمعجزة خلقه أعظم من خلق عيسى عليه السلام من غير أب.

قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١).

(شبهه الله سبحانه وتعالى عيسى بآدم عليهما السلام، والمعنى الذي وقعت فيه المشاركة بين آدم وعيسى كون كل واحد منهما خلق من غير أب، فوجه التشبيه هو الوجود من غير أب، فهما نظيران في أن كلاً منهما أوجده الله خارجاً عما استقر واستمر في العادة من خلق الإنسان متولداً من ذكر وأنثى، والوجود من غير أب وأم أغرب في العادة من وجود من غير أب، فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه) (٢)، فلو كان عيسى بمقتضى ذلك ابناً لله والله أبوه، لكان آدم بالأولى والأحرى؛ لأن عيسى عليه السلام وجدت له أم، أما آدم فليس له أب ولا أم، ففي هذا القياس التمثيلي إبطال لدعوة النصارى فيما قالوه بشأن عيسى عليه السلام، وإثبات أنه عبد مخلوق لله (٣).

ثانياً: في السنة النبوية:

أ- التحذير من العودة للكفر:

لقد من الله على المسلمين أن هداهم للإيمان، والمؤمن الحق يعرف قدر نعمة الإسلام، حيث ذاق طعم الإيمان حين رضي بالله تعالى رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد عليه الصلاة والسلام نبياً ورسولاً، والمؤمن الحق لا يرضى أن يرجع للكفر بعد أن من الله عليه بالإسلام، مهما كانت الظروف والأسباب، وقد بين النبي عليه الصلاة والسلام هذا المعنى في كثير من الأحاديث، ومن ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: {ثلاث من كن فيه

(١) سورة آل عمران : ٥٩ .

(٢) البحر المحيط، أبو حيان، ٥٠١/٢ .

(٣) انظر الأمثال في القرآن الكريم، منصور بن عون العبدي، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط ١،

١٤٠٦ هـ، ١٩٨٥ م، ص ١١١-١١٢ .

وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار<sup>(١)</sup>.

(يُخبر النبي عليه الصلاة والسلام عن ثلاث صفات إن وجدت في المسلم وجد حلاوة الإيمان، ومعنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في رضا الله عز وجل ورسوله ﷺ، وإيثار ذلك على عرض الدنيا ومحبة العبد ربه سبحانه وتعالى بفعل طاعته وترك مخالفته، وكذلك محبة رسول الله ﷺ)<sup>(٢)</sup>.

وفي الحديث شبه النبي ﷺ العودة في الكفر بالقذف في النار، وجه الشبه هو شدة العذاب، إن المشبه هو كراهة العودة في الكفر، والمشبه به كراهة القذف في النار، ووجه الشبه هو وجدان الألم وكراهة القلب إيَّاه، وظاهر الأمر، أن التشبيه واضح، فالمراد كراهة العود إلى الكفر، ككراهة القذف في النار، والتشبيه في الحديث يهدف إلى رسوخ معاني الإيمان في النفوس، والرغبة من التقصير، فيه وذلك عن طريق تشبيه العودة إلى الكفر بالقذف في النار، واستخدام وسيلة النار التي هي مشاهدة للناس ومعروفة بشدة عذابها وخوف الإنسان منها، والتشبيه في الحديث فيه تناسقٌ رائع فالدخول في الكفر دخول في النار، والخروج منه إنقاذٌ من النار<sup>(٣)</sup>، فمن وجد حلاوة الإيمان وحالط قلبه، علم أن الكافر في النار، فكره الكفر لكراهيته لدخول النار<sup>(٤)</sup>.

إنَّ المؤمن الحق بعد أن منَّ الله عليه بالإسلام لو قذف في النار لكان أهون عليه من أن يعود كافراً بعد إسلامه، فلو قيل للمؤمن إمَّا أن تكفر، أو نحرقك لقال احرقوني ولا أرتدُّ من بعد إسلامي، إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان.

## الإيمان بكرم الله وقدرته:

من مبادئ العقيدة الإسلامية الإيمانُ بأسماء الله سبحانه الحسنى وصفاته العليا، ومن صفات ربِّنا سبحانه الثابتة بالكتاب والسنة التي ينبغي للمسلم أن يؤمن بها كرم الله وعظيم

(١) صحيح مسلم، باب بيان خصال من اتصف بها وجد حلاوة الإيمان، برقم ١٧٤، ص ١٥٢/١.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ص ١٣/٢.

(٣) انظر التصوير الفني في الحديث النبوي، محمد الصباغ، ص ٢٧٨.

(٤) انظر شرح البخاري، ابن بطال، ٤٤/١ و التصوير الفني في الحديث النبوي، محمد الصباغ، ص ٢٧٨.

قدرته وسعة ملكه، فهو مالك الملك سبحانه، ومن الأحاديث الشريفة التي تصوّر هذه العقيدة وتقرّبها من العقول ما رواه أبو ذرّ الغفاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويّه عن ربه عز وجل أنه قال: {يا عبادي لو أن أولكم، وآخركم، وإنسكم، وجنكم، قاموا على صعيدٍ واحد فسألوني فأعطيْتُ كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر...} (١).

هذا الحديث يدلُّ على عظمة ربنا سبحانه، وكرمه، وسعة ملكه، وقدرته التي لا يعجزها شيء، وأنه سبحانه لو أعطى كلَّ إنسان في هذا الكون مسألته لم ينقص هذا من ملك الله شيء؛ لأنَّ ملكه لا حدود له، فيشبهه الحديث ما ينقص من ملك الله لو أعطى كل الناس ما يريدون، بما ينقص البحر العظيم إذا غُمست فيه إبره، والله سبحانه واسع الفضل عظيم النوال لا ينقص العطاء خزائنه، فخاطب العباد من حيث يعقلون وضرب لهم المثل بما هو غاية القلة ونهاية ما يشاهدونه، وهذا التشبيه من باب التقريب إلى الأفهام، ومعناه لا ينقص شيئاً أصلاً لأن ما عند الله لا يدخله نقص، وإنما يدخل النقص المحدود الفاني وعطاء الله تعالى من رحمته وكرمه، وهما صفتان قديمتان لا يتطرق إليهما نقص، فضرب المثل بالمخيط في البحر، لأنه غاية ما يضرب به المثل في القلة، والمقصود التقريب إلى الإفهام بما شاهدوه فإنَّ البحر من أعظم المرئيات عياناً، وأكبرها، والإبرة من أصغر الموجودات، مع أنها صقيلة لا يتعلق بها ماء (٢).

### ب- الدعوة للإيمان بالوحي:

الإيمان بالوحي أساسٌ من أسس الإيمان الصحيح، وهو واجبٌ على كل مسلم؛ لارتباط ذلك الإيمان بجميع ما أنزل الله من كتب على أنبيائه، وما بلغ أنبياء الله ورسله عن ربهم، فكل ذلك وحي من الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٨﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ (٣) وقد أشار القرآن الكريم إلى ثلاثة مقامات

(١) صحيح مسلم، باب تحريم الظلم، برقم ٦٧٣٧، ١٦/٨.

(٢) انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ١٣٣/١٦.

(٣) سورة الشعراء: ١٩٢-١٩٤.

للوحي<sup>(١)</sup>، في قوله عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسَلَ رَسُولًا فَیُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٍ ﴾<sup>(٢)</sup>.

**الأول:** (وحيًّا) أي إلقاء المعنى في القلب، ومعناه أن الله تبارك وتعالى يقذف في روع النبي ﷺ شيئاً لا يمارى فيه أنه من الله عز وجل، كما جاء عن ابن مسعود، عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب).<sup>(٣)</sup>

**الثاني:** (من وراء حجاب، أي بالتكليم، كما كلم الله موسى عليه الصلاة والسلام فلما سأل الرؤية بعد التكليم حجب عنها، لكنه سمع النداء من وراء الشجرة: ﴿ نُودِيَ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوَسَىٰ إِيَّيَّ أَنْأ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٤)</sup>).

**الثالث:** نزول أمين الوحي جبريل على نبينا وعلى الأنبياء من قبله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. فقد روى البخاري، عن عائشة رضي الله عنها، أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول)<sup>(٥)</sup>.

(قالت عائشة رضي الله عنها: (ولقد رأيته يتزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً)، فالمشبه في كلام النبي الوحي والمشبه به صوت الجرس ووجه الشبه قوة الصوت، فالنبي ﷺ أراد أن يقرب للسامعين كيفية تلقيه للوحي فشبهه صوت الوحي الآتي إليه بصلصلة الجرس، والصلصلة والصليل: الصوت. يقال: صلت أجواف الإبل من العطش، إذا يبست ثم شربت فسمعت للماء في أجوافها صوتاً، والجرس

(١) انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢١٧/٧.

(٢) سورة الشورى: ٥١.

(٣) سنن البيهقي، شعب الإيمان، برقم ١١٤١، ص ٤٠٦/٢.

(٤) سورة القصص: ١٣٠.

(٥) صحيح مسلم، باب عرق النبي في البرد وحين يأتيه الوحي، ص ٤٨٥/٦ رقم ٢٥٤١.

معروف، وهو شبه الناقوس الصغير يوضع في أعناق الإبل، وأجرس بالجرس صوت به، والجرس: الصوت<sup>(١)</sup>.

ولا ريب أن الوحي أمرٌ غريب على الصحابة ولم يألفوه في أسماعهم فناسب تقريب لهم باستخدام وسيلة الجرس، وهي وسيلةٌ محسوسة ألفها المخاطبون في حياتهم، كما ناسب استخدام أسلوب التشبيه الذي يقرب الفهم للأذهان كما هو معهود في لغة العرب، فصورة التشبيه تتحدث عن حالة من حالات الوحي وهو أمر غيبي لا يمكن للناس أن تعلم حقيقته، أو ماهيته بالوسائل البشرية العادية<sup>(٢)</sup>، فأثر هذا التشبيه في الدعوة إلى الله حصول الفهم عند المخاطبين، ولا يلزم في التشبيه تساوي المشبه بالمشبه به في الصفات كلها، بل ولا في أخص وصف له، بل يكفي اشتراكهما في صفة ما، فالمقصود هنا بيان الجنس، فذكر ما ألف السامعون سماعه تقريباً لأفهامهم<sup>(٣)</sup>.

### ج- رؤية الله سبحانه يوم القيامة:

من عقيدة أهل السنة والجماعة أن ربنا سبحانه وتعالى يراه المؤمنون يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿١٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿١٣﴾﴾<sup>(٤)</sup>، والإيمان برؤية الله يوم القيامة متوافق مع اعتقاد أن ربنا سبحانه<sup>(٥)</sup>: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴿١٤﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾<sup>(٦)</sup> قال ابن بطال: (ذهب أهل السنة وجمهور الأمة إلى جواز رؤية الله في الآخرة ومنع الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة)<sup>(٧)</sup>.

وقد أخبر النبي ﷺ في عدة أحاديث بهذه العقيدة، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، أن أناساً قالوا لرسول الله ﷺ: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: {هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟ قالوا: لا، قال: فهل تضارون في رؤية القمر

(١) شرح البخاري، ابن بطال، ص ٢٦/١.

(٢) انظر التصوير الفني في الحديث النبوي، محمد الصباغ، ص ٢٨٥.

(٣) انظر فتح الباري، ابن حجر، ص ٣/١.

(٤) سورة القيامة: ٢٢.

(٥) شرح البخاري، ابن بطال، ص ٩/٢١.

(٦) سورة الشورى: ١١.

(٧) فتح الباري، ابن حجر، ص ٤٢٦/١٣.

---

ليلة البدر ليس في سحابة؟ قالوا: لا، قال: فو الذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما..<sup>(١)</sup>.

فالنبي عليه الصلاة والسلام يؤكد للمؤمنين أنهم سيرون ربهم يوم القيامة، فكما أنه لا يشتبه عليهم ويرتابون في رؤية الشمس في الظهر، والبدر في السماء، ولا يعارض بعضهم بعضاً في رؤيتهما، فكذلك سيرون ربهم، والمراد تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشكّ والمشقة والاختلاف والتشبيه برؤية القمر والشمس للرؤية، دون تشبيه المرئي تعالى الله عن ذلك<sup>(٢)</sup>.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: إن الله لا يظلم مثقال ذرة، برقم ٤٥٨١، ص ٤٤/٦.

(٢) انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ١٨/٣ فتح الباري، ابن حجر، ٤٢٧/١٣.

## المبحث الثاني

### مجالات التشبيه في الدعوة إلى الشريعة

#### المطلب الأول: الدعوة للشريعة في الإسلام:

الشريعة في اللغة: (ما شرع الله لعباده من الدين، وقد شرع لهم يشرع شرعاً، أي سنّ. والشارع: الطريق الأعظم، وشرعت في هذا الأمر شروعاً، أي: خضت)<sup>(١)</sup>. (وأصل كلمة الشريعة في اللغة: مورد الماء. أي: الموضع الذي يقصده الناس للماء من المياه والأنهار)<sup>(٢)</sup>. (ثمّ استعيرت للسنة والطريقة التي شرعها الله لعباده من الدين)<sup>(٣)</sup>.

أمّا الشريعة في الاصطلاح، فلها معنى عام ومعنى خاص، فهي مجموعة الأحكام الشرعية الصادرة عن الشارع، تطلق ويراد بها الأحكام العملية بمقابل الأحكام العقديّة، كما قد تطلق ويراد بها جميع الأحكام الشرعية عقدية كانت أو عملية، وذلك بحسب السياق<sup>(٤)</sup>. ففي الاصطلاح العام تعرّف الشريعة بأنها: (تنظيم كل الأحكام التي سنّها الله تعالى في كتابه، أو جاءتنا عن طريق رسوله ﷺ في سنته، لا فرق بين أن تكون في مجال العقيدة، أو العمل، أو الأخلاق)<sup>(٥)</sup>.

أمّا الشريعة في الاصطلاح الخاص فعرفّها القرطبي بأنها: (الأحكام التي شرعها الله لعباده، سواء أكان تشريع هذه الأحكام بالقرآن، أم بسنة النبي ﷺ، من قول، أو فعل، أو تقرير)<sup>(٦)</sup> وعرفّها غيره بأنها: (فروع الدين وأحكامه الفقهية)<sup>(٧)</sup>.

(١) الصحاح، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م، ص ١٢٣٦/٣، مادة شرع.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، ١٩٩٩م، ص ٣١٠.

(٣) المفردات، الراغب الأصفهاني، ت: نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ص ٢٦١.

(٤) انظر المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ص ٤٤.

(٥) المدخل إلى الشريعة والفقہ الإسلامي، عمر الأشقر، دار النفائس، ط ١٤٢٥هـ، ص ١٤.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص ١٦/١٧٣.

(٧) التلازم بين الشريعة والعقيدة، ناصر بن عبد الكريم العقل، ص ١١.

وهذا هو المقصود بقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾<sup>(١)</sup>، فالمقصود بالآية الكريمة الشرائع دون العقائد؛ لأن عقيدة الأنبياء عليهم السلام واحدة وهي الإسلام، أمّا شرائعهم فقد جعل الله لكل أمة شرعاً، وهذا المعنى للشرعية هو المقصود من الكلام عن أسلوب التشبيه في الدعوة إلى الشريعة في هذا البحث.

ويمكن تقسيم أحكام الشريعة وتكالييفها إلى أقسام ثلاثة<sup>(٢)</sup>:

١- **حقوق إلهية محضة:** وتمثّل بما يجب علينا من الإيمان بالله، والخضوع لجلاله وعبادته على ما يرضيه، وطاعته في أوامره ونواهيه.

٢- **حقوق شخصية:** وتمثّل بحقوق التملك، والتصرف ضمن حدود الخير، وإدارة النفس وفق مصالحها العاجلة والآجلة وبالحقوق التي توجب على الإنسان أن يعمل لنفسه ما يكسب به السعادة الخالدة لها.

٣- **حقوق جماعية:** وتمثّل بحقوق التعاون في الخير والدعوة والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعدل، وإقامة السلطان الصالح العادل، وضبط المعاملات وحقّ الزكاة والصدقة.

وبعد هذا البيان للمقصود بالشرعية والدعوة إليها، فإن الدعوة إلى الشريعة استخدم فيها كلّ الأساليب الدعوية المؤثرة، وإن أسلوب التشبيه أخذ حيزاً من نصوص الكتاب والسنة التي تدعو إلى الشريعة، وسنحاول في هذا المطلب أن نلقي الضوء على بعض هذه النصوص.

(١) سورة المائدة: ٤٨.

(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق ط ١، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ص ٢٦/١ - ٢٧.

## المطلب الثاني: أمثلة استعمال أسلوب التشبيه في الدعوة إلى الشريعة:

أولاً: في القرآن الكريم:

أ- الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله:

حثَّ الله عز وجل المؤمنين على الإنفاق في سبيل الله، وجعل على ذلك لهم الأجر العظيم والثواب الجزيل، ورغبهم في ذلك أحسن ترغيب فضرب لهم في هذا الآية مثلاً، فقال سبحانه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٩١﴾﴾<sup>(١)</sup>، فهي حبة واحدة أنبتت سبع سنابل، وفي كل سنبل مائة حبة، وطبعي أن يكون ناتج كل حبة سبعمائة حبة ومثل ذلك أجر من أنفق، من أنفق في سبيل الله وبذل في وجوه الخير، فإنَّ الحسنة تضاعف له من عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، فقد شبه الله في هذه الآية المتصدق بالزارع، وشبه الصدقة بالبذر، يعني أن مَنْ أنفق لوجه الله فإنه يشبه مَنْ زرع حبةً أنبتت سبع سنابل، في كل سنبل مائة حبة، أي أنَّ غلة الحبة تضاعف سبعمائة مرة، وقد يضاعف الله الثواب إلى أكثر من ذلك<sup>(٢)</sup>.

(وتحت هذا المثل من الفقه أنه سبحانه شبه الإنفاق بالبذر، فالمنفق ماله الطيب لله لا لغيره باذر ماله في أرض زكية، فمغلة بحسب بذره وطيب أرضه، وتعاهد البذر بالسقي، ونفي الدغل، والنبات الغريب عنه، فإذا اجتمعت هذه الأمور ولم تحرق الزرع نار ولا لحقته جائحة جاء أمثال الجبال)<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦١.

(٢) انظر الصدقات وأثرها على الفرد والمجتمع، إبراهيم بن محمد الضبيعي، مطابع الوطن الفنية، الرياض، ط ١،

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ص ٣.

(٣) إعلام الموقعين، ابن القيم، ص ١/١٨٤.

(وفي ذكره الحبة في التمثيل هنا إشارة أيضاً إلى البعث وعظيم القدرة؛ إذ مَنْ كان قادراً على أن يخرج من حبة واحدة في الأرض سبعمائة حبة، فهو قادر على أن يخرج الموتى من قبورهم بجامع اشتركا فيه من التغذية والنمو)<sup>(١)</sup>.

وقد بينا روعة التشبيه في هذا المثل القرآني عند الكلام عن تشبيه المعقول بالمحسوس في الفصل الأول من هذه الدراسة، ومن التشبيهات التي وردت في القرآن الكريم في مجال الإنفاق قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافاً كثيرة﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية<sup>(٣)</sup> قول ابن عمر رضي الله عنه لما نزلت: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾، قال رسول الله ﷺ: ربّ زد أمي فتزلت: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافاً كثيرة﴾.

يشبه الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة الذي يبذل ماله في سبيل الله وابتغاء مرضاته بمن يقرض الله مقابل فائدة عظيمة تبلغ أضعافاً مضاعفة كثيرة؛ لأنّ الله يثيب على ما يبذل عباده في سبيله ابتغاء مرضاته أضعافاً مضاعفة كثيرة<sup>(٤)</sup>.

لذلك فإنّ الصحابة رضي الله عنهم لما سمعوا هذا العطاء الإلهي، بادروا إلى إقراض الله سبحانه والإنفاق في سبيله، فعن عبد الله بن مسعود قال: (لما نزلت: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قال أبو الدحداح الأنصاري: يا رسول الله، أو إن الله تعالى يريد منا القرض؟ قال: نعم يا أبا الدحداح، قال: أربي يدك يا رسول الله، قال: فناوله يده، قال: فإني أقرضت ربّي عز وجل حائطي، وكان له فيه ستمائة نخلة، وأم الدحداح فيه، وعيالها، قال:

(١) روح المعاني، الألوسي، ص ٣٣/١.

(٢) سورة البقرة: ٢٤٥.

(٣) التفسير المنير، الزحيلي، ٤١١/٢.

(٤) انظر أمثال القرآن، عبد الرحمن حسن حبنكة، ص ٣١٩.

فجاء أبو الدحداح، فنادها يا أمّ الدحداح، قالت: لبيك، قال: اخرجي، فقد أقرضته ربّي عز وجل<sup>(١)</sup>.

إنّ التعبير عن الإنفاق بالإقراض الذي يشعر بحاجة المستقرض إلى المقرض عادةً جدير بأن يملك قلب المؤمن، ويحيط بشعوره، ويستغرق وجدانه؛ حتى يسهل عليه الخروج من كلّ ما يملك ابتغاءً مرضاة الله وحياءً منه، فكيف وقد وعد برده مضاعفاً أضعافاً كثيرة ووعدته الحق، هذا التعبير بمثابة الهزّ والزلال لقلوب المؤمنين، فقلب لا يلين لا ويندفع به إلى البذل قلب لم يمسه الإيمان، ولم تصبه نفحة من نفحات الرحمن قلب خاوم من الخير، فائض بالخبث والشر، أي لطف من عظيم يداني هذا اللطف من الله تعالى بعباده، جبار السموات والأرض ربّ كلّ شيء ومليكه الغني عن العالمين، الفعّال لما يريد المقلب القلوب للعبيد وهذا أسلوب مؤثّر في تحريك الطمع بتصاعد وارتقاء، أكثر من تأثير الوعد بالعطاء العظيم من أول الأمر، لا سيما في موضوع القرض الذي اعتاد المرابون أن تتحرّك مطاعمهم لتنمية فوائده كلما مرّ الزمن<sup>(٢)</sup>.

### ب- التنفير من الغيبة:

الغيبة من شرّ آفات اللسان، وهي من كبائر الذنوب والتي ورد التشديد على تركها، وتوعّد مَنْ يقوم بها ويفعلها بالنار والعذاب الشديد. والغيبة هي أن تذكر الإنسان في غيبته بسوء وإن كان فيه، فإذا ذكرته بما ليس فيه فهو البهت والبهتان<sup>(٣)</sup>. قال النووي: (ذكر المرء بما يكرهه، سواء كان ذلك في بدن الشخص أو دينه أو دنياه أو نفسه أو خلقه أو خلقه أو ماله أو والده أو ولده أو زوجه أو خادمه أو ثوبه، أو حركته، أو طلاقته، أو عبوسه أو غير ذلك مما يتعلّق به، سواء ذكرته باللفظ أو بالإشارة والرمز)<sup>(٤)</sup>. وقد نقل القرطبي في تفسيره

(١) تفسير ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي ابن أبي حاتم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م، ص ٢٨٦/١٢.

(٢) انظر تفسير المنار، رشيد رضا، ص ٢٦٩/٢ وأمثال القرآن، عبد الرحمن حسن حبنكة، ص ٣٢٠.

(٣) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٢١هـ، ص ٣٩٩/٣.

(٤) الأذكار، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، ت: أحمد عبد الله باجور، دار الريان للتراث، ط ١، ١٤٠٨هـ، ص ٣٣٦/١.

(الإجماع على أنها من الكبائر؛ لأنَّ حدَّ الكبيرة صادق عليها، لأنها مما ثبت الوعيد الشديد فيه)<sup>(١)</sup>.

وقد جاءتْ نصوص الكتاب والسنة واضحة في تحريم الغيبة والتنفير منها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَتُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

ففي الآية الكريمة تشبيه لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلُّقه بصاحبه على أفحش وجه وأشنعه، وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان وجعل المأكول أخاً للاكل وميتاً. وكفي عن الغيبة بأكل الإنسان للحم مثله؛ لأنها ذكر المثالب، وتمزيق الأعراض المماثل لأكل اللحم بعد تمزيقه في استكراه العقل والشرع له، وجعله ميتاً؛ لأنَّ المغتاب لا يشعر بغيبته<sup>(٣)</sup>.

فعرض المسلم مثل لحم جسده، وغيبته عن مجلس من يتحدَّث عنه مثل جسده الذي لا حياة فيه، فليس لديه القدرة في الدفاع عن نفسه في كلتا صورتين، فذكره بما يكره مثل أكل لحمه هو ميت، والغرض من هذا التشبيه التنفير، وتقبيح صورة الغيبة في نفوس المؤمنين<sup>(٤)</sup>.

### ج- الجهاد في سبيل الله:

(الجهاد في سبيل الله من أفضل القربات، ومن أعظم الطاعات، بل هو أفضل ما تقرب به المتقربون، وتنافس فيه المتنافسون بعد الفرائض، وما ذاك إلا لما يترتب عليه من نصر المؤمنين، وإعلاء كلمه الدين، وقمع الكافرين والمنافقين، وتسهيل انتشار الدعوة الإسلامية

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص ٣٣٧/١٦.

(٢) سورة الحجرات: ١٢.

(٣) انظر روح المعاني، الألوسي، ص ١٥٨/٢٦.

(٤) انظر أمثال القرآن، عبد الرحمن حسن حبنكة، ص ١٩٧-١٩٨.

بين العالمين، و إخراج العباد من الظلمات إلى النور، ونشر محاسن الإسلام، وأحكامه العادلة بين الخلق أجمعين، وغير ذلك من المصالح الكثيرة، والعواقب الحميدة للمسلمين<sup>(١)</sup>.  
والقرآن الكريم مملوءٌ بالآيات التي تحثُّ على الجهاد، وتبيِّن فضل الجهاد والمجاهدين،  
ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ تُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَنِينَ  
مَرْضُوصًا﴾<sup>(٢)</sup>.

يخبر سبحانه في هذه الآية عن محبته للمجاهدين في سبيل الله، فشبهت الآية الكريمة  
المقاتلين في سبيل الله في تماسكهم وتقوية بعضهم بعضاً، ومساندة بعضهم لبعض، بالبيان  
المحكم الذي يشدُّ بعضه بعضاً، في استوائه وصحة نظامه، وشدّة تماسكه، فالله سبحانه يرضى  
عن الذي يجارون لإعلاء كلمته، واقفين مترابطين كأنهم في التحامهم واتحادهم وتماسكهم  
بنيانٌ محكم لا ثغرة فيه ولا خلل<sup>(٣)</sup>.

#### د- تحريم الربا:

لقد كان انتشار الربا بين الناس من أعظم أمور الجاهلية، فكانت الكثير من تعاملاتهم  
المالية تقوم على الربا وكسب الأموال عن طريق استغلال ضعفاء الناس، وقد جاء الزجر  
عن جريمه الربا في كتاب الله تعالى شديداً، إذ هو من الذنوب العظام التي وصف اقترافها  
بمحرابة الله ورسوله، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا  
إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup> فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِغُوا فَلَئِنَّ  
رُءُوسَ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ<sup>(٥)</sup> ولذا فإنَّ النبي ﷺ أعلن إنهاء هذه  
الظاهرة على مآلٍ من الناس في حجة الوداع، وبدأ بربا عمه العباس فقال: {ألا كل شيء من

(١) فضل الجهاد والمجاهدين، عبد العزيز بن باز، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد،

الإدارة العامة للطبع والترجمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١١هـ، ص ١.

(٢) سورة الصف: ٤.

(٣) انظر القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص ٧٢.

(٤) سورة البقرة: ٢٧٨-٢٧٩.

أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ثم قال: وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا ربا العباس ابن عبد المطلب فإنه موضوع كله<sup>(١)</sup>.

وقد جاء في السنة النبوية أحاديث كثيرة تحرم هذه الجريمة النكراء، وتبين بشاعتها وقبحها حتى عد النبي ﷺ الربا من التسع الموبقات التي حذر منها وأمر باجتنابها. وقد تنوعت أساليب القرآن الكريم في التحذير من هذه الكبيرة، ووصف فاعلها بما يستحق من الوصف، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

(شبهت الآية الذين يأكلون الربا، ويستحلونه حياً في المال وعملاً بالأهواء، بالذي يتخبطه الشيطان إذا مسه بالأذى، وكانت العرب تقول بفلان خبطة من مس أي: مصاب بجبل، أو جنون، نتيجة لمس الجن له فيخلط عقله)<sup>(٣)</sup>.

ويأكلون أموال الناس بالباطل ومن غير عمل ولا جهد، شبهتهم في الاضطراب والقلق وتعذيب الضمير والوجدان والاهماك في الأعمال والدنيا، بالمصروعين الذين تتخبطهم الشياطين، وتمسهم الجن، وتضربهم وتصرعهم، وهم في الآخرة من وقت قيامهم من قبورهم إلى البعث والنشور أشد تخبطاً واضطراباً وثاقلاً في حركاتهم، بسبب ثقل المال الحرام الذي أكلوه من الربا، مما جعلهم متميزين عن بقية الناس في تعثرهم وسقوطهم كلما هموا بالنهوض والقيام، وهذه صورة في غاية القبح والبشاعة، ودليل على ما يحدثه النظام الرأسمالي الربوي في العالم المعاصر من هزات وقلق واضطراب، وخوف، وأمراض عصبية، ونفسية<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، ص ٣٠٩/٣ رقم ٢٤٣٩.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٥-٢٧٦.

(٣) الكشف، الزمخشري، ص ٢٤٥/١.

(٤) انظر التفسير المنير، الزحيلي، ٨٦/٣.

فهذا التشبيه القبيح لهؤلاء المرابين مستمدٌ من كون العرب كانوا يتصوِّرون أنَّ الذي به مسٌّ أو جنون إذا ثار جنونه، واضطربت حركاته وأخذ يتخبَّط في الأشياء، فإنما يتخبطه الشيطان، ويظنون أنَّ جنياً شيطاناً قد تسلَّط عليه هذا التسلُّط الخبيث<sup>(١)</sup>، فهؤلاء الذين زعموا أنَّ البيع مثل الربا استحقوا هذا التحقير بهذا التشبيه، إذ إنهم رفضوا حكم الله في تحريم الربا، وكيف يكون البيع مثل الربا، وهو ظلمٌ واستغلال، وتجارة بمصائب الناس.

ثانياً: في سنة النبي ﷺ:

#### أ- الدعوة إلى الصلاة:

للصلاة منزلةٌ في الإسلام، لا تصل إليها أية عبادة أخرى، فهي عماد الدين الذي لا يقوم إلا به، كما جاء في الحديث الشريف: { ... ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه ؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد ... }<sup>(٢)</sup>.

(يخبر النبي ﷺ أن أصل أمر الدين ورأسه، وما يقوم ويعتمد عليه هو الإسلام، أي الشهادتين، وهذا من باب التشبيه المقلوب؛ إذ المقصود تشبيه الإسلام برأس الأمر ليشعر بأنه من سائر الأعمال بمنزلة الرأس من الجسد في احتياجه إليه، وعدم بقائه دونه، فالإسلام هو أصل الدين إلا أنه ليس له قوة وكمال، كالبيت الذي ليس له عمود، فإذا صلَّى وداوم قوي دينه ولم يكن له رفعة، فإذا جاهد حصل لدينه رفعة)<sup>(٣)</sup>.

فالصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام، بها يفرَّق بين المسلم والكافر، فهي مظهرٌ للإسلام، وعلامة للإيمان، وقرّة عين وراحة ضمير، وتأتي منزلتها بعد الشهادتين؛ لتكون دليلاً على صحّة الاعتقاد، وسلامته، وبرهاناً على صدق ما وقر في القلب، وإلى جانب الصلوات الخمس المفروضة، شرع الإسلام للمؤمنين صلوات أخرى، كالنوافل وقيام الليل، والتهجّد، وصلاة الجنّازة، وصلاة الكسوف وغيرها، ورثب على فاعلها الأجر العظيم والثواب الجزيل.

(١) أمثال القرآن، عبد الرحمن حسن حبنكة، ص ١٨٠.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، برقم ٢٥٤١، ٢٠٢/٩.

(٣) تحفة الأحوذى، المبار كفوري، ص ٤١٥/٦.

لذلك فإن القرآن الكريم والسنة النبوية اهتما اهتماماً بالغاً بالدعوة إلى الصلاة، والمحافظة عليها، وتنوعت الأساليب في ذلك، ومن الأساليب التي استخدمت في الدعوة للصلاة أسلوب التشبيه، وسنذكر في هذا المطلب نماذج عديدة لاستخدام أسلوب التشبيه في الدعوة إلى الصلاة؛ وذلك لأهمية هذه الشعيرة بين شعائر الإسلام، حيث إن كثرة الآيات والأحاديث الواردة في الصلاة تدل على مدى أهميتها كثاني ركن من أركان الإسلام.

### بيان أهمية الصلوات الخمس المكتوبة:

قال رسول الله ﷺ: {أرأيتم لو أن نهرًا يباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟} قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فكذاك مثل الصلوات الخمس يحو الله بهن الخطايا<sup>(١)</sup>.

بيّن النبي ﷺ في هذا الحديث فضل الصلاة المكتوبة، وأنها سبب في مغفرة ذنوب المؤمنين، فيسأل النبي ﷺ أصحابه سؤالاً واضح الجواب، فهم يعلمون أن الاغتسال في النهر خمس مرات في اليوم سوف يزيل من على جسد المغتسل كل الأدران والأوساخ، ولكن النبي عليه الصلاة والسلام استخدم أسلوب الجملة الاستفهامية في الإثارة، ولفت الانتباه والتركيز من المتلقي، وليوصل الفكرة المراد إيصالها عن فضل الصلاة المكتوبة في غفران الذنوب والخطايا، وليقرّب هذا الفهم للمؤمنين، وعندها تتضح الصورة التشبيهية أمام الصحابة بعد أن بلغ بهم التشويق مداه، فالصلاة المفروضة هي اغتسال، والذنوب التي تقتربها العبد هي الأدران التي يزيلها باغتساله، فالصلاة سبب لمغفرة ذنوب العبد ومحوها، كما يزيل الإنسان أدران جسده بالاغتسال.

قال ابن العربي: (وجه التمثيل أن المرء كما يتدنّس بالأقذار المحسوسة، والأحوال المشاهدة في بدنه وثيابه فيطهره الماء الكثير العذب إذا والى استعماله وواظب على الاغتسال به، فكذاك تطهر الصلاة العبد من أقذار الذنوب حتى لا تبقى له ذنباً إلا أسقطته وكفرته، ويكون ذلك بالوضوء والصلاة، وإنما يكفر الوضوء الذنوب؛ لأنه يراد به الصلاة فما ظنك بالمراد وهو الصلاة، ذلك أقوى في التكفير وأولى بالإسقاط، وكما يطهر الماء الوسخ،

(١) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، برقم ٥٢٨، ص ١١٢/١.

فكذلك يُذهب الهموم والغموم الداخلة على العبد أيضاً، فإنَّ الهموم أصلها الذنوب، فإذا ذهبت الذنوب التي هي أسباب الهموم ذهبت في نفسها بذهاب أسبابها، ولذلك يقول المعبر للرجل الذي يرى في منامه أنه يغتسل: إن كان عليك دين قضيته، أو همّ زال عنك شغلُه<sup>(١)</sup>. وهذا التشبيه المركب الذي يشبّه فيه النبي ﷺ الصلاة بالاعتسال، ومحو الخطايا بإزالة الأدران عن الجسد، هو من تشبيه المعنوي بالحسوس.

### ب- التحذير من فوات صلاة العصر:

لقد عني الإسلام بالصلاة؛ لما فيها من الفضائل، ولما تشتمل عليه من الخير والنفع، فشدّد كل التشديد في طلبها، وحذر كل التحذير من تركها أو تأخيرها عن أوقاتها، فهي عمود الدين ومفتاح الجنة وخير الأعمال وأول ما يحاسب عليه المرء المؤمن يوم القيامة، ولا شك أن تأخير جميع الصلوات عند وقتها أمرٌ مذموم، وتضييعها وباله عظيم، إلا أن النبي ﷺ في هذا الحديث بيّن أهمية صلاة العصر، حيث ينشغل عنها كثيرٌ من الناس، بسبب العمل أو النوم، وهي المقصودة بقوله تعالى: ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ فالصلاة الوسطى هي صلاة العصر، وفيه الحث على المحافظة على بعض الصلوات، وبيان إثم تأخيرها عن وقتها، فعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: {الذي تفوته صلاة العصر كأنا وتر أهله وماله}<sup>(٢)</sup>.

(والموتور هو مَنْ قُتِلَ له قَتِيلَ فلم يدرك بدمه، ومعناه أنه كالذي يصاب بأهله وماله إصابةً يطلب بها وترًا، والوتر الجنانية التي يطلب تأثرها فيجتمع عليه غمّان: غمّ المصيبة، وغمّ مقاساة طلب الثأر)<sup>(٣)</sup>.

فالرسول ﷺ يشبّه مَنْ فاتته صلاة العصر بمن وتر أهله وماله، فكأنما فقد أهله وماله، فأصبح أعزب بعد التأهل، وفقيراً بعد الغناء، ووجه الشبه: الندم والحسرة، والغرض من التشبيه هو: التنفير من المشبّه، وبيان أثر ترك تلك الفريضة والتحذير من التهاون فيها، فالأهل والمال زينة الحياة الدنيا بهم تطمئن النفس، وفقد الأهل والمال من أكبر المصائب التي قد

(١) عارضة الأحوذى، أبو بكر بن العربي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ١٠/ص ٣١٥، ٣١٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، التعليل في تفويت صلاة العصر، برقم ٧٤٣٠، ص ١٦٨/٨.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ص ٤١٥/٢.

تصيب الإنسان وتغصّ عيشه، وكذلك حال مَنْ فاتته صلاة العصر، فقد أصيب بمصيبة عظيمة لا تنجبر، وفاته خيرٌ عظيم لا يعوّض، فما أعظم خسارته، وما أشدَّ اضطرابه وحزنه.

### ج- الحثُّ على صلاة النافلة في البيوت:

عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: {اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً} (١).

(هذا من التمثيل البديع، وذلك بتشبيهه ﷺ البيت الذي لا يصلّى فيه بالقبر الذي لا يمكن الميت فيه عبادة، فلا تجعلوا بيوتكم مثل القبور التي ليست محلاً للصلاة بأن لا تصلوا فيها كالميت الذي انقطع عنه الأعمال) (٢).

ووجه الشبه بين البيوت التي لا يصلّى فيها وبين القبور، الوحشة والخوف وانعدام العبادة، لأن الصلاة أم العبادات وأفضل القربات، وفي هذا التشبيه التقيح والتنفير من أصحاب البيوت الخالية من الصلاة والقرآن و توبيخ لهم.

### د- الدعوة إلى التبكير لصلاة الجمعة:

قال ﷺ: {مَنْ اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومَنْ راح في الساعة الثانية، فكأنما قرب بقرة، ومَنْ راح في الساعة الثالثة، فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومَنْ راح في الساعة الرابعة، فكأنما قرب دجاجة، ومَنْ راح في الساعة الخامسة، فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام، حضرت الملائكة يستمعون الذكر} (٣).

(يخبر النبي ﷺ في الحديث عن فضل التبكير لصلاة الجمعة وأن مَنْ اغتسل غسل الجمعة، وذهب باكراً في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنه، أي: تصدّق بها متقرباً إلى الله. وقيل المراد أن للمبادرة في أول ساعة نظير ما لصاحب البدنة من الثواب ممن شرع له القربان؛ لأن القربان لم يشرع لهذه الأمة على الكيفية التي كانت للأمم السابقة) (٤).

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كراهية الصلاة في المقابر، برقم ٤٣٢، ١/١٩٤.

(٢) عون المعبود، العظيم آبادي، ص ١٢/٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة، برقم ٨٨١، ص ٣٥٥/٢.

(٤) تحفة الأحوذى، المبار كفوري، ص ٣٧/٢.

والحديث تضمن مجموعة من التشبيهات النبوية، التي أتت لبيان تدرج الثواب، فالتشبيهات توضح حال من خرج لصلاة الجمعة، وأن مرتبته في الأجر كحال من تصدق ببدنه، أو بقرة، أو كبش، أو دجاجة، أو بيضة، فقد أراد النبي ﷺ التنبيه على مراتب الحاضرين في الجمعة الأولى فالأولى، فالذي يبكر إلى الصلاة يوم الجمعة يكون له من الأجر كمن اشترى شيئاً مما ذكر في الحديث، ووزعه على فقراء المسلمين، فمن ذهب في الساعة الأولى كان كمن اشترى من ماله الخاص بدنة، فذبحها ثم وزعها على فقراء المسلمين، وقد استعمل النبي ﷺ هذا الأسلوب ليقرب للناس فهم عظيم ثواب التكبير إلى صلاة الجمعة، فشبهه تفاوت الثواب الحاصل من ذلك بتفاوت ثواب التصدق بالأصناف التي ذكرها الحديث، فالفرق العظيم بين أجر من يبكر ويأتي في الساعة الأولى، ومن يتأخر ويأتي في الساعة الخامسة الأخيرة، إنه الفرق بين من يتصدق ويتبرع بالبدنة، وبين من يتصدق ويتبرع بالبيضة، وهذا التشبيه النبوي الشريف له وقع عظيم في نفوس المؤمنين، في التنافس للتكبير إلى صلاة الجمعة، كما يتنافس المؤمنون في تقديم الصدقات والإنفاق في سبيل الله.

#### ٥- الدعوة إلى الصلاة على الجنائز واتباعها:

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: {مَنْ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ كَانَ لَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ أَتَبَعَهَا حَتَّى يَفْرَغَ مِنْ أَمْرِهَا كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ. أَحَدُهُمَا مِثْلُ أَحَدٍ} (١).

شبه النبي ﷺ ثواب من يصلي على جنازة بالقيراط، وذكر القيراط تقريباً للفهم لما كان الإنسان يعرف القيراط ويعمل العمل في مقابلته، وعد من جنس ما يعرف وضرب له المثل بما يعلم، وأما من أتبع الجنازة بعد الصلاة عليها حتى يفرغ من أمرها فله قيراطان، ثم شبه النبي ﷺ القيراطين من الأجر بأن أحفهما في ميزانه يوم القيامة أثقل من جبل أحد، فهذا يدل على أن لكل عمل من أعمال الجنائز قيراطاً، وإن اختلفت مقادير القيراط، ولا سيما بالنسبة إلى مشقة ذلك العمل وسهولته، فوجه التمثيل بجبل أحد المراد به: زنة الثواب المرتب على ذلك العمل (٢).

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنائز، برقم ٢٢٣، ص ٥٢/٣.

(٢) انظر شرح سنن النسائي، السيوطي، ٥٣/٤.

قال ابن المنير: (أراد تعظيم الثواب فمثله للعيان بأعظم الجبال خلْقاً، وأكثرها إلى النفوس المؤمنة حباً؛ لأنه الذي قال في حقّه إنه جبلٌ يحبُّنا ونحبُّه، زاد ابن حجر، ولأنه أيضاً قريب من المخاطبين يشترك أكثرهم في معرفته)<sup>(١)</sup>.

فالغرض من التشبيه في كلام النبي ﷺ بيان المقدار، والتشبيه بجبل أحد المقصود منه تجسيد المشبه المعنوي في صورة محسوسة، فأحد من أعظم جبال المدينة، بل هو جبل يحبه النبي ﷺ ويحبّه المؤمنون، كما قال ﷺ: {أحدٌ جبلٌ يحبُّنا ونحبُّه}<sup>(٢)</sup>، فتشبيه عظمة الثواب الحاصل لمن صلّى على الجنائز وأتبعها، بجبل أحد له وقعٌ كبير في قلوب المؤمنين، كون المشبه به أمراً عظيماً ومحبوياً عندهم، فأثر هذا التشبيه في الدعوة إلى الله الحرص على اتباع جنائز المسلمين وحضور الصلاة عليها ودفنها؛ لأنّ الأسلوب المستخدم في الترغيب في هذا العمل هو تشبيهه بموادّ محسوسة عند المخاطبين يعرفون تفاضلها، وبذلك يكون قد أدّى التشبيه الغرض المقصود.

#### و- الدعوة إلى الصيام:

جاء في السنة الكثير من النصوص التي تبين فضل الصيام وتحتّ عليه، سواء الفرض منه والنفل، وتبين ما للصائم من الأجر العظيم عند الله يوم القيامة، فالصائم لا يردّ دعاؤه، وله فرحة في الدنيا بفطرة، وفرحة في الآخرة بصومه، ورائحة فمه أطيب عند الله من ريح المسك، وللصائم باب في الجنة خاص بهم يدخلون منه يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، والصوم وقاية للصائم من اللغو والذنوب، وهو يكفّر الذنوب، ويشفع لصاحبه يوم القيامة، ويباعد بينه وبين النار. ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: {الصيام جنة}<sup>(٣)</sup>.

نقل ابن حجر كلام العلماء في المقصود بالجنة في هذا الحديث، فقال (ذهب ابن الأثير إلى أنّ معنى كونه جنة أي يقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات، وقال القرطبي: جنة أي سترة، يعني بحسب مشروعيتها، فينبغي للصائم أن يصونه مما يفسده وينقص ثوابه، وقال القاضي عياض: معناه سترة من الآثام أو من النار أو من جميع ذلك، وقال ابن العربي: إنّما

(١) المصدر السابق، ٥٤/٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من غلبة الرجال، برقم ١٤٨١ ص ١٢٥/٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، رقم ١٧٦١.

كان الصوم جُنَّةً من النار؛ لأنه إمساكٌ عن الشهوات، والتَّار محفوفة بالشهوات. والحاصل أنه إذا كَفَّ نفسه عن الشهوات في الدنيا، كان ذلك ساتراً له من النار في الآخرة<sup>(١)</sup>. فحاصل كلام العلماء حول الحديث: أن النبي عليه الصلاة والسلام شَبَّه الصيام بالستر والمانع الذي يمنع صاحبه النار، والآثام والشهوات، والمخالفات، والمعاصي، وهذا البيان من جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام، وهو تشبيه بليغ، لا تسعه المحسوسات فهو فوقها، ولا تعيه المعقولات فهو أفسح منها وألطف، ففي الصوم جنة مما نعلم وما لا نعلم، وفي هذا البيان دعوةٌ للمسلم أن ييتم شطر الصوم حين يشعر أنه في حاجة إلى جنة من أي شيء يخافه على نفسه، ففي الصلاة لقاءً بالخالق، وفي الصوم وقاءً من المخلوق كله<sup>(٢)</sup>.

### ز - الدعوة إلى الذكر:

إنَّ ذكر الله عز وجل، من أعظم القربات، وأبرك الطاعات، وأكثرها، ثواباً وهو يصل العبد بربه، فينعم بالقرب والحبِّ والأنس فينعكس ذلك عليه تركية نفس، وتهذيب أخلاق استقامة سلوك، فذكر الله عز وجل منقبةٌ جليلة، ومكرمة عظيمة، وفضيلة، رفيعة، وقد جاءت الكثير من الآيات والأحاديث لحثَّ المسلم على الإكثار من ذكر الله، بل إنَّ الذكر من أفضل الأعمال وأزكاها عند الله سبحانه، قال عليه الصلاة والسلام: {ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم قالوا بلى، قال ذكر الله} <sup>(٣)</sup>.

وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب التشبيه في دعوة المؤمنين إلى ذكر الله، ومن ذلك قول الرسول ﷺ: {مَثَلُ الَّذِي يَذُكُرُ رَبَّهُ، وَالَّذِي لَا يَذُكُرُهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ} <sup>(٤)</sup>.

(فالنبي ﷺ يشبّه الذاكر لله بالحَيِّ، والتارك لذكره سبحانه بالمَيِّتِ، فكما أنَّ الحَيِّ تزيّن

ظاهره بنور الحياة وإشراقها فيه، وبالتصرف التام فيما يريد، وباطنه منورٌ بالعلم والفهم، فكذا الذاكر يزيّن ظاهره بنور العمل، وباطنه بنور العلم والمعرفة، وغير الذاكر ظاهره

(١) فتح الباري، ابن حجر، ص ١٠٤/٤.

(٢) انظر أثر التشبيه في تصوير المعنى، عبد الباري طه السعيد، ص ١٦٦.

(٣) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، برقم ٣٣٧٧، ص ٤٥٩/٥.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، برقم ٦٤٠٧، ص ٨٦/٨.

عاطل، وباطنه باطل) <sup>(١)</sup> فالذاكر بالإضافة إلى حياته الحسية هو حيٌّ حياة معنوية بما يفاض عليه من الخير والبركة والفضل، وبما يغشاه من التجليات الإلهية والأنوار الربانية، وبما ينعم به من سكينه نفسية، وطمانينة قلبية.

ومن أوجه تشبيهه الذاكر بالحيِّ، وتارك الذكر بالميت؛ لما في الحيِّ من النفع لمن يواليه، والضرر لمن يعاديه، وليس ذلك في الميت، كما أن الذاكر لربه حياته متصلة دائمة لا تنقطع بالموت، فهو حيٌّ وإن مات بحياة هي خير وأتم من حياة المقتول في سبيل الله، ومن لا يذكر الله ميت وإن كان في الدنيا بين الأحياء فإنه حيٌّ بالحياة الحيوانية، وجميع العالم حيٌّ بحياة الذكر فمثل الذاكر وغيره مثل الحي والميت <sup>(٢)</sup>، فكم من حيٍّ لا يذكر الله هو من الأموات، وكم من ميت كان لله ذاكرًا هو من الأحياء.

### ح- الدعوة للإنفاق في سبيل الله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَرْبِّيْهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يَرْبِي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ} <sup>(٣)</sup>.

النبي ﷺ يحثُّ المؤمنين في هذا الحديث الشريف على التصدَّق من المال الطَّيِّب وإن كانت صدقة قليلة تعدل تمرة، ويدلُّهم على عظم ثواب المتصدقين عند الله، ويعلمهم الجود والبذل والعطاء في سبيل الله، ويستخدم في سبيل ذلك تشبيهين:

الأول: شَبَّه النبي ﷺ نماء الصدقة من الكسب الطَّيِّب، ولو كانت بعدل تمرة، والتي تقع بيد الرحمن سبحانه وتعالى بتربية الفلوة، والفلوة هو المهر سُمِّي بذلك؛ لأنه فلي عن أمه، أي: فصل وعزل <sup>(٤)</sup> فكما يعتني صاحب المهر بمهره وينميه حتى يصير فرسًا، كذلك المولى سبحانه ينمِّي الصدقة.

(١) فيض القدير، المناوي، ٦٤٦/٥.

(٢) انظر فتح الباري، ابن حجر، ص ٢١١/١١ و فيض القدير، المناوي، ص ٦٤٧/٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، رقم ٢٣٨٩، ص ٨٥/٣.

(٤) انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ص ٤٥٥/٣.

الثاني: (شبه النبي ﷺ ثواب هذه الصدقة بعد أن يريه الله وينميه لعبده بأنه يصير كالجبل، أو تصير الصدقة نفسها كالجبل في العظم، فلا يزال نظر الله إليها يكسبها نعت الكمال حتى تنتهي بالتضعيف إلى نصاب تقع المناسبة بينه وبين ما قدم نسبة ما بين التمرة إلى الجبل، والظاهر أن المراد بعظمها: أن عينها تعظم لتثقل في الميزان، ويحتمل أن يكون ذلك معبراً به عن ثوابها) (١).

قال الكشميري: (ذكر فيه صورة التضعيف، يعني أنك إذا أنفقت في سبيل الله درهماً، فالله تعالى يريه لك حتى يكون رباه أضعافاً مضاعفة، فيضعفه شيئاً فشيئاً حتى يبلغ يوم الحشر إلى هذا القدر، فهو كترية الفلو، لا أنه يضعف لك دفعة واحدة، فافهمه، فإن تشبيهات الأنبياء عليهم السلام ليست بهينة، بل تبني على الحقائق، فهذه هي الحقيقة التي أريدت أن تكشف بها، ولعلك تفهم الآن ما لطف قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ﴾ (٢) فكما تدرج الحبة الواحدة إلى هذه الحبات، كذلك صدقتك تربي من عند الله، وتكون أضعافاً مضاعفة، حتى تبلغ نهايته بقدر الإخلاص، إلى ما شاء الله أن تبلغ) (٣).

فالنبي ﷺ أراد بهذا التشبيه تفهيم المخاطبين أن الصدقة التي تقع في كف الرحمن ينميه سبحانه لعبده أحسن نماء، ويضاعفها له أضعافاً مضاعفة، كما أن الواحد منهم يربي مهره ويتعاهده بالرعاية والعناية وكمال الاهتمام والمراقبة المستمرة، وما يزال سبحانه ينميهما إلى أن تصير أو ثوابها بوزن الجبل، وهذا الحديث وشبهه إنما عبر به على ما اعتادوا في خطابهم ليفهموا عنه، فكفى عن قبول الصدقة باليمين وعن تضيعف أجرها بالتربية (٤).

والبلاغة النبوية في هذا التشبيه تتجلى في انتقال الخيال من رؤية الصدقة وهي التمرة إلى رؤيتها مثل الجبل، ليقف الإنسان على عظيم الأجر الذي يكون للمتصدق ويبعث على

(١) فتح الباري، ابن حجر، ص ٣٢٨/٣.

(٢) سورة البقرة: ٢٦١.

(٣) فيض الباري شرح البخاري، الكشميري، ص ١٤٠/٤.

(٤) انظر فتح الباري، ابن حجر، ص ١/٥.

الصدقة، وعلى ألا يمنع المرء من الصدقة لقلة ما يقدر على بذله، واختيار عدل التمرة في بلد  
يكثر فيه التمر له دلالة الكبيرة في تصوير الصدقة القليلة<sup>(١)</sup>.

#### ط- الدعوة إلى بيان حرمة دماء المسلمين وأموالهم:

لقد كان العرب في الجاهلية متخبطين في عقائدهم، وأخلاقهم، وعباداتهم،  
وسياساتهم، فعبدوا الأصنام وجعلوها واسطةً بينهم وبين الله، وفي عباداتهم طافوا بالبيت  
عراً، وهامت كل قبيلة حول صنم تعظمه وتقده، وفي أخلاقهم استحلوا الخمر والزنا،  
ووأدوا بناتهم، وظلموا نساءهم، وفي سياساتهم تعصبوا لقبائلهم، وأغار بعضهم على بعض  
لأتفه الأسباب وأقل الأمور، وهذا دليل الاضطراب، والانحلال، والضلال<sup>(٢)</sup>.

(وكانت حياة العرب في الجاهلية حربيةً تقوم على سفك الدماء، وكأن إراقة الدم  
أصبحت سنةً من سنتهم، فهم دائماً قاتلون مقتولون لا يفرغون من دم إلا إلى دم،  
وكانت الحروب تبدأ صغيرةً ضعيفةً ثم تقوى ويصطلي الجميع بنارها، بل يترامون فيها  
ترامي الفراش فيه أمنيتهم ومبتغاهم)<sup>(٣)</sup>.

وعندما جاء النبي عليه الصلاة والسلام برسالة الإسلام إلى الناس، وضع أمور الجاهلية  
من الإحن والضغائن، والثارات، والأشياء التي كانت عند الجاهليين، وأسقط الدماء التي  
كانت في الجاهلية، وبعثه النبي ﷺ تحوّل العرب من ذلك المجتمع المتفكك الذي تسوده  
الجريمة والفساد، إلى مجتمع آمن مؤمن تسوده العدالة والمحبة والتآلف، ببركة دعوته المباركة  
التي أثمرت في نفوس العرب بالهداية، والاستقامة في العقيدة، وفي العبادة وفي الأخلاق، وفي  
المعاملات، وزرع في نفوس المسلمين حرمة الدماء، والأموال، والأنفس، والأعراض، بعد  
أن كانت في الجاهلية مستباحة، وقد استخدم النبي ﷺ جميع الوسائل لدعوة الناس إلى  
التخلي عن تلك العادات الجاهلية، وفي هذا الحديث يستخدم عليه السلام أسلوب التشبيه،  
للدعوة إلى معرفة حقّ المسلم على المسلم، وحرمة دمه، وماله، وعرضه.

(١) انظر أثر التشبيه في تصوير المعنى، عبد البارئ طه سعيد، ص ١٣٦.

(٢) انظر التغيير في حياة الأمم أحمد وعوامل الثبات والاهتزاز، محمد العسال، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة  
لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ص ٢٢٩/٨.

(٣) العصر الجاهلي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٣م، ص ٦٢.

فعن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قعد على بعيره، وأمسك إنسان بخطامه أو بزمامه فقال: {أي يوم هذا؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه، قال ﷺ: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى. قال: فأَيُّ شهر هذا؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: أليس بذي الحجة؟ قلنا: بلى. قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا. ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه} (١).

فشبه النبي ﷺ، دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم بيوم النحر وشهر ذي الحجة، من حيث الحرمة، إن الأسلوب المستخدم في إيصال هذه الحقيقة هو تشبيه حرمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم بحرمة يوم النحر وشهر ذي الحجة، وتعظيمهما مسلم به بين الناس، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾ (٢). ومعنى الحرم: (أن المعصية فيها أشد عقاباً، والطاعة فيها أكثر ثواباً، والعرب كانوا يعظمونها جداً حتى لو لقي الرجل قاتل أبيه لم يتعرض له... وإنما سُميت حرماً؛ لأنه كان يحرم فيها القتل والقتال، فهذه الأشهر الحرم لما حرم القتل والقتال فيها كانت حرماً) (٣).

قال القرطبي رحمه الله: (سؤاله ﷺ عن الثلاثة وسكوته بعد كل سؤال منها كان لاستحضار فهمهم، وليقبلوا عليه بكليتهم، وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه، ولذلك قال بعد هذا: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام... مبالغة في بيان تحريم هذه الأشياء) (٤).

وقال ابن حجر في الفتح: (مناط التشبيه في قوله ﷺ: كحرمة يومكم وما بعده: ظهوره عند السامعين؛ لأن تحريم البلد والشهر واليوم كان ثابتاً في نفوسهم، مقررّاً عندهم،

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، برقم ٧٦، ص ٢٧/١.

(٢) سورة التوبة: ٣٦.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي، ص ٤٥٤/٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، ص ١٠٧/١.

بخلاف الأنفس والأموال والأعراض فكانوا في الجاهلية يستبيحونها، فطراً الشرع عليهم بأن تحريم دم المسلم وماله وعرضه أعظم من تحريم البلد والشهر واليوم<sup>(١)</sup>.

### ي- التحذير من الخلوة بالنساء:

لما كانت المرأة مطمع الأنظار، حرص الإسلام عليها، وسعى في حفظها، وأمر بالاهتمام بها والقيام بشؤونها، ولذلك فإن المجتمع يعرف طهارته، وعفافه بطهارة وعفاف نساءه، ومن المعلوم أن المجتمع المنحل المتفكك مهتدٌ بالزوال والفناء، قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَمَرْزَنَاهَا تَدْمِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

فالشريعة قد حرمت الاختلاط، والخلوة بين النساء والرجال، وشددت على التحريم إذا أدى اجتماع الرجال بالنساء إلى ريبة وفساد، ووضعت ضوابط وشروط عند الاضطرار للاختلاط؛ حفظاً لطهارة المجتمع، وصيانةً للأعراض، ومن أجل ذلك وضعت قوانين وضوابط تحكم تعامل كل جنس بالآخر، حفاظاً على استقرار المجتمع وحفظاً لطهارته. قال ابن القيم رحمه الله: (وقد منع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه النساء من المشي في طريق الرجال، والاختلاط بهم في الطريق، فعلى ولي الأمر أن يقتدي به في ذلك، ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء سببٌ لكثرة الفواحش والزنا)<sup>(٣)</sup>.

وقد حذر النبي عليه الصلاة والسلام في كثير من الأحاديث من الخلوة بالنساء، ومن ذلك ما رواه عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: {إِيَّاكُمْ والدخول على النساء! فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمى قال: الحم الموت}<sup>(٤)</sup>.

(١) فتح الباري، ابن حجر، ص ١٠٧/١.

(٢) سورة الإسراء: ١٦.

(٣) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن القيم الجوزية، ت: أحمد الزعبي، دار الأرقم للطباعة، الأردن، ط ١، ٢٠٠١م، ص ٤٠٧.

(٤) صحيح البخاري، ٣٧/٧ كتاب النكاح، باب لا يجلون رجل بامرأة إلا ذو محرم والدخول على المغيبة، ٥٢٣٢.

قال النووي رحمه الله: (المراد في الحديث أقاربُ الزوج غير آباءه أو أبنائه؛ لأنهم محارم للزوجة يجوز لهم الخلوة بها، ولا يوصفون بالموت، قال: وإنما المراد الأخ وابن الأخ والعم، وابن العم، وابن الأخت وغيرهم ممن يحلُّ لهم التزوُّج بها لو لم تكن متزوجة، وجرت العادة بالتساهل فيه فيخلو الأخ بامرأة أخيه فشبهه بالموت، وهو أولى بالمنع من الأجنبي)<sup>(١)</sup>.

شبه النبي ﷺ في الحديث الحمو بالموت؛ لأنَّ الخوف منه أكثر من غيره، والشر يتوقَّع منه، والفتنة أكثر؛ لتمكُّنه من الوصول إلى المرأة والخلوة من غير أن ينكر عليه، وهذا من التشبيه البليغ الذي صور حقيقة دخول الحمو وخلوته في صورة الموت الذي يخشاه كلُّ أحد، وينفر من الاقتراب منه كلُّ الناس، وهو تصويرٌ مستمد من الاقتدار النبوي على النفوذ في حقائق الأشياء<sup>(٢)</sup>.

#### ك- تحريم اللعب بالنرد:

يرى الإسلام أنَّ الترفيه واللهو أمرٌ مشروع يحتاج إليه الفرد، بل هناك بعض أنواع من الألعاب، يحثُّ الإسلام عليها، لما فيها من تقوية الأجسام، واكتساب المهارات، وتنمية القدرات، كالحثُّ على الرماية، وركوب الخيل والسباحة.

إلا أنَّ الإسلام حرَّم بعض الألعاب التي قد تؤدِّي إلى أضرار للفرد والمجتمع، ومن هذه الألعاب التي حرَّمها الإسلام لعبةُ النرد، والنرد (لعبة ذات صندوق وحجارة وفصين تعتمد على الحظ، وتنقل فيها الحجارة على حسب ما يأتي به الفص (الزهر) وتعرف عند العامة بالطاولة)<sup>(٣)</sup>.

قال ابن منظور: (النردُ معروفٌ: شيءٌ يلعبُ به، فارسيٌّ معرَّب، وليس بعربي، وهو النردشير، فالنردُ اسمٌ عجمي معرَّب، وشير بمعنى حلو)<sup>(٤)</sup>. وقد جاءت عدَّة أحاديث في تحريم هذه اللعبة، ومن ذلك قول النبي ﷺ: {مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدِ شِيرٍ فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ حَتِيرٍ وَدَمِهِ}<sup>(٥)</sup>.

(١) فتح الباري، ابن حجر ٣٣١/٩ .

(٢) انظر أثر التشبيه في تصوير المعنى، عبد الباري طه سعيد، ص ٢٣٥-٢٣٦ .

(٣) المعجم الوسيط، دار المعارف، القاهرة، د. ط، ١٩٧٣ م، ص ٩١٢/٢ .

(٤) لسان العرب، ابن منظور، ص ٤٢١/٣ .

(٥) صحيح مسلم، كتاب الشعر، باب تحريم اللعب بالنردشير، برقم ٦٠٣٣، ص ٥٠/٧ .

فالنبي عليه الصلاة والسلام (يشبّه الذي يلعب بالنردشير بمن صبغ يده في لحم خنزير ودمه، والمعنى صبغ يده في لحم الخنزير ودمه في حال أكله منهما، وهو تشبيه لتحرّمه بتحريم أكلهما)<sup>(١)</sup>. فأكل لحم الخنزير مستقبح ومستقذر عند المسلمين، ويعلم جميع المسلمين حرّمته، وتشبيه لعب النرد بأكل الخنزير، الغرض منه: تحقير المشبه والتنفير منه، وتوضيح حرّمته كرحمة المشبه به.

ويذكر ابن القيمّ علة تحريم النرد فيقول: (علّة حرمة النرد لما يشتمل عليه في النفس من المفسد وإن خلا عن العوض فتحريمه من جنس تحريم الخمر، فإنه يوقع العداوة والبغضاء ويصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة، وأكل المال بالباطل وفيه عونٌ وذريعة إلى الإقبال عليه واشتغال النفس به،... فقرن الميسر بالأنصاب والأزلام وأخبر أنّ الأربعة رجس، وأنها من عمل الشيطان، ثمّ أمر باجتنابها وعلّق الفلاح باجتنابها، ثم نبه على وجوه المفسد المقتضية للتحريم وهي ما يوقعه الشيطان بين أهلها من العداوة والبغضاء، ومن الصدّ عن ذكر الله)<sup>(٢)</sup>.

#### ل- تحريم الصدقة على آل محمد ﷺ :

اتّفق جمهور العلماء على أنّ الصدقة والزكاة محرّمة على آل محمد ﷺ، وقد جاء ذلك في كثيرٍ من الأحاديث الشريفة، وآل محمد الذين تحرم عليهم الصدقة، هم آل العباس، وآل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وولد الحارث بن عبد المطلب، كما جاء في حديث زيد بن أرقم الذي رواه مسلم في صحيحه.

قال القرطبي: (ولا خلاف بين علماء المسلمين أنّ الصدقة المفروضة لا تحلّ للنبي ﷺ ولا لبني هاشم ولا لمواليهم)<sup>(٣)</sup>، وقد جاء هذا الحكم الشرعي في عدّة أحاديث منها ما رواه عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث قال: قال رسول الله ﷺ: (إنّ الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنّما هي أوساخُ الناس)<sup>(٤)</sup>.

فقوله عليه الصلاة والسلام: أوساخُ الناس فيه بيان لعلّة التحريم، والإرشاد إلى تنزيهه

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ص ٥٧/١٠.

(٢) الفروسية، ابن القيمّ الجوزية، تحقيق مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان، دار الأندلس، السعودية، حائل، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص ١٦٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص ١٩١ / ٨.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، با ترك استعمال آل النبي على الصدقة، برقم ٢٥٣٠، ٣/١١٨.

الآل عن أكل الأوساخ، وإنما سُمِّيَتْ أوساخاً؛ لأنها طهرةٌ لأموال الناس ونفوسهم<sup>(١)</sup>، كما قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالنبي ﷺ شبه في هذا الحديث الصدقة في تطهيرها لأموال لناس ونفوسهم بغسالة الأوساخ، والغرض من التشبيه: التنبيه على العلة في تحريمها على بني هاشم وبني عبد المطلب لكرامتهم وتزويهم، وفي هذا التشبيه دلالة على أن المرء يتطهر بالصدقة مما علق به من أوساخ معنوية ترين على قلبه، وأن هذه الصدقة لا تنتقص ماله بل تطهره وتزكّيه، وفيه دلالة على أن المرء لا يليق أن يتطلّع إلى أن يأخذ الصدقة إلا عند الحاجة، فعليه أن يعافها كما يعاف المرء شرب أوساخ الناس، فمن تصوّر ذلك وهو يأخذ الصدقة، أعرض عنها وعف<sup>(٣)</sup>.

(١) نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ، ص ١٨٥.

(٢) سورة التوبة: ١٠٣.

(٣) انظر أثر التشبيه في تصوير المعنى، عبد البارئ طه السعيد، ص ١٥٧.

## المبحث الثالث

### مجالات التشبيه في الدعوة إلى الأخلاق

إنَّ من مقاصد الإسلام الكبرى لدين الإسلام إتمامُ صالح الأخلاق وإكمالها، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>،

فالأخلاق جوهر الإسلام ولبّه وروحه السارية في جميع نواحيه، إذ إنَّ النظام الإسلامي على وجه العموم مبني على مبادئه الخلقية في الأساس، بل إنَّ الأخلاق هي جوهر الرسالات السماوية على الإطلاق، فالرسول ﷺ يقول: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)<sup>(٢)</sup> فالغرض من بعثته ﷺ هو إتمام الأخلاق، والعمل على تقويمها، وإشاعة مكارمها. فالأخلاق أمرها في الشريعة عظيم، وشأنها كبير، وحسن الخلق دين رب العالمين، وهدى سيّد البشر وخاتم النبيين، ولذلك قال الله تعالى في وصف النبي الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

(إنَّ الأخلاق الإسلامية أخلاقٌ تقويّ الإنسان وتقوّمه، بما تحمله من معانٍ سلبية وإيجابية، كالتجنّب عن الحرام، والإقبال على الحلال، والتجرّد عن الرذائل، والتحلّي بالفضائل. فالإسلام يعدُّ أنّ الأخلاق منهاج عملي، غايته التعاون في الحياة، واحترام القيم الإنسانية، وحسن المعاملة، وأنَّ مبدأها الأساسي يقوم على الإرادة والمسؤولية والجزاء)<sup>(٤)</sup>. والأخلاق في الإسلام ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة والشريعة، ففي جانب العقيدة يربط الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ بين الإيمان وحسن الخلق، ففي الحديث الشريف لما سئل الرسول ﷺ أيّ المؤمنين أفضل إيماناً؟ قال: {أحسنهم أخلاقاً}<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة: آل عمران: ١٦٤.

(٢) مسند الامام احمد، برقم ٨٥٩٥، ص ١٣٧/١٨.

(٣) سورة القلم: ٤.

(٤) كيفية مكافحة المفاسد الأخلاقية، هارون خليف جيلي، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد ٤، الدورة الرابعة، منظمة المؤتمر الإسلامي، جدة، ١٤١٨هـ، ص ٤/١٨٧٨.

(٥) سنن الترمذي، كتاب الرضاع، باب حق المرأة على زوجها، برقم ١١٦٢، ص ٣/٤٦٦.

والقاعدة الإيمانية في الإسلام تدفع المؤمنين بها إلى أن يتحلّوا بالفضائل الخلقية، وأن يتخلوا عن الرذائل، وأن يلتزموا في حياتهم كل سلوك خلقي تدعو إليه مكارم الأخلاق، وتعد على ذلك بالظفر برضوان الله واغتنام الأجر العظيم عنده سبحانه، وتحذّر من مغبة ممارسة الرذائل الخلقية المحظورة، وممارسة ظواهرها في السلوك، وتنذر بسخط الله، وبالعقاب الأليم عنده<sup>(١)</sup>.

كما أن تقوية معاني العقيدة الإسلامية في النفس يؤدّي إلى انفتاح النفس، وتقبّلها لمعاني الأخلاق الإسلامية؛ لأنّ هذه الأخلاق موصولة بالإيمان ومعاني التقوى كما قلنا، وهذه الصلة تشتدّ كلما قوي الإيمان في النفس، ورسخت العقيدة فيها، مما يجعل أخلاق المسلم الطيبة ثابتة راسخة لا تزول، ولا تضعف؛ لأنها موصولة بالقوي العزيز<sup>(١)</sup>.

وكما ربط الإسلام بين الأخلاق والإيمان، كذلك جعل الصلة عظيمة بين الأخلاق والشريعة، فالأخلاق ترتبط بالعبادة إذ إنّ العبادة روح أخلاقية في جوهرها؛ لأنها أداء للواجبات الإلهية، وكذلك ترتبط بالمعاملات وهي الشقّ الثاني من الشريعة الإسلامية بصورة أكثر وضوحاً، فنظام الأسرة وحقوق أفرادها وواجباتهم قائمة على مبدأ التعاون بين أفرادها وتوزيع المسؤوليات وفق مصلحة الجماعة كلّ بحسب وظيفته واستحقاقه، والتعاون مبدأ أخلاقي يدفع إليه الشعور بالحب تجاه الآخرين وكذلك الدافع الجماعي الذي يخفف من غلاء الأنانية الشخصية، وكلا الأمرين من الأسس الأخلاقية العامة<sup>(٢)</sup> فالأخلاق هي روح الإسلام، وتعاليم الشريعة الإسلامية هي تجسيد لهذه الروح الأخلاقية.

إنّ الدعوة إلى حسن الأخلاق هدف مهم من أهداف الدعوة الإسلامية، ركز عليها القرآن الكريم، وأيدها الرسول الكريم ﷺ في أقواله وأفعاله، وقد تضمّن القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة دستوراً للأخلاق والآداب في جميع مجالات ونشاطات الإنسان، فلم يترك جانباً منها إلا وكان لهما فيه توجيه وإرشاد، وقد جاء في الكتاب والسنة الكثير من النصوص التي استخدم فيها أسلوب التشبيه في الدعوة إلى مكارم الأخلاق، سنعرض فيما يأتي

(١) انظر الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حنيفة الميداني، ص ٢٤-٢٥.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٣٠/١.

لطائفة منها، وسنلقي الضوء على التشبيهات الواردة فيها، ونبيّن أثر هذا الأسلوب البياني، في الدعوة إلى الأخلاق الإسلامية من خلال هذه النصوص.

أولاً: في القرآن الكريم:

أ- الدعوة إلى الصبر:

الصبر من أعظم الأخلاق التي دعا إليها الإسلام، وهو خلق الأنبياء والمرسلين، وقد جعل الله صلواته ورحمته على الصابرين من عباده، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَدَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١١٩﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٢١﴾﴾<sup>(١)</sup>.

والصبر هو حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش، كخمش الوجوه، وشقّ الثياب عند المصيبة، والصبر يكون بالله والله ومع الله، فالصبر بالله هو الاستعانة به سبحانه فهو وحده المعين على الصبر كما قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup> والصبر لله هو أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله وإرادة وجهه، والتقرب إليه كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>، والصبر مع الله، هو (دوران العبد مع مراد الله الديني منه ومع أحكامه الدينية صابراً نفسه معها، سائراً بسيرها، مقيماً بإقامتها، يتوجه معها أين توجهت، فهذا معنى كونه صابراً مع الله أي قد جعل نفسه وقفاً على أوامر الله ومحابه، والصبر نصف الإيمان فإنه مرگب من صبر وشكر، كما قال بعض السلف: الإيمان نصفان: فنصف صبر، ونصف شكر)<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة البقرة: ١٥٥-١٥٧.

(٢) سورة النحل: ١٢٧.

(٣) سورة الرعد: ٢٢.

(٤) مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، ٣١٩٣هـ، ١٩٧٣م، ص ١٥٧/٢.

وقد دعا الله نبيه عليه الصلاة والسلام إلى الصبر في الدعوة إلى الله، فقال سبحانه مخاطباً نبيه عليه السلام: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>، ودعا سبحانه نبيه إلى الصبر مثلما صبر إخوته من الأنبياء من قبله، فقال سبحانه: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، (فالله سبحانه وتعالى يأمر نبيه المصطفى بأن يصبر صبراً شبيهاً بصبر أولي العزم من الرسل، وأولو العزم من الرسل هم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه، كما ذهب إلى ذلك جمهور المفسرين)<sup>(٣)</sup>.

القرآن الكريم يقصُّ علينا جهاد أنبياء الله، وصبرهم في تبليغ دعوة الله إلى عباده، وخاصة أولو العزم عليهم الصلاة والسلام، (وقد امتثل عليه أفضل الصلاة والسلام لأمر ربه فصبر صبراً لم يصبره نبي قبله حتى رماه المعادون له عن قوسٍ واحدة، وقاموا جميعاً بصدّه عن الدعوة إلى الله وفعلوا ما يمكنهم من المعادة والمخاربة، وهو ﷺ لم يزل صادعاً بأمر الله مقيماً على جهاد أعداء الله صابراً على ما يناله من الأذى، حتى مكّن الله له في الأرض، وأظهر دينه على سائر الأديان وأمته على الأمم)<sup>(٤)</sup>.

فغن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة، إن الله لم يرض من أولي العزم إلا بالصبر على مكروهاها، ولم يرض إلا أن كلفني ما كلفهم، فقال: (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) وإني والله لا بد لي من طاعته، والله لأصبرن كما صبروا، ولأجهدن، ولا قوة إلا بالله)<sup>(٥)</sup>.

## ب- الغضب لله:

الغضب طبيعة وفطرة بشرية فطرها الله سبحانه تعالى في بني آدم، وقد حذر منه رسول الله ﷺ في كثيرٍ من الأحاديث الشريفة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال

(١) سورة النحل: ١٢٧.

(٢) سورة الأحقاف: ٣٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص ٢٦٣/٣.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٧٨٣/١.

(٥) معالم التنزيل، البغوي، ص ٢٧٢/٧.

للنبي ﷺ أوصني، قال: (لا تغضب) فردّد مراراً، قال: {لا تغضب} (١)، وهذا النهي إنما ورد في الغضب المذموم وهو ما كان في سبيل الباطل والشيطان كالحمية الجاهلية ونحو ذلك. أمّا الغضب الحمود فهو ما كان في سبيل الله تعالى، عندما تنتهك حرّات الله، فقد وردت مواقف عدّة غضب فيها النبي ﷺ، رغم أنه كان يوصي الناس بعدم الغضب، وإنّما كان غضبه عليه الصلاة والسلام لله، وما كان يقول إلا الحقّ، وهذا النوع من الغضب هو علامة من علامات الإيمان، والذي لا يغضب عندما تنتهك حرّات الله فهو ضعيف الإيمان، قال تعالى عن موسى عليه السلام بعد أن اتخذ قومه العجل إلهاً: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمُ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۗ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۗ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ (٢).

(ولما سكن غضب موسى على قومه، وهدأت نفسه بتوبة أكثرهم، أخذ الألواح التي كتبت فيها التوراة، والتي كان ألقاها من شدة الغضب على عبادتهم العجل، غيراً لله وغضباً له، فوجد فيها هدى للحيارى، ورحمةً بالعصاة التائبين الذين يخافون من ربهم أشدّ الخوف على ما يصدر منهم من ذنوب، ويخشون عذابه وحسابه) (٣). قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن

مُوسَىٰ الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ۗ وَفِي نُسخِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ (٤).

(شبّهت الآية الكريمة الغضب بإنسان ثائر يرعد بصوته، طالباً الانتقام، ثم حذف المشبه به، وصرح بشيء من لوازمه وهو: سَكَتَ أي اختفى الصوت. وهو تشبيه لطيف رائع بليغ) (٥).

فتشبيه الغضب بالحرّض الملحاح داخل النفس يحرّض بكلامه على الثورة، فهيجان الغضب مثله كمثل صياح هذا الحرّض الملحاح، وسكون الغضب مثله مثل سكوته، ويلحظ

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، برقم ٦١١٦، ص ٢٨/٨.

(٢) سورة الأعراف: ١٥٠.

(٣) التفسير المنير، الزحيلي، ١١٠/٩.

(٤) سورة الأعراف: ١٥٤.

(٥) التفسير المنير، الزحيلي، ١٠٩/٩.

في هذا التشبيه دقة التصوير، والإيجاز البديع، ولوفرة عناصر التماثل نُزِلَ الممثل به متزلة الممثل له<sup>(١)</sup>.

ثانياً: في سنة النبي ﷺ :

أ- الدعوة إلى الكرم والجود:

السخاء خلق المسلم، والكرم شيمته، فالمسلم لا يكون شحيحاً ولا بخيلاً؛ إذ الشح والبخل خلقان ذميمان منشؤهما خبث النفس وظلمة القلب، والإسلام دعا إلى هذا الخلق الرفيع، فقد حَثَّ النبي الأكرم ﷺ في كثيرٍ من الأحاديث على الكرم، كما أن النبي الكريم الذي جعله ربنا سبحانه أسوةً حسنةً للمؤمنين، كان التجسيد الحي لهذا الخلق الإسلامي العظيم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: {كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فالرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة} <sup>(٢)</sup>.

شَبَّه ابن عباس رضي الله عنه كرم النبي ﷺ بالريح المرسلة، ووجه الشبه بين كرمه عليه السلام وبين الريح المرسلة هو: الإسراع وعموم النفع، وفي هذا التشبيه حضٌّ للمسلمين على الكرم ومعرفة عموم نفعه في كل وقت، مع تحريّ الأيام الفاضلة عن طريق تشبيهه بما يجسّون سرعة وعموم نفعه في حياتهم اليومية وهو الريح الطيبة<sup>(٣)</sup>.

قال ابن المنير: (وجه التشبيه بين أجوديته ﷺ بالخير وبين أجودية الريح المرسلة أن المراد بالريح ريح الرحمة التي يرسلها الله تعالى لإنزال الغيث العام الذي يكون سبباً لإصابة الأرض الميِّتة وغير الميِّتة، أي: فيعمّ خيره وبرّه مَنْ هو بصفة الفقر والحاجة، ومَنْ هو بصفة الغنى والكفاية أكثر مما يعمّ غيث الناس عن الريح المرسلة، وفي هذا جوازُ المبالغة في التشبيه، وجواز تشبيه المعنوي بالمحسوس، ليقرب لفهم سامعه، وذلك أنه أثبت له أولاً وصف

(١) انظر أمثال القرآن، عبد الرحمن حسن حبنكة، ص ١٥٢.

(٢) صحيح البخاري، باب كيف كان بدء الوحي، ص ٥٦/١ رقم ٢٣٦.

(٣) انظر من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، أحمد الحوفي، فمضة مصر، مصر، ط ١، د.ت، ص ٢٣.

الأجودية ثم أراد أن يصفه بأزيد من ذلك فشبّه جوده بالريح المرسله، بل جعله أبلغ منها في ذلك؛ لأنّ الريح قد تسكن<sup>(١)</sup>.

### ب- الدعوة إلى الأمانة:

الأمانة أجلُّ صفات المسلم التي تظهر بها ديانتها، ويتأكد بها إيمانه، فهي الفضيلة العظمى والمسؤولية الكبرى التي تصان بها الحقوق، وتُحفظ بها الواجبات من الضياع، إنها الفريضة التي يتواصى المسلمون برعايتها، ويستعينون بالله تعالى على حفظها، ولقد أمر الله عباده المؤمنين بالمحافظة على الأمانة وأدائها إلى أهلها، وأن يحكموا بين الناس بالعدل، وهذان أمران عظيمان لا تقوم الأمانة إلاّ بهما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد فرض الإسلام على المسلمين الأخذ بخلق الأمانة، وحرّم عليهم أن يسلكوا مسالك الخيانة، وقد جعل النبي ﷺ الخيانة علامة بارزة من علامات النفاق فقال: {آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان، وإن صلى وصام، وزعم أنه مسلم} <sup>(٣)</sup>.

وقد جاء التأكيد على هذا الخلق الإسلامي العظيم، والتحذير من الخيانة التي هي من صفات المنافقين في الكثير من الآيات والأحاديث النبوية، ومن ذلك ما حدّث به حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ حدّثهم عن رفع الأمانة فقال: {ينام الرجل النومة، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل الحجل، كجمر دحرجته على رجلك فنفظ، فتراه منتبراً وليس فيه شيء، فيصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحدهم يؤدّي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، ويقال للرجل: ما أعقله! وما أظرفه! وما أجدله! وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان.....} <sup>(٤)</sup>.

(١) فتح الباري، ابن حجر، ٦/١٤٠.

(٢) سورة النساء: ٥٨.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، برقم ٢٢٠، ص ١/٥٦.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان، برقم ٢٢، ص ١/١٣.

(حاصل هذا الخبر أنه أنذر برفع الأمانة، وأن الموصوف بالأمانة يسلبها حتى يصير خائناً بعد أن كان أميناً، فالنبي ﷺ يصف ما يبقى من الأمانة في قلوب الرجال إذا فسد الزمان، فيشبهه ما يبقى منها أولاً بالوكت: وهو السواد اليسير، ثم شبهه الباقي بالجل: وهو ما يصير في اليد من العمل بفأس أو نحوها، فيقال انتبر الجرح وانتفط إذا ورم وامتلاً ماء)<sup>(١)</sup>.

قال النووي: (يدلُّ هذا الحديث على أن الأمانة تزول عن القلوب شيئاً فشيئاً فإذا زال أول جزء منها زال نورها وخلفته ظلمته كالوكت، وهو اعتراض لون مخالف للون الذي قبله، فإذا زال شيء آخر صار كالجل هو أثر محكم لا يكاد يزول إلا بعد مدة، وهذه الظلمة فوق التي قبلها، ثم شبه زوال ذلك النور بعد وقوعه في القلب وخرجه بعد استقراره فيه واعتقاب الظلمة إيَّاه بجمرٍ يدحرجه على رجله حتى يؤثّر فيها، ثم يزول الجمر ويبقى التنفط، وأخذ الحصاة ودحرجته إيَّاه أراد بها زيادة البيان وإيضاح المذكور)<sup>(٢)</sup>.

ثم يصف النبي ﷺ، حال الناس في البيع والشراء، وكيف ترتفع الأمانة في الناس عندما يتبايعون حتى يمدح البائع الخائن عند الناس بما ليس فيه، ويعجب الناس به، وهو في الحقيقة عار عن الإيمان.

إنَّ استخدام النبي ﷺ لهذه الألفاظ في التشبيهات، فيها صورةٌ تمثيليةٌ بيانيةٌ رائعة لمراحل زوال الأمانة، وفيها بيان حال الناس حين يلجؤون باب الخيانة، فتزلُّ أقدامهم فلا ينتهون إلا في الدرك الأسفل من الضلالة، واستصغارهم لأمر الخيانة يتدرّج بهم في المهالك من الوكت إلى الجل إلى الجمر، حتى لا يبقى عندهم أثر للأمانة<sup>(٣)</sup>.

### ج- التحذير من الحرص على المال والشرف:

(لا شك أن المال ضرورةٌ في الحياة، فهو أحد الضروريات الخمس التي جاء الإسلام بالحفاظ عليها، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال)<sup>(٤)</sup>، والإنسان يحتاج المال في كافة شؤون حياته في طعامه، وشرابه، ومسكنه، ومنكحه، وملبسه، وبه يجلب الناس

(١) فتح الباري، ابن حجر، ص ٣٩/١٣.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ص ١٦٩/٢.

(٣) انظر أثر التشبيه في تصوير المعنى، عبد الباري طه سعيد، ص ٢٧.

(٤) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، المكتبة التوفيقية، القاهرة د.ت، ص ٦/٢.

مصالحهم ويستدفعون الضرر عن أنفسهم، وتقام به العبادات والمعاملات، وبه يتعفف الناس عن ذلّ السؤال.

إلا أنّ للإسلام نظرةً خاصةً في التعامل مع المال، فالمال في الإسلام مالُ الله، والإنسان مستخلف فيه، وهو وسيلةٌ من الوسائل وليس غايةً في حدّ ذاته، ولا ينبغي للمسلم أن يكون حرصه على المال أكثر من حرصه على الدّين، فقد ذمّ النبي ﷺ هؤلاء بقوله: {تعس عبد الدينار والدرهم والقטיפفة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض} (١).

ويلخص ابن عبد البر رحمه الله هذه النظرة الإسلامية للمال بقوله: (وجه ذلك كله عند أهل العلم، والفهم في المال المكتسب من الوجوه التي حرّمها الله ولم ييحها، وفي كل مال لم يطع الله جامعاً في كسبه، وعصى ربه من أجله وبسببه، واستعان به على معصية الله وغضبه، ولم يؤدّ حقّ الله وفرائضه فيه ومنه، فذلك هو المال المذموم والمكسب المشؤوم. وأما إذا كان المال مكتسباً من وجه مباح، وتأدّت منه حقوقه، وتقرّب فيه إلى الله بالإنفاق في سبيله ومرضاته، فذلك المال محمود، ممدوح كاسبه ومنفقه، لا خلاف في ذلك بين العلماء، ولا يخالف فيه إلا من جهل أمر الله) (٢).

وكذلك فإنّ الإسلام ذمّ الحرص على الشرف المنافي للأخلاق الإسلامية، كطلب الشرف بالولاية والسلطان والمال لمجرد علو المتزلة على الخلق، والتعاضم عليهم، فذلك يمنع خير الآخرة وشرفها، وكرامتها، وعزّها، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ أَدَارُ الْآخِرَةُِ جَعَلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣).

وأخطر من هذا طلب الشرف بالدين بأن يطلب العبد العلم للرياسة على الخلق والتعالي عليهم، وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه: {رجل تعلّم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما فعلت فيها؟ قال: تعلّمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلّمت العلم ليقال:

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال، برقم ٦٤٣٥، ص ٩٢/٨.

(٢) جامع بيان العلم وفضله، للحافظ ابن عبد البر، ت أبي الاشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٤هـ، ص ٣٧١/٢.

(٣) سورة القصص: ٨٣.

عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، حتى ألقي في النار<sup>(١)</sup>.

وقد ورد في السنة المطهرة كثيراً من النصوص التي تدم الحرص على الشرف والمال، ومنها ما رواه كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه)<sup>(٢)</sup>.

يشبه النبي ﷺ في هذا الحديث، الفساد الذي يحدثه حرص المرء على المال والشرف الذي يؤدّي إلى فساد دينه، بالفساد الذي يحدثه ذئبان جائعان في قطع غنم، فكيف يكون إفسادهما للغنم وقد أرسلا فيه، ولا حارس يصدّهما ولا راعي يذودهما، وقد عبّر النبي ﷺ عن هذا المعنى بصورة يتذوقها الصحابة رضوان الله عليهم أتمّ التذوق؛ لأنها مستمدة من واقعهم وبيئتهم<sup>(٣)</sup>.

قال المباركفوري: (أمّا المال فإفساده أنه نوعٌ من القدرة يحرّك داعية الشهوات، ويجرّ إلى التنعّم في المباحات فيصير التنعّم مألوفاً، وربما يشتدّ أنسه بالمال ويعجز عن كسب الحلال فيقتحم في الشبهات مع أنّها ملهية عن ذكر الله تعالى، وهذه لا ينفكّ عنها أحد، وأمّا الجاه فيكفي به إفساداً أن المال يبذل للجاه ولا يبذل للجاه للمال وهو الشرك الخفي، فيخوض في المراءاة والمداهنة والنفاق وسائر الأخلاق الذميمة، فهو أفسد وأفسد<sup>(٤)</sup>)، والتعبير بالذئب إشارة إلى الذئب المعروف بالافتراس والإفساد، والتثنية بذئبين للإشارة إلى ما يحدثه ذئب واحد من فساد، فكيف بذئبين اثنين، وتشبيه النبي ﷺ، الفساد المترتب على الحرص في المال والشرف، بفساد الذئب الذي تحدثه عندما تدخل قطعان الغنم، هو تشبيهه لأمر نفسي معنوي بشيء حسّي، يعرفه الناس وله وقع في النفوس.

(١) صحيح مسلم، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، برقم ٥٠٣٢، ص ٤٧/٦.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الزهد، برقم ٢٣٧٦، ص ٥٨٨/٤.

(٣) انظر التصوير الفني في الحديث النبوي، محمد الصباغ، ص ٤٧٦.

(٤) تحفة الأحوذوي، المباركفوري، ص ١٦٢/٦.

## د- الدعوة إلى الإحسان للزوجة:

من آيات الله أن جعل بين الزوجين مودةً وهي المحبة، ورحمةً وهي شفقة أحدهما على الآخر، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٦﴾<sup>(١)</sup> وتحقيقاً لتلك المودة والرحمة وسكون أحد الزوجين إلى الآخر، جعل الله لكل منهما حقوقاً على الآخر إذا قام بها كل منهما تحققت لهما العشرة الطيبة، ومن حقوق الزوجة على زوجها العشرة الحسنة، واللطف، واللين معها، وعدم إغلاظ القول لها، والصبر على ما قد يبدر منها في بعض الأحيان، كما ينبغي للزوج عندما يرى منها ما لا يرضاه، أن يذكر إلى جانب ذلك صفاتٍ أخرى تعجبه منها.

وقد كان النبي ﷺ في تعامله مع نسائه أمهات المؤمنين مثلاً وقدوةً في حسن معاشرتهن والإحسان إليهن، وقد وردت الكثير من الأحاديث الشريفة الحاتة على حسن معاملة الزوجة، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: {إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتهما، وكسرها طلاقها}<sup>(٢)</sup>.

يشبه النبي ﷺ (المرأة بالضلع في الانحناء والاعوجاج، ويوضح وجهة الشبه فيقول: (إذا ذهبت تقيمها كسرتهما، وإن تركتها استمتعت بها وفيها عوج)، وهذا تشبيه حال بحال: يشبه حال المرأة في صعوبة إقامتها على الجادة، واحتفاظها بذلك، بحال الضلع في استعصائه على أن يستقيم، وأن نفعه في أخذه على ما خلق، فذلك جبلة وخلقة وما كان كذلك فالحكمة الانتفاع به على ما جبل عليه)<sup>(٣)</sup>.

(في هذا الحديث ملاطفة النساء، والإحسان إليهن، والصبر على عوج أخلاقهن، واحتمال ضعف عقولهن، وكراهة طلاقهن بلا سبب وأنه لا يطمع باستقامتها)<sup>(٤)</sup>، فعلى الرجل أن يحسن إلى الزوجة في مداراتها، واستمالتها بالحديث اللين، والوعود الواسعة،

(١) سورة الروم: ٢١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، ٣٧١٧، ص ١٧٨/٤ .

(٣) أثر التشبيه في تصوير المعنى، عبد البارى طه سعيد، ص ١٩٠.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ص ٥٧/١٠.

واللطف معها، والإحسان إليها، حتى إذا سكنت نفسها، واطمأنت عادت إلى إحسانها له، مبتهجةً راضية، ووجد هو في قربها السكينة والمودة.

#### هـ - الدعوة إلى الوحدة والتعاقد بين المسلمين:

دعا الإسلام إلى مبدأ الوحدة الإسلامية، وغرس بين المسلمين مبادئ الإخاء والصدق والإخلاص، فالإسلام يغذي أتباعه دائماً وأبداً بأنهم إخوة في دين الله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾<sup>(١)</sup> وقد تجلّى ذلك بشكلٍ لا مثيل له في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار؛ حيث ضرب أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار أروع مَثَلٍ في الإخاء، حتى أثنى عليهم ربُّ العزة في كتابه الكريم بقوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد كان النبي ﷺ حريصاً من بداية بعثته الشريفة على زرع مفاهيم الأخوة والوحدة بين المسلمين، ومن ذلك تشبيه النبي ﷺ المسلمين بالبنيان المرصوص، فعن أبي موسى عن رسول الله ﷺ قال: {المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً}<sup>(٣)</sup>. فالمؤمنون في تعاونهم وتراحمهم كالجدار الذي تجتمع لبناته لتشكّل فيما بينها وحدة متماسكة مترابطة، فكما أن تراص البنيان وتقاربه يسدّ ضعف.

بعض أجزاء البنيان، أو ما يعتره من خلل، فكذلك الألفة والمحبة والتراحم والتعاون والتناصح يسدّ الخلل الذي قد يحدث من خطأٍ وتقصير بعض المسلمين، ويساعد في إصلاحه ومعالجته مما يشجعهم على التصدّي لعدوهم الحقيقي، أمّا أسباب التنازع فإنها تؤدي إلى الفشل كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الحجرات: ١٠.

(٢) سورة الحشر: ٨ - ٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب تشييب الأصابع في المسجد وغيره، ص ٢٨٩/٢.

(٤) سورة الأنفال: ٤٦.

---

---

## الفصل الرابع

**ضوابط التشبيه في الدعوة إلى الله وأوجه**

**الاستفادة منه في العصر الحاضر**

**المبحث الأول: ضوابط التشبيه في الدعوة إلى الله تعالى.**

**المبحث الثاني: أوجه الاستفادة من التشبيه في الدعوة**

**إلى الله في العصر الحاضر.**

## المبحث الأول

### ضوابط التشبيه في الدعوة إلى الله تعالى

من المعلوم بدهاء أن لكل تشبيه أركاناً أربعة تدلُّ عليها ألفاظٌ تذكر في التشبيه، وقد يجذف بعضها لغرضٍ بياني، وهذه الأركان هي: المشبه، والمشبّه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه، ووجه الشبه هو ما لوحظ عند التشبيه اشتراك المشبه والمشبّه به في الاتّصاف به، من صفة أو أكثر، ولو لم يتساويا في المقدار<sup>(١)</sup>.

وإنّ التشبيه كفنٌ من فنون البلاغة له صفات ينبغي أن تتوافر فيه، فليس كل تشبيه أو تمثيل هو من صور الأدب الرفيع، فربّ تشبيه أو تمثيل يتزل من قيمة الكلام أدبياً وبلاغياً ولا يرفعه، وربما يهوي به إلى الحضيض، وتمثّل التشبيهات القرآنية والنبوية، النموذج الأرقى لهذه التشبيهات<sup>(٢)</sup>، وقد وضع علماء البلاغة ضوابط للتشبيه، سنتناول أهمها من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: استخدام نوع التشبيه الملائم للسياق.

المطلب الثاني: ظهور المشبه به في وجه الشبه عن المشبه، في ذهن المخاطب.

المطلب الثالث: عدم تساوي المشبه والمشبّه به في كلّ الوجوه.

(١) البلاغة العربية، أسسها، وعلومها، وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة، ج٢، دار القلم، دمشق، ١٤٢٦هـ،

١٩٩٦م، ص ١٦٣.

(٢) المصدر السابق، ص ١٧١.

## المطلب الأول: استخدام نوع التشبيه الملائم للسياق:

إن التناسق والتلاؤم بين آيات القرآن الكريم لونٌ من ألوان إعجاز القرآن الكريم، الذي بلغ من ترابط سورته، وأجزائه، وتماسك كلماته وجمله وآياته مبلغاً لا يدانيه فيه كلام آخر، ولما تحدى القرآن فصحاء العرب كلَّ ألسنهم عندما وجدوا في كتاب الله سبحانه هذا الاتساق العظيم، والإحكام العجيب، وقد تحدّث العلماء كثيراً في مسألة التناسق والتناسب بين آيات وسور القرآن الكريم، ويبيّن برهان الدين البقاعي رحمه الله المقصود بهذا الجانب الإعجازي في القرآن الكريم بقوله: (الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيم على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة)<sup>(١)</sup>.

وهذا التناسق والتناسب يشمل جميع آيات القرآن وأسانيه، ولذلك نجد تشبيهات القرآن الكريم من أبلغ التشبيهات وأعذبها وأدقها، خلافاً لما نجد من صور التشبيه عند بعض الأدباء والشعراء في القديم والحديث التي وجّهت لها سهام النقد من علماء البلاغة، فكلام الله سبحانه لا يدانيه كلام، ويليه كلام رسوله عليه الصلاة والسلام، فهو سيّد البلغاء والفصحاء، وكلامه وحيٌّ من الله سبحانه وتعالى.

وقد قرّر علماء البلاغة (أنّ التفاعل بين طرفي الصورة التشبيهية وملاءمتها لحال الخطاب من أهم عناصرها الفنية، وأغراضها النفسية، ولكي يكون التشبيه صادقاً في التعبير عن المشاعر الوجدانية، متفاعلاً معها، وجب أن يتفاعل طرفاه، بأن يكون المعنى المراد التشبيه به حسياً كان أو مجرداً، صادقاً في التعبير عن المعنى المراد تشبيهه، ومرآة تعكس بصدق أبعاده

(١) نظم الدرر في تناسبات الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية،

بيروت، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ١/١٠.

النفسية، ومشاعره الوجدانية، وآفاقه النفسية، حتى يتمكن من التأثير في نفس المتلقي، وتحريك انفعالاته المناسبة<sup>(١)</sup>.

إنَّ حسن التشبيه وبلاغته لا تتأتى إلا من جودة الصياغة اللغوية، بحسن ترتيب اللفظ أو معناه، وتناسقه الدلالي، فالتشبيه التمثيلي كأسلوب من أساليب البلاغة في حاجة إلى الجملة، ووجه الشبه فيه منتزَعٌ من مجموع تلك الجمل، مما يحتم أن يكون الكلام متلاحماً كأنه جملة واحدة، ولذلك نجد أن لكل تشبيه في الكتاب والسنة هيئةً وصورةً يميِّز بها، وهي تتلاءم وتتناسق مع السياق الذي ورد فيه؛ لأنَّ جزءاً كبيراً من بلاغة التشبيه، ودقائق معانيه هي من معطيات هذا السياق<sup>(٢)</sup>.

ولبيان الملاءمة والتناسق في أسلوب التشبيه في الكتاب والسنة، يحسن بنا أن نذكر أمثلةً على ذلك حتى يتضح المقصود به، إننا نرى القرآن الكريم عندما يتحدث عن الحياة الدنيا وأحوالها، يتناولها في كثيرٍ من الآيات من خلال أسلوب التشبيه الذي يجلي حقيقتها للناس، فيقول سبحانه في سورة الكهف: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝١٨﴾<sup>(٣)</sup>.

ويقول سبحانه في سورة الحديد: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۗ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَبًا ۗ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۝٢٠﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) التشبيه والاستعارة منظور مستأنف، يوسف أبو العدوس، ط ١، دار المسيرة، عمان، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٧م، ص ٩١.

(٢) انظر أسرار البلاغة، الجرجاني، ص ١٠٨ وأسرار التنوع في تشبيهات القرآن الكريم، ملك حسن بحش، ص ٧٨.

(٣) سورة الكهف: ٤٥.

(٤) سورة الحديد: ٢٠.

ويقول سبحانه في آية ثالثة في سورة يونس: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٠٦﴾ <sup>(١)</sup>.

فهذه التشبيهات القرآنية جميعاً تشترك في معنى واحد، وهو بيان حال الحياة الدنيا بأنها سائرةٌ إلى النهاية لا محالة، وأن نضارتها وزهوها الذي هي عليه متاعٌ قريب وعرضٌ زائل، وأن الإنسان مهما اغترَّ بها، وأخلد إليها وظنَّ أنه قادر عليها، فإنَّ حقيقتها ستنجلي له قريباً، ونهايتها الحتمية ستكون أقرب مما يتوقع، كما أن التشبيهات في هذه الآيات الكريمة التي تبين حال الدنيا تشترك في عناصر الصورة التشبيهية التي ترسمها الآيات، كالطر والنبات والفتاء الذي سيؤول إليه في النهاية. كما نجد في كل تشبيه في الآيات عناصر خاصة متلائمة مع السياق الذي وردت فيه، فإنَّ كل تشبيه فيها جاء مطابقاً لسياقه.

وهذا البناء البديع المحكم السبك، المتقن المتلاحم، الذي بني عليه التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم، وقد أفرغ إفراغاً واحداً، بحيث يرى وهو على حدِّ واحد من الاستواء والتلاحم والتحدُّر، آخذاً بعضه بحجز بعض ترى فيه كل تشبيه متميزاً بصورته وهيئته وسمته وملاححه عن صور التشبيه الأخرى، وإن كان يتحدُّ منها في الغرض والمعنى العام، إلا أنَّ كل تشبيه تمثيلي متميز بتناول جانباً من جوانب هذا المعنى العام لم يتناوله غيره <sup>(٢)</sup>.

ومن أسرار التناسق والتلاؤم أنَّ العناصر التي تكوَّنت منها صورة التشبيه التمثيلي للحياة الدنيا وهي الماء الذي اختلط بنبات الأرض، وما جرت عليه من أحوالٍ تعلَّقت به من مواصفات، وما آل إليه حاله بعد ذلك هي بعينها العناصر التي يمثَّل بها لقيام البعث في القرآن الكريم؛ لأنه لما كان المخاطبون في الأمثال السابقة مشركين منكرين للبعث، أو مؤمنين غافلين، أو منافقين كما في سورة الحديد، مثلت لهم الحياة الدنيا وقد مضت وفتت، لتؤكد

(١) سورة يونس : ٢٤ .

(٢) انظر أسرار التنوع في تشبيهات القرآن الكريم، ملك حسن بخش، ص ٧٨ .

وتقرّر الإيمان باليوم الآخر، فإذا البعث الذي ينكرونه أو يغفلون عنه مائلٌ لهم من بين حصيد الفناء<sup>(١)</sup>.

ولبيان هذا التلاؤم والتناسق في عرض الصورة التشبيهية، نستعرض الآيات الكريمة التي سبقت المثل القرآني الذي ضربه سبحانه للحياة الدنيا في سورة يونس، فعند التأمل لسياق الآيات في سورة يونس قبل عرض هذا التشبيه للحياة الدنيا وزينتها، يظهر كيف مهدّت الآيات السابقة لهذا المعنى، فيقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(فهؤلاء الكفار الذين تدعوهم الآية إلى اليقظة من غفلتهم بمعرفة حقيقة الدنيا، لا يأملون لقاء الله من خلال البعث والإحياء، وآثروا هذه الحياة الدنيا الفانية، واطمأنوا إليها، وانكبوا عليها قاصرين مجامع همهم على لذائذها وزخارفها)<sup>(٣)</sup> ثم يقول ربنا في آية بعدها: ﴿فَنَذِرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾<sup>(٤)</sup> فهذا استدراجٌ منه سبحانه لهؤلاء الكافرين الذين لا يرجون لقاءه سبحانه، حتى يظن أنه محلّد في هذه الدنيا، ثم يأتيه العذاب بغتة، ثم يقول ربنا سبحانه في الآية التي بعدها: ﴿كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٥)</sup> (أي زين لهم ما كانوا يعملون من أعمال الشرك، والإعراض عن القرآن والعبادات، واتباع الشهوات، والمراد بالمزّين في قوله: (زين للمُسرّفين) هو الشيطان أو النفس)<sup>(٦)</sup>.

ثمّ يعقب سبحانه وتعالى في آيات بعدها بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ط حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَبَ بِكُمْ بَرِيحٌ طَيِّبَةٌ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُجِيتْنَا مِنْ

(١) المصدر السابق، ص ٨٢.

(٢) سورة يونس: ٧.

(٣) تفسير أبو السعود، أبي السعود محمد بن محمد العمادي، ص ١٢٢/٤.

(٤) سورة يونس: ١١.

(٥) سورة يونس: ١٢.

(٦) التفسير المنير، الزحيلي، ص ١٢٢/١١.

هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَتَأَيُّهَا  
النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ  
تَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ (١).

فتصف الآيات الكريمة حال الكافرين الجاحدين الذين يشركون بالله وقت الرخاء،  
وعند الشدة لا يجدون ملجأ إلا الله سبحانه، فيدعونه مخلصين له الدعاء والعبادة والتضرع،  
حتى ينجيهم، ثم إذا أنجاهم الله سبحانه من شدتهم عادوا إلى سالف عهدهم من الشرك بالله،  
فخانوا عهدهم ونقضوا ميثاقهم، وكفروا برهيم، وطغوا وبغوا بغير الحق.

وهكذا بعد هذا العرض في دعوة الناس للإيمان بالله وتوحيده وعدم الاغترار بالدنيا،  
يأتي التهديد والوعيد من رب العالمين بقوله سبحانه: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ  
أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢).

وبعد أن تمهد وتوطيء هذه الآيات الكريمة، يأتي التشبيه القرآني الدقيق لحال الدنيا من  
خلال المثل الذي ضربه الله سبحانه بقوله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ  
السَّمَاءِ فَآخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ  
زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيَّهَا أَتْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا  
حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣).

يقول عبد القاهر الجرجاني: (كثرت الجمل فيه، حتى إنك ترى في هذه الآية عشر  
جمل إذا فصلت، وهي وإن كان قد دخل بعضها في بعض حتى كأنها جملة واحدة، فإن ذلك  
لا يمنع من أن تكون صور الجمل معنا حاصلة تشير إليها واحدة واحدة، ثم إن الشبه منتزع  
من مجموعها، من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض وإفراد شطر من شطر، حتى إنك لو  
حذفت منها جملة واحدة من أي موضوع كان، أخل ذلك بالمعنى من التشبيه) (٤).

(١) سورة يونس: ٢٢ - ٢٣

(٢) سورة يونس: ٢٣.

(٣) سورة يونس: ٢٤.

(٤) أسرار البلاغة، الجرجاني، ص ١٠٩.

ويقول أبو حيان رحمه الله في تفسيره في تناسق السياق في عرض هذا المثل القرآني: (مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما قال: (يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا) ضرب مثلاً عجيباً غريباً للحياة الدنيا تذكّر مَنْ يبغى فيها على سرعة زوالها وانقضائها، وأما بحال ما تعزّ وتسرّ، تضحلّ ويؤول أمرها إلى الفناء)<sup>(١)</sup>.

وقال الرازي في تفسيره للآية الكريمة: (اعلم أنه تعالى لما قال: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾<sup>(٢)</sup> أتبعه بهذا المثل العجيب الذي ضربه لمن يبغى في الأرض ويعتدّ بالدنيا، ويشتدّ تمسكه بها، ويقوي إعراضه عن أمر الآخرة والتأهب لها<sup>(٣)</sup>. وقال البقاعي رحمه الله: (ولما كان السياق لإثبات البعث وتخويفهم به وكانوا ينكرونه، ويعتقدون بقاء الدنيا، وأما إنما هي أرحام تدفع، وأرض تبلغ دائماً بلا انقضاء فهي دارٌ يرضى بها فيطمئن إليها، وللتنفير من البغي والتعزّز بغير الحقّ، وكانت الأمثال أجلى لمحال الأشكال، قال تعالى مثلاً لمتاعها قاصراً أمرها على الفناء ردا عليهم في اعتقاد دوامها من غير بعث)<sup>(٤)</sup>.

وانظر في تشبيه أعمال الكافرين في قوله سبحانه: ﴿أَوْ كَظُلُمْتُمْ فِي تَحْرِيرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمْتُمْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرْنَاهُ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾<sup>(٥)</sup>.

فقد ذكر العلماء وجوهاً للتناسق والتناسب في التشبيهات التي جاءت في الآية الكريمة وسياقها، قال الفخر الرازي رحمه الله: (اعلم أنه سبحانه لما بيّن حال المؤمن، وأنه في الدنيا يكون في النور وبسببه يكون متمسكاً بالعمل الصالح، ثم بيّن أنه في الآخرة يكون فائزاً بالنعيم المقيم والثواب العظيم، أتبع ذلك بأن بيّن أن الكافر يكون في الآخرة في أشدّ الخسران، وفي الدنيا في أعظم أنواع الظلمات، وضرب لكل واحد منهما مثلاً)<sup>(٦)</sup>.

(١) البحر المحيط، أبو حيان، ص ١٤٤/٥.

(٢) سورة يونس: ٢٣.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي، ص ٢٦٢/٨.

(٤) نظم الدرر، البقاعي، ص ١٠١/٩.

(٥) سورة النور: ٤٠.

(٦) مفاتيح الغيب، الرازي، ص ٧/٢٤.

قول الزمخشري: (شبه أعمالهم أولاً في فوات نفعها وحضور ضررها، بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئاً، ولم يكفه خيبة وكمداً أن لم يجد شيئاً كغيره من السراب، حتى وجد عنده الزبانية تعتله إلى النار، ولا يقتل ظمأه بالماء، وشبهها ثانياً في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة، وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لُج البحر والأمواج والسحاب)<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عاشور: (لما جرى ذكر أعمال المتقين من المؤمنين وجزائهم عليها بقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٦٦﴾ رِجَالٌ ﴿٦٧﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٦٨﴾﴾<sup>(٢)</sup> أعقب ذلك بضده من حال أعمال الكافرين التي يحسبونها قربات عند الله تعالى وما هي بمغنية عنهم شيئاً)<sup>(٣)</sup>.

وهكذا نرى أن هذه الآيات كأنها إيقاعات، أو ضربات متواليات متناسقات تتلاءم وتتلاحم مع السياق، فيشتد ويقوى وتتكاثر معانيه، وتفيض وتكون من الغزارة والوفرة بحيث لا يحيط بها ويبين عنها إلا ضرب الأمثال وقيامها، فترى بداية كل مثل فضلاً عن أنها تتناسق مع السياق من جانب الإيقاع الخارجي وطريقة النظم، فإنها أيضاً تتلاءم مع المعنى الذي سبقت له<sup>(٤)</sup>.

وبعض الدراسات البلاغية الحديثة تجعل التناسب النفسي بين طرفي التشبيه ضرورة لقبول التشبيه، فهي لا تكفي بتحديد الجامع بين الطرفين إذا كان هذا الجامع في الحركة وحدها أو في الشكل وحده، وإنما تشترط التناسب مما يثيره كل طرف من خواطر وصور في النفس<sup>(٥)</sup>.

ويوجه هذا الفريق سهام نقده للتشبيه عند القدماء من علماء البلاغة، ومن هؤلاء الدكتور أحمد بدوي، الذي يقول: (أرى واجباً علي قبل الحديث عن التشبيه في القرآن الكريم أن أتحدث قليلاً عن بعض نظرات الأقدمين في هذا الباب لا أوافقهم عليها، ولا أرى

(١) الكشف، الزمخشري، ص ٢٤٩/٣.

(٢) سورة النور: ٣٦ - ٣٨.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص ٢٥٠/١٨.

(٤) انظر أسرار التنوع في تشبيهات القرآن الكريم، ملك حسن بنخش، ص ٧٩.

(٥) انظر التشبيه التمثيلي في الصحيحين، فائزة سالم صالح يحيى أحمد، ص ٦٤.

لها قيمة في التقدير الفني السليم.... فما اعتمد عليه القدماء في عقد التشبيه العقل، يجعلونه رابطاً بين أمرين أو مفرقاً بينهما وأغفلوا في كثير من الأحيان وقع الشيء على النفس وشعورها به سروراً وألماً<sup>(١)</sup>.

ويستشهد لذلك بقول ابن الرومي:

بذل الوعد للأخلاء سَمْحاً      وأبى بعد ذلك بذل العطاء  
فعدا كالخلاف يورق للعي      ن ويأبى الإثار كل الإباء  
ويعلق على هذا التشبيه بقوله: (جعلوا الجامع بين الأمرين جمال المنظر وتفاهة المخبر، وهو جامع عقلي كما ترى، لا يقوم على تشبيه في صحيح، وذلك أن مَنْ يقف أمام شجرة الخلاف أو غيرها من الأشجار لا ينطبع في نفسه عند رؤيتها سوى جمالها ونضرة ورقها وحُسن أزهارها، ولا يخطر بباله أن يكون لتلك الشجرة الوارفة الظلال ثمراً يجنيه أو لا يكون، ولا يقلل من قيمتها لدى رائيتها، ولا يحط من جمالها أو جلالها، ألا يكون لها بعد ذلك ثم شهبي، فإذا كانت تفاهة المخبر تقلل من شأن الرجل ذي المنظر الأنيق، وتعكس صورته منتقصة في نفس رائيه، فإنَّ الشجرة لا يقلل من جمالها لدى النفس عدم إثمارها، وبهذا اختلف الوقع لدى النفس بين المشبهة والمشبه به، ولذلك لا يعد من التشبيه الفني المقبول)<sup>(٢)</sup>.

والواقع أن الملائمة النفسية لها سياقها الذي يقتضيها وقد يجري التشبيه غير ملتفت إليها ويكون تشبيهاً قوياً؛ لأنَّ السياق لا يقتضي هذه الملائمة، ولذلك نجد بعض تشبيهات الكتاب والسنة، خالية من هذه الملائمة النفسية دون أن يفقد التشبيه قوته وجماليته، ومثال على ذلك قول النبي ﷺ: {إنَّ الإيمان ليأزر إلى المدينة، كما تأزر الحية إلى جحرها}<sup>(٣)</sup>.

فنجد في أحد طرفي التشبيه وهو الإيمان معنى الأمن والطمأنينة والسلام، وفي المدينة معنى الظهر والقداسة والجلال، ونجد في الطرف الثاني وهو الحية معاني الخبث والمكر، وقد شبّه الحديث عودة الإيمان بالحية من جهة معينة، وهو رجوعها إلى جحرها بعد انتشارها<sup>(٤)</sup>.

(١) من بلاغة القرآن، أحمد بدوي، ص ١٨٧.

(٢) المرجع سابق، ص ١٨٨.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، ١/١٩٠، رقم ٣٩١.

(٤) انظر التشبيه التمثيلي في الصحيحين، فائزة سالم صالح يحيى أحمد، ٣٦٤.

---

---

وفي تشبيه آخر يشبه النبي ﷺ المنافق الذي يقرأ القرآن رياءً بالريحانة، فالريحانة ذات عطر فوّاح تستحسنه النفوس، وفي المنافق معنى الخبث والرياء، والجامع بين الطرفين في التشبيه السابق لا صلة له بإيجاءات كل طرف، ولذلك عبّر الحديث بقوله: (ريحها طيب، وطعمها مرّ). فنلاحظ تخلف الملائمة النفسية في هذه التشبيهات ومع ذلك يبقى التشبيه في قمة أدائه وتأثيره<sup>(١)</sup>، وبهذا يظهر أنّ الملائمة النفسية ليست ضرورةً لبلاغة التشبيه، فقد توجد متوافقة في الطرفين وقد تتخلف ويقوم التشبيه بدونها.

---

(١) انظر المرجع السابق، ص ٣٦٥.

## المطلب الثاني: عدم تساوي المشبه مع المشبه به في كل الوجوه:

حتى تتحقّق أغراض التشبيه، ينبغي أن تتحقّق الملاءمة بين المشبه والمشبه به، وأن تكون واضحة، فإذا كان المشبه عظيمًا وجب أن يكون المشبه به كذلك، وإذا كان حقيرًا وجب أن يكون المشبه به كذلك<sup>(١)</sup>.

فالمشابهة بين المشبه والمشبه به هي مماثلة في بعض الأوصاف دون كل الأوصاف، فالوصف الذي يشترك فيه الطرفان قد يكون أقوى في المشبه به من المشبه، فيشبهه الغريب بالأعرب، يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٢)</sup>، فإن قيل: كيف شبهه به وقد وجد من غير أب؟ ووجد آدم من غير أب وأم؟

يجيب صاحب الكشف على ذلك بقوله: (قلت ومثله في إحدى الطرفين، فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به؛ لأنّ المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف، ولأنه مشبه به؛ لأنه وجد وجوداً خارجاً عن العادة المستمرة، وهما في ذلك نظيران، لأنّ الوجود من غير أب وأم أعرب وأخرق للعادة من الوجود بغير أب، فشبهه الغريب بالأعرب؛ ليكون أقطع للخصم، وأحسم لمادة شبهته، إذا نظر فيما هو أعرب مما استغربه)<sup>(٣)</sup>.

(ووجه الشبه هو ركن من أركان التشبيه، مشترك بين طرفي التشبيه، فوجه الشبه هو المعنى المشترك بين الطرفين، الجامع لهما في قصد المتكلم، ولا بد من وجوده في الطرفين تحصيلًا للفائدة)<sup>(٤)</sup>، فحينما يوقع المتكلم تشبيهاً بين شيئين، يراعي معنى خاصاً قصد اشتراك الطرفين فيه، فليس مراداً له الاتفاق في جميع الوجوه، لان ذلك يقضي بعدم التعدّد فيصبح الطرفان شيئاً واحداً عبّر عنه بعبارتين، إذا تشبيه الشيء لا يكون إلا وصفاً بمشاركته المشبه به في أمر من الأمور، وإلا لو كان نفس المشبه به لكان من قبيل الترادف أو الاشتراك. كذلك ليس مراداً له الاختلاف في جميع الصفات؛ لأنه لا يمكن التشبيه مع التخالف التام

(١) انظر الكشف، الزمخشري، ص ٤٠٤.

(٢) سورة آل عمران : ٥٩ .

(٣) الكشف، الزمخشري، ص ٣٩٤/١.

(٤) فن التشبيه، علي الجندي، ١١٤.

لفقد الجامع بينهما، والتشبيه في جوهره ربط وتأليف، لذلك كان لا بد من الاختلاف في بعض الجهة، والاشترار في بعضها؛ لأنَّ الاشتراك في جميع الوجوه، أو الاختلاف من جميع الوجوه لا يتسنى به تشبيهه<sup>(١)</sup>.

(وإذا كان علماء البلاغة قد اتفقوا على أنَّ التشبيه جمعٌ بين طرفين مختلفين بينهما اتفاقاً ما، لانعدام الاشتراك بين الشئيين في وجه من الوجوه يمنعك محاولة التشبيه بينهما)<sup>(٢)</sup> إلا أنهم اختلفوا في تحديد مساحة الاتفاق القائمة بين الطرفين ونوعها. فيرى الخفاجي أنَّ من صحة التشبيه أنَّ يكون أحد الشئيين مثل الآخر في بعض المعاني والصفات، ولن يجوز أن يكون أحد الشئيين مثل الآخر من جميع الوجوه حتى لا يعقل بينهما تغاير ألبتة، لأنَّ هذا لو جاز لكان أحد الشئيين هو الآخر بعينه، وذلك محال، كما يرى الخفاجي أنَّ الأحسن في التشبيه أنَّ يكون أحد الشئيين يشبه الآخر في أكثر صفاته ومعانيه، وبالضدَّ حتى يكون رديء التشبيه ما قلَّ شبهه بالمشبه به<sup>(٣)</sup>.

فيما يرى العسكري أنَّ صحة التشبيه تكون إذا شابه الشيء الشيء (من وجه واحد)<sup>(٤)</sup>. أمَّا ابن رشيق (فقد استحسن مثل هذه التشبيهات على نحو يجعلها تتساوى في القيمة مع التشبيهات التي تتشاكل أطرافها من جهات كثيرة)<sup>(٥)</sup>.

إنَّ الأديب المبدع يتمتع بقوة الإدراك التي تمكنه من اكتشاف العلاقات بين الأشياء المتباعدة، فيتوسل بهذا الاكتشاف لبناء صورته الفنية، وكثيراً ما يعوّل على التشبيه لإظهار العلاقة الجديدة بين طرفين يشتركان في بعض الأمور التي قد تكون ظاهرة فيسهل إدراكها، وقد تكون غير ظاهرة فتحتاج إلى تأمل وتأن، ويشير عبد القاهر الجرجاني إلى أنَّ أجود التشبيه ما كان بين الأشياء المتباعدة التي لا يلحظ المرء أوجه اتفاقها، ويعلل ذلك بأنَّ هذا النوع من التشبيه أكثر تأثيراً في النفوس؛ لأنه يمنحها المتعة بلذة الاكتشاف الجديد.

(١) انظر من بلاغة القرآن، أحمد بدوي، ص ١٣٧.

(٢) مفتاح العلوم، السكاكي، ص ٣٣.

(٣) انظر سر الفصاحة، عبد الله بن سنان الخفاجي، تحقيق علي فوده، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٥٠هـ، ١٩٣٢م، ص ٢٣٥.

(٤) انظر الصناعتين، العسكري، ص ٢٦١.

(٥) العمده، ابن رشيق، ص ٢٨٢.

وإذا ما عدنا إلى تشبيهات الكتاب والسنة لنرى العلاقة بين المشبه والمشبه به فيها،  
 نلاحظ عدم تساوي المشبه والمشبه به إلا في الوجوه التي يحتاجها التشبيه حتى يؤدي الغرض،  
 فانظر إلى التشبيه في قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ  
 نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا  
 أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي  
 الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (١).

(فليس المقصود من هذا التشبيه التسوية بين المشبه والمشبه به من كل الوجوه، ولا  
 يكون قتل النفس الواحدة قتلاً لجميع الناس، فإن الجزء لا يعقل أنه مساوٍ للكل، فالغرض من  
 هذا التشبيه استعظام أمر القتل العمد العدوان، واشتراك القتلين في استحقاق الإثم، والتحقيق  
 فيه أنه إذا أقدم على القتل العمد العدوان فقد رجح داعية الشهوة والغضب على داعية  
 الطاعة، وإذا ثبت الترجيح بالنسبة إلى واحد ثبت بالنسبة إلى كل واحد، بل بالإضافة إلى  
 الكل؛ لأن كل إنسان يدلي من الكرامة والحرمة بما يدلي به الآخر) (٢).

وعندما يشبه القرآن المنافقين بالخشب المسندة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ  
 أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشْبٌ مُّسْنَدَةٌ تَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ  
 الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْى يُؤَفَّكُونَ ﴾ (٣).

يورد بعد هذا الآية الكريمة ما ينافي هذا التشبيه وهو قوله تعالى: ﴿ تَحْسَبُونَ كُلَّ  
 صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ ﴾ (٤)، فكيف حصل تشبيه المنافقين الجبناء الذين امتلأت قلوبهم  
 بالرعب، بالخشب المسندة وهي لا تحس أصلاً، يردّ الفخر الرازي على ذلك بقوله: (لا يلزم  
 أن يكون المشبه والمشبه به يشتركان في جميع الأوصاف، فهم كالخشب المسندة بالنسبة إلى

(١) سورة المائدة: ٣٢.

(٢) غرائب القرآن، نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، لبنان،  
 ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م، ص ٣/ ١٥٥.

(٣) سورة المنافقون: ٤.

(٤) سورة المنافقون: ٤.

الانتفاع وعدم الانتفاع، وليسوا كالخشب المسندة بالنسبة إلى الاستماع وعدم الاستماع للنصيحة وغيرها<sup>(١)</sup>.

وفي قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾<sup>(٢)</sup>.

تعرض الآية حال المشركين الذين اتخذوا أنداداً من دون الله، يعظّمونهم ويحبّونهم ويطيعونهم، ويعبدونهم كتعظيم الله وحبّه وطاعته وعبادته، ولكنهم في هذا كله مضطربون حيارى، فقد يلجؤون إلى بشر، أو صنم، أو حيوان، ولا يتحقّق لهم بهم مأرب، وأنهم مع عجز الأصنام يحبّونهم كحبّ المؤمنين لله مع قدرته، أمّا اللجوء إلى الله وحده الذي لا إله غيره، ولا ندّ له، ولا شريك معه، فهو المحقّق للغاية؛ لأنّ الله هو صاحب السلطان المطلق، والقدرة الشاملة، والرحمة الواسعة، ولكن لا بد للعبد من اتخاذ الأسباب المساعدة على إجابة الدعاء، فمن قصر في اتخاذ الأسباب اعتماداً على الله فهو جاهل بالله، كما أنّ من التجأ إلى غير الله من الأصنام والأوثان فهو مشرك بالله تعالى<sup>(٣)</sup>.

(والتشبيه في قوله سبحانه: (كحبّ الله) مفيدٌ لمساواة الحبين، لأن أصل التشبيه المساواة، فمحبّة هؤلاء أندادهم مساويةٌ لمحبة محبي الله إيّاه، أي: مساوية في التفكير في نفوس الحبين من الفريقين، فيصحّ أن تقدّر يحبّونهم كما يجب أن يحب الله، أو يحبّونهم كحبّ الموحدّين لله إيّاه، أو يحبّونهم كحبّهم الله، والمراد إنكار محبتهم الأنداد من أصلها لا إنكار تسويتها بحب الله تعالى، وإنما قيّدت بمماثلة محبة الله لتشويهاها وللنداء على انحطاط عقول أصحابها، وفيه إيقاظٌ لعيون معظم المشركين وهم الذين زعموا أنّ الأصنام شفعاء لهم<sup>(٤)</sup>.

ثمّ قال سبحانه: (والذين آمنوا أشدّ حبّاً لله) (فالتشبيه السابق وقع بين المحبّيتين، وذلك يقتضي أن يكون محبوبة الأصنام ممثالاً لمحبيته تعالى، والترجيح بين المحبتين لكن

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ١٦/٣٠.

(٢) سورة البقرة: ١٦٥.

(٣) انظر التفسير المنير، الزحيلي ٦٦/٢.

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٩١/٢.

باعتبار رسوخ إحداهما دون الأخرى، فإن المراد بشدة محبة المؤمنين شدتها في المحل وهو رسوخها فيهم وعدم زوالها عنهم بحال، لا كمحبة المشركين لألهتهم حيث يعدلون عنها إلى الله تعالى عند الشدائد، ويتبرؤون منها عند معاينة الأهوال، ويعبدون الصنم زماناً ثم يرفضونه إلى غيره وربما أكلوه<sup>(١)</sup>.

والمقصود تنقيص المشركين حتى في إيمانهم بألهتهم، فكثيراً ما كانوا يعرضون عنها إذا لم يجدوا منها ما أمّلوه، فمورد التسوية بين المحبتين التي دلّ عليها التشبيه مخالف لمورد التفضيل الذي دلّ عليه اسم التفضيل هنا؛ لأنّ التسوية ناظرة إلى فرط المحبة وقت خطورها، والتفضيل ناظر إلى رسوخ المحبة وعدم تزلزلها<sup>(٢)</sup>.

ومن قواعد التشبيه أنه إذا كان في المدح أن يشبه الأذن بالأعلى، وفي الذم يشبه الأعلى بالأذن؛ لأنّ الذم مقام الأذن، والأعلى طارئ عليه، وقد اعترض على هذه القاعدة، في التشبيه الذي جاء في قوله الله سبحانه: ﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

(فهذه الآية فيها تشبيه نور الله سبحانه وتعالى بالمشكاة، وهذا من تشبيه الأعلى بالأذن، وقد ذهب البعض إلى أن الضمير في التشبيه في قوله سبحانه: (مِثْلُ نُورِهِ)، يعود على القرآن الكريم أو النبي ﷺ أو المؤمن<sup>(٤)</sup>)، وظاهر قوله سبحانه: (مِثْلُ نُورِهِ) أن الضمير يعود على الله عز وجل، يقول ابن عاشور رحمه الله في تفسيره: (والضمير في قوله: (نوره) عائدٌ إلى اسم الجلالة، أي مثل نور الله، والمراد بنوره: كتابه، أو الدين الذي اختاره، أي مثله

(١) روح المعاني، الألوسي، ١٨٧/٢ .

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٩٢/٢ .

(٣) سورة النور: ٣٥ .

(٤) جامع البيان في تأويل آي القرآن، للطبري، ١٧٨/١٩-١٧٩ .

في إنارة عقول المهتدين، فالكلام تمثيلاً لهيئة إرشاد الله المؤمنين بهيئة المصباح الذي حفّت به وسائل قوة الإشراق، فهو نور الله لا محالة<sup>(١)</sup>.

وقد أجاب العلماء على تشبيه الأعلى بالأدنى في هذه الآية الكريمة، بأنه إنما جاء للتقريب إلى أذهان المخاطبين، إذاً لا أعلى من نوره فيشبهه به<sup>(٢)</sup>. ويرى الزركشي رحمه الله (أنه يمكن أن يكون المشبه به أقوى، لكونه في الذهن أوضح، إذا الإحاطة به أعم)<sup>(٣)</sup>.

ويقول الدكتور أحمد بدوي تعليقاً على التشبيه في الآية الكريمة: (فقد يبدو للنظرة العجلى أن المشبه وهو نور الله أقوى من مصباح هذه المشكاة، ولكن نظرة إلى الآية الكريمة، نرى أن النور المراد هنا هو النور، فقد يبدو أن المشبه وهو نور الله أقوى من مصباح المشكاة، ولكن بالتعمق في فهم الآية الكريمة، يظهر أن النور المراد هو النور الذي يغمر القلب، ويشرق على الضمير، فيهدي إلى سواء السبيل، فالقلب ليس في حاجة إلى أكثر من هذا المصباح، يلقي عليه ضوءه، فالقلب المظلم، لا يلبث نور اليقين أن يشرق عليه، فيجد الراحة والاستقرار، ثم ألا ترى في اختيار هذا التشبيه، إيجاء بحالة القلب وقد لفّه ظلام الشكّ، فهو متردد قلق خائف، ثم لا يلبث نور اليقين أن يشرق عليه، فيجد الراحة والأمن والاستقرار، فهو كساري الليل يخبط في الظلام على غير هدى، حتى إذا أوى إلى بيته فوجد هذا المصباح في المشكاة، وجد الأمن سبيله إلى قلبه، واستقرت الطمأنينة في نفسه، وشعر بالسرور يغمر فؤاده)<sup>(٤)</sup>.

فمن خلال ما سبق تظهر العلاقة بين طرفي التشبيه في الآيات القرآنية، ويظهر أيضاً أن التساوي بين المشبه والمشبه به في تشبيهات القرآن إنما هو في الوجه الذي يخدم الغرض الذي سيق التشبيه من أجله، وهكذا تشبيهات السنة النبوية المطهرة.

وهنا شبهة يوردها بعض أعداء الإسلام، في الحديث الشريف الذي يخبر فيه النبي ﷺ، عن إتيان الوحي إليه، وتشبيهه صوته بصلصلة الجرس، مع أنه أخبر عليه السلام في

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٣٤/١٨.

(٢) الإلتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٤٣/٢.

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٤٢٦/٣.

(٤) من بلاغة القرآن، أحمد بدوي، ص ١٩٥.

أحاديث أخرى أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صوت جرس، وأن أصوات الأجراس ترافقها الشياطين.

يقول ابن حجر رحمه الله ردّاً على هذه الشبهة الواهية: (فإن قيل: الحمود لا يشبه بالمدموم؛ إذ حقيقة التشبيه إلحاق ناقص بكامل، والمشبه الوحي وهو محمود، والمشبه به صوت الجرس وهو مذموم لصحة النهي عنه والتنفير من مرافقة ما هو معلق فيه، والإعلام بأنه لا تصحبهم الملائكة كما أخرجهم مسلم وأبو داود وغيرهما، فكيف يشبه ما فعله الملك بأمر تنفر منه الملائكة والجواب أنه لا يلزم في التشبيه تساوي المشبه بالمشبه به في الصفات كلها، بل ولا في أخصّ وصف له، بل يكفي اشتراكهما في صفة ما، فالمقصود هنا بيان الجنس فذكر ما ألف السامعون سماعه تقريباً لأفهامهم، والحاصل أن الصوت له جهتان جهة قوة، وجهة طنين، فمن حيث القوة وقع التشبيه به ومن حيث الطرب وقع التنفير عنه)<sup>(١)</sup>.

وقال السيوطي رحمه الله: (فإن قيل: كيف شبه الحمود بالمدموم، فإن صوت الجرس مذموم لصحة النهي عنه والإعلام بأن الملائكة لا تصحب رفقة فيها جرس فالجواب: أنه لا يلزم في التشبيه تساوي المشبه بالمشبه به في كل صفاته، بل يكفي اشتراكهما في صفة ما، والمقصود هنا بيان الحسّ فذكر ما ألف السامعون سماعه تقريباً لأفهامهم)<sup>(٢)</sup>.

(١) فتح الباري، ابن حجر، ص ١٧١/٢.

(٢) حاشية السيوطي على سنن النسائي، عبد الرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، ت: عبد الفتاح أبو غده، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ط ٢، ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ص ١٧١/٢.

## المطلب الثالث: ظهور المشبه به في وجه الشبه عن المشبه، في ذهن المخاطب:

إنَّ التشبيه فنٌّ جميل من فنون الكلام، وهو يدل على دقّة ملاحظة الأشباه والنظائر في الأشياء، سواء أكانت ماديّات تدرك بالحواس الظاهرة، أم معنويّات ، إذ ينتزع منها لمآحو عناصر التشابه بين الأشياء التي تدخل في حدود ما يعلم ولو لم يكن له وجودٌ خارج الأذهان، فيجدون بينها أجزاء يشبه بعضها بعضاً على سبيل التطابق أو التقارب، فيعبرون عما لاحظوه من تشابه بعبارات التشبيه، ويحسن في ذوقهم الأدبي أن يشبّهوا ذا الصفة الخفية بذي الصفة الجلية، نظراً إلى وجود جنس هذه الصفة أو نوعها فيهما، وأن يشبّهوا ذا الصفة الجلية بذي الصفة الأجلّي، وأن يشبّهوا ذا الصفة الأقل أو الأضعف أو الأدنى، بذي الصفة الأكثر أو الأقوى، أو الأعلى، نظراً إلى التشابه في عين هذه الصفة، أو نوعها، أو جنسها فيهما<sup>(١)</sup>.

(ولا بُدَّ في كلِّ تشبيه من غرض يرمي إليه، وإلا كان لغواً من الكلام يتتره عنه العقلاء، فيجب أن يكون التشبيه محققاً للأغراض التي قيل من أجل إيضاحها وبيانها، وأغراض التشبيه متنوعة، وهي تعود في معظمها إلى المشبه إلا في حال قلب التشبيه فإنها تعود إلى المشبه به)<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكرنا في الفصل الثاني من هذه الدراسة أنّ من أهم أهداف التشبيه، توضيح المعاني من خلال تقريب صورة المشبه إلى ذهن المخاطب، وأنّ البيان والتوضيح هو ميزة التشبيه الكبرى؛ لأنّ وظيفته الأساسية أن يزيل عن المعنى اللبس والغموض، ويجلّوه على الأنظار، ويقربّه إلى الأذهان، لذلك كان أشدُّ عيوب التشبيه قبحاً أن يأتي مبهماً مستغلقاً، فإنّ ذلك ضد الغرض الذي سيق من أجله، وحتى يتحقّق هذا الغرض من التشبيه فإنه من الطبيعي أن يكون المشبه به ظاهراً في وجه الشبه أكثر من المشبه، وكلما كان وجه الشبه في

(١) انظر البلاغة العربية، أسسها، وعلومها، وفنونها، عبد الرحمن حسن حينكة، ج ٢، ص ١٦٥.

(٢) فن التشبيه، علي الجندي، ص ٢٠٠.

المشبه به أكثر وضوحاً وأظهر، أو كان مقداره أعظم، قربت صورة المشبه إلى ذهن المتلقي من خلال التشبيه<sup>(١)</sup>.

(والمقاعدة أن الغرض من التشبيه يعود إلى المشبه إلا في حال قلب التشبيه فإنه يعود إلى المشبه به، وقد سُمّي علماء البلاغة هذا النوع من التشبيه (التشبيه المقلوب) أو المعكوس، أو تشبيه القلب والعكس، ومعنى كونه مقلوباً أن يجعل ما الوجه فيه أتم مشبهاً؛ ليتوهم السامع أن المشبه به المقصود بالمبالغة أتم في وجه الشبه من المشبه، الذي أصله مشبه به، اعتماداً على القاعدة المقررة، من أن الوجه في المشبه به أتم، والتشبيه المقلوب مبني على المبالغة، فلا يأتي شيء منه إلا والمقصود ذلك، ومن ثم كان الغرض من التشبيه فيه يعود إلى المشبه به حتماً حتى تتم المبالغة في شأنه، بخلافه في غير ذلك فإنه يعود إلى المشبه)<sup>(٢)</sup>.

ومن خلال عرضنا لتشبيهات الكتاب والسنة يظهر لنا أن الفائدة في هذه التشبيهات تعود دائماً على المشبه؛ لأن المشبه به أقوى صلة بالصفة المشتركة بين الطرفين، وهذا هو الغالب فيها، ومن غير الغالب أن يتساوى الطرفان في الصفة، أو يكون المشبه أقوى من المشبه به، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

وليس هناك داع للاحتجاج على مشروعية هذا التشبيه، وصحة معناه بأمثله من الشعر أو غيره؛ لأن المراد الإيضاح والبيان وليس المراد بيان المقدار، والتشبيه الإيضاحي لا يشترط فيه قوة الصفة في المشبه به دون المشبه، والأولى أن يقاس على القرآن أقوال الشعراء، لا أن يقاس هو عليها سواء في ذلك مسائل هذا الفن أو غيره من الفنون كالنحو والصرف<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج٢، عبد الرحمن حسن جنبكة، ص ١٦٨.

(٢) فن التشبيه، علي الجندي، ص ٢٨٤.

(٣) سورة النور: ٣٥.

(٤) انظر خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، ج٢، مكتبة وهبة، ١٤١٣هـ،

١٩٩٢م. ص ٢٨٠.

ومثل ذلك قوله تعالى حكايةً عن الكفار: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾<sup>(١)</sup> في مقام أن الربا مثل البيع عكسوا ذلك؛ لإيهام أن الربا عندهم أحلُّ من البيع؛ لأن الغرض الربح وهو أثبت وجوداً في الربا منه في البيع، فيكون أحقُّ بالحلِّ عندهم، ويبيِّن الزمخشري في تفسيره عكس التشبيه في آية الربا، ويبيِّن سبب العدول عن الأصل بقوله: (فإن قلت هلاً قيل إنما الربا مثل البيع؛ لأنَّ الكلام في الربا لا في البيع، فوجب أن يقال إنهم شبَّهوا الربا بالبيع فاستحلوه، وكانت شبهتهم أنهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوي إلاَّ درهماً بدرهمين جاز، فكذلك إذا باع درهماً بدرهمين، قلت جيء به على طريق المبالغة، وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم في حلِّ الربا أنهم جعلوه أصلاً وقانوناً في الحلِّ، حتى شبَّهوا به البيع، وقوله سبحانه: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾<sup>(٢)</sup> إنكاراً لتسويتهم بينهما، ودلالة على أن القياس يهدمه النص؛ لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم إحلال الله وتحريمه)<sup>(٣)</sup>.

وكذلك قول الله سبحانه: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾<sup>(٤)</sup> إنما هو لمزيد التوبيخ فيه دون أن يقول، أفمن لا يخلق كمن يخلق مع اقتضاء المقام بظاهره إيَّاه، لكونه إلزاماً للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيهاً بالله تعالى فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق<sup>(٥)</sup>. قال الرازي رحمه الله: (فإن قيل: قوله: (أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ) المقصود منه إلزام عبدة الأوثان، حيث جعلوا غير الخالق مثل الخالق في التسمية بالإله، وفي الاشتغال بعبادتها، فكان حق الإلزام أن يقال: أفمن لا يخلق كمن يخلق، والجواب: المراد منه أن مَنْ يخلق هذه الأشياء العظيمة ويعطي هذه المنافع الجليلة كيف يسوَّى بينه وبين هذه الجمادات الخسيسة في التسمية باسم الإله، وفي الاشتغال بعبادتها والإقدام على غاية تعظيمها)<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة البقرة: ٢٧٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٥.

(٣) الكشاف، الزمخشري، ٣٤٨/١.

(٤) سورة النحل: ١٧.

(٥) انظر فن التشبيه، علي الجندي، ص ٣٠٥.

(٦) مفاتيح الغيب، الرازي، ص ١١/٢٠.

## المبحث الثاني

### أوجه الاستفادة من التشبيه في الدعوة إلى الله

#### في العصر الحاضر

إنَّ خيرَ منهجٍ للدعوة هو منهجُ النبي ﷺ، وهو منهجٌ لم يقتصر على نوع واحد من أساليب الدعوة الكثيرة، بل إنه عليه الصلاة والسلام لم يدّخر أسلوباً وجد فيه الخير ونشر الفضيلة إلا وسلكه، لا يحقر من ذلك شيئاً، فالابتسامة الصادقة، والنظرة الحانية، والكلمة العذبة، والخطبة المؤثرة، والحوار والمناظرة، والقصة، والأمثال، والدعاء وغير ذلك كلها من المنهج الدعوي النبوي، لذلك فإنَّ على الداعية أن ينوِّع في أساليب دعوته، ولا يقتصر على استخدام أساليب معينة وإهمال الأساليب الأخرى، أو تغليب أحد الأساليب على الأخرى دون موجب لذلك، وإنما لمجرّد ميل الداعي إلى هذا الأسلوب.

وإنَّ الناس بشكل عام يجدون من طبائعهم الميل إلى استخدام أسلوب التشبيه، فقد يتحدث أحدهم عن موضوع فيحضره مثل يشابهه في المعنى فيستشهد به؛ لأنَّ الكلام يزيد به وضوحاً، ولأنَّ النفس تستأنس بالمثل، فعلى الداعية أن يحرص على استخدام هذا الأسلوب المقبول بين جميع الناس على اختلاف صنوفهم.

فأسلوب التشبيه من الأساليب الدعوية المهمة والمفيدة بشكل كبير إذا استخدم بالطريقة الصحيحة، وحتى يستطيع الداعية أن يستفيد من أسلوب التشبيه الاستفادة المثلى ويستخدمه بالشكل الصحيح، عليه أن يراعي بعض الأمور في استخدامه، يمكن إجمالها بالنقاط التالية:

#### أولاً: الاعتدال في استخدام أسلوب التشبيه:

إنَّ استخدام أسلوب التشبيه في الدعوة إلى الله، ينبغي أن يكون بحكمة واعتدال، فالإكثار من التشبيهات في الكلام بغير ضرورة يفقد الكلام جوهره ومقصده، واستخدام التشبيه في غير موضعه من غير أن يكون له فائدة في الكلام، يضيء على الكلام ركاكةً وتكلفاً، فيؤدّي ذلك إلى نفرة المدعويين عن سماع الحق، فإنَّ الاعتدال مطلوب في كل أمر، وفي مجال الدعوة فإنه مطلوب حتى تؤتي الدعوة ثمارها وتحقق أهدافها، والإفراط والتفريط مذموم حتى وإن كان في التشبث بأسلوب معين في الدعوة إلى الله تعالى، فالداعي عندما

يستخدم أسلوب التشبيه ينبغي أن يختار من التشبيهات السهلة الواضحة التي تؤدّي الغرض، وأن تكون الصلة المتمثلة في وجه الشبه واضحةً بين المشبه والمشبه به؛ لأنك إذا مثلت الشيء بشيء ليس بينه وبينه شبه، فإنك تخلط وتجعل السامع يخطئ في فهم القضية بدلاً من أن يحسن فهمها، فإن التشبيه يستخدم لكي يعين على وضوح شيء غير واضح، وكمثال على التشبيه الذي لا فائدة تبتغى منه قول القائل:

كأننا والماء يجري حولنا قومٌ جلوسٌ يجري حولهم ماء

فالتشبيه في هذا البيت لا فائدة منه، وكما يقال في المثل: فسّر الماء بعد الجهد بالماء. فأسلوب التشبيه له أهداف تبتغى من استخدامه، وهو ليس للتسلية وفضول الكلام، وعلى الداعية أن تستخدم هذا الأسلوب بالشكل المناسب، في سبيل تحقيق الأهداف التي يرمي إلى تحقيقها من خلاله.

#### ثانياً: استنباط التشبيهات من الكتاب والسنة ومن كلام السلف الصالح:

على الداعي أن يستنبط التشبيهات التي يستخدمها في الدعوة إلى الله من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، ثم من سيرة السلف الصالح، ثم من تجاربه ومعارفه الشخصية، ولا شك أن تشبيهات القرآن الكريم هي أفضل ما يمكن أن يستخدمه الداعي، كيف لا والقرآن الكريم هو كلام رب العالمين، الذي خلق خلقه وهو أعلم بهم، وبما يصلح حالهم، ويؤثر فيهم، وقد أثبت القرآن الكريم قدرته على جذب الباحثين عن الحق إليه من كل عرق، وحضارة، ولغة، ولون؛ ليهتدوا إلى رسالته، ولتكون السمة العالمية في خطابه وأسلوبه الدعوي بارزة، فهو كتاب الله المتزل الذي يصلح لكل زمان ومكان، ولا يخص قوماً أو بيئة أو أناساً بعينهم، ولما كنا مخاطبين بلزوم حمل الدعوة وأداء الرسالة إلى الناس كافة كان جديراً بنا أن نقف على بعض المعالم الأسلوبية في الخطاب الدعوي القرآني؛ لتكون زاداً للمسلم في رحلة الدعوة والجهاد، ولا سيما ما ورد في القرآن الكريم من تشبيهات دعوية عظيمة، حريٌّ بالداعي إلى الله أن يدرسها، ويعقلها ويبلغها للناس.

وكذلك في السنة المطهرة، يجد الداعي إلى الله الكثير من التشبيهات النبوية التي استخدمها النبي الأكرم ﷺ في دعوته إلى الله، وهو يعلم الأساليب والوسائل المؤثرة في الدعوة إلى الله، فقد استطاع عليه الصلاة والسلام أن يحول بأمر الله أمة كانت من أجهل

الأمم إلى أمة سادت العالم في سنوات معدودة، لذلك فإنّ على الدعاة أن يستخدموا التشبيهات التي حرص عليه الصلاة والسلام على استخدامها في خطابه الدعوي، فكلامه الشريف لا يعدله كلام بشر، كيف لا وهو الطاهر المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وكلامه وحى من الله يوحى، فحريّ بالدعاة أن يعكفوا على دراسة تشبيهاته المؤثرة العظيمة، وأن يستعملوها في نشر الدعوة الإسلامية، وهداية الناس إلى صراط الله المستقيم. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾<sup>(١)</sup>، فهو قدوة الدعاة والعاملين، والمجاهدين والآخرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، ودراسة الأحاديث التي وردت فيها تشبيهات نبوية كريمة بهدف الاستنباط لفقهاها، والوقوف على دروسها الدعوية، تجلّي للدارسين حقائق كثيرة تخدم دعوة الإسلام، ومنها ما يتعلّق بعلم الداعية، وما ينبغي أن يكون عليه من التزام بضوابط العلم والفقهاء.

ويجدّ الداعية أيضاً في كلام سلفنا الصالح من الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان، الكثير من التشبيهات الجميلة والمؤثرة التي يمكن أن يستفيد منها الدعاة إلى الله، فالسلف الصالح كانوا أعلم من غيرهم بفقهاء الدعوة إلى الله، وبالأساليب المؤثرة في هداية الناس، وهم أهل القرون المفضلة الذين أخبر عنهم النبي ﷺ بقوله: {خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم}، وتشبيهاتهم الدعوية مبنوثة في كتب العلم، وعلى الداعي أن يستفيد منها، وينهل من حكمها.

وعلى الداعي أن يعكف على كتب علماء الإسلام، التي امتلأت بذكر التشبيهات التي ذكرها العلماء في دعوتهم إلى الله، حيث نجد في كلامهم ومواعظهم المؤثرة، تشبيهات راقية معبرة، تدل على فقه وعلم وبصيرة وحكمة، يؤتيها الله سبحانه من يشاء من عباده. ومن العلماء الذين اهتموا كثيراً بأسلوب التشبيه في دعوتهم إلى الله من خلال مواضعهم وحكمهم، الإمام ابن القيم، فقد استخدم رحمه الله هذا الأسلوب في كثير من مواضعه، والتي يمكن للدعاة أن يستفيدوا منها في الدعوة إلى الله، ومن الأمثلة على ذلك حديثه عن قسوة القلب التي لا تزول إلا بذكر الله تعالى، فهو يشبه إذابة القسوة من القلوب بالذكر

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ص ١٧١/٣، برقم ٢١٥٦.

بإذابة الرصاص بالنار، يقول رحمه الله: (فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة، كما يذوب الرصاص في النار فما أذيت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عز وجل)<sup>(١)</sup>.

ويشبهه رحمه الله القلب بالإسفنجة والزجاج بقوله: (لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل الإسفنجة فيتشربها فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاج المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها، فبرأها بصفائه ويدفعها بصلاته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليها صار مقرراً للشبهات)<sup>(٢)</sup>.

وفي موضع آخر يشبه النفس بالرحا الدائرة، قال رحمه الله: (وقد خلق الله النفس شبيهة بالرحا الدائرة التي لا تسكن ولا بُدُّ لها من شيءٍ تطحنه، فإن وضع فيها حباً طحنته وإن وضع فيها تراباً أو حصاً طحنته. فالأفكار والخواطر التي تجول في النفس هي بمترلة الحب الذي يوضع في الرحا ولا تبقي تلك الرحا معطلة قط، بل لا بد لها من شيءٍ يوضع فيها فمن الناس مَنْ تطحن رحاه حباً يخرج دقيقاً ينفع به نفسه وغيره، وأكثرهم يطحن رملاً وحصاً تبناً ونحو ذلك، فإذا جاء وقت العجن والخبز تبين له حقيقة طحنه)<sup>(٣)</sup>.

ويمكن للداعية أن تستخدم أسلوب التشبيه من خلال خبرته وتجاربه الشخصية، فالداعية خلال مسيرته الدعوية، يخوض الكثير من التجارب، ويقابل أصنافاً من الناس، وربما يسافر ويجوب الكثير من البلدان والمدن، ويتعرّف على بيئات متعددة لها خصائصها وعاداتها وتقاليدها، ويتعرّف إلى كثير من الخلق ويخالطهم، وكل هذا يكسبه خبرات ومعارف، تمكنه من عقد المقارنات وضرب الأمثال والتشبيه في دعوته إلى الله، ولا مانع في الأساليب أن يستعين الدعاة بالخبرات والوسائل المتعددة المفيدة والمتجددة، مع الأخذ في الاعتبار ألاّ يجيدوا عن منهج الرسول ﷺ من حيث المنهج والأسلوب المتبع، وكذلك لا يكون التجديد في أساليب الدعوة تجديداً مخالفاً لهدي الرسول ﷺ إنما يكون التجديد في نطاق منهج الرسول ﷺ<sup>(٤)</sup>.

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم الجوزية، ط ١، تحقيق محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص ٩٩.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ٤٤٣/١.

(٣) الفوائد، ابن القيم الجوزية، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م، ص ١٧٤.

(٤) المنتقى من فتاوى فضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، جمع و إعداد عادل الفريدان، مكتبة الغراء الأثرية، ط ٢، ١٤١٧هـ، ص ٢١٨/٢، رقم الفتوى ١٨٨.

### ثالثاً: اختيار التشبيهات الملائمة لأحوال المدعوين:

إنَّ من صفات الداعية الناجح مراعاة أحوال المدعوين في دعوتهم، فعليه أن يعتني باختيار الأساليب والميادين الملائمة للمخاطبين، فإنَّ المخاطبين يختلفون في مدى تأثرهم بالأساليب، فمنهم مَنْ يعجبه استخدام المنهج الحسِّي، ومنهم مَنْ يرضى باستخدام المنهج العقلي، ومنهم مَنْ لا يؤثِّر فيه إلاَّ المنهج العاطفي، فمن المدعوين من تكون فائدته أكبر من أسلوب الترغيب، وآخر من أسلوب التهيب، وثالث في أسلوب القصص، وآخرين يحتاجون لأسلوب الجدل والحوار والمناظرة، فعلى الداعي إلى الله أن يختار أنسب الأساليب للخطاب، وأن يكون هدفه إيصال رسالة الإسلام إلى المدعوين بصورة مؤثِّرة، وأن يكون هذا الأسلوب هو الأكثر ملاءمة لمدعوين حتى يحدث أعمق أثر ممكن فيهم، وأن لا يتشبث ولا يصر على أيِّ منهج، أو أسلوب لاعتبارات أخرى<sup>(١)</sup>.

وأسلوب التشبيه من الأساليب التي يستخدمها الداعية الناجح؛ بهدف تقريب المعاني إلى أفهام المخاطبين وترسيخها في قلوبهم، وعلى الداعي أن يستخدمه بالشكل الصحيح، وفي السياق المناسب، فلا يكون هدف الداعي إظهار علمه وفهمه، وفطانتهم، وذكائهم، أو استعراض فصاحته وبلاغته، بل يجب أن تكون غايته نقل رسالة الإسلام إلى المخاطبين بكلماتٍ وجملٍ وعبارات، وأساليب، ووسائل تساعد على فهمها وتكون سبباً في ترسيخها في قلوبهم. وعلى الداعي عندما يستخدم أسلوب التشبيه أن يتعد عن التشدُّق في الكلام، فهو مذموم ومنهي عنه، قال عليه الصلاة والسلام: {إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَقْرَةُ}<sup>(٢)</sup> وعليه أن يختار من التشبيهات ما يتَّصف بالسهولة والبعد عن التكلُّف والتفاحص المقيت، وأن لا ينشغل بتنميق الألفاظ وزخرفتها، فتتحول الدعوة إلى ميدان للتنافس في البلاغة والفصاحة، وتفقد الهدف الأساس منها، وهو: هداية الناس، ودعوتهم إلى صراط الله المستقيم.

(١) انظر مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين، فضل إلهي، إدارة ترجمان الإسلام، باكستان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ص ١٧٤ وفقه الدعوة إلى الله، علي محمود، دار الوفاء، المنصوره، ط ٤، ١٤١٣هـ، ص ٢٣٠/١.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الأدب، باب الفصاحة والبيان، ص ١٤١/٥، برقم ٢٨٥٣.

كما أن المدعويين يتفاوتون في مستواهم العلمي والثقافي، وتختلف ثقافتهم، ومدركاتهم، ومقدراتهم العقلية، فمنهم الأمي، ومنهم المتعلم، ومنهم المثقف، فعلى الداعي أن يختار التشبيهات الملائمة لكل مستوى من هذه المستويات، وقد تقدم أن علماء البيان أكدوا على أهمية أن يكون المشبه به واضحاً ظاهراً في ذهن المخاطب، فإذا استخدم الداعي أسلوب التشبيه لتقريب فكرة من الأفكار إلى المدعويين، وكان المشبه به مما يجهله هؤلاء المدعوون، فما الفائدة إذاً من هذا التشبيه؟

وعلى الداعية أن يكون علمه متنوعاً، وأن يكون على دراية بأحوال المدعويين ومستواهم، فكل يدعى بحسب مستواه ومداركه، وعلى قدر فهمه وثقافته، كما قال علي رضي الله عنه: {حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله} (١) وقال ابن مسعود: {ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة} (٢).

وبصورة عامة فينبغي أن تكون التشبيهات التي يستخدمها الداعية تخاطب العقل والوجدان والعاطفة على حدٍ سواء، كل ذلك في قوالب أدبية، وأساليب بلاغية جذابة، تتكامل مع بعضها لتؤدي نتيجة ذات أبعاد كثيرة، منها البعد النفسي والوجداني، والبعد العقلي والذهني، والبعد الجمالي والذوقي. ولذلك فإن سيد الدعاة إلى الله عليه الصلاة والسلام، لما بين للناس ما نزل إليهم، كان كلامه فصلاً بيناً، واستخدم في دعوته للناس أساليب البيان والتوضيح، وعلى رأسها أسلوب التمثيل والتشبيه، وقد تميّزت التشبيهات النبوية بالقوة البلاغية والإقناعية، وروعة الوضوح في تجسيد المعنى المقصود؛ لما لها من تأثير إيجابي في العواطف والمشاعر، وفي تحريك نوازع الخير في النفس البشرية، فالداعية الناجح هو الذي يستثمر كل موقف يخدم الدعوة، من خلال تلطيف العبارة، ومخاطبة العقل تارة، والتوجه إلى الحس وإثارته تارة، وكل هذه المناهج يستطيع الداعية أن يتلمسها في دعوة النبي ﷺ.

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا، ص ٣٧/١، برقم ١٢٧.

(٢) صحيح مسلم، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، ص ٩/١، برقم ١٤.

## رابعاً: اختيار التشبيهات الملائمة للفكرة التي يدعو إليها:

على الداعي أن يختار في أثناء دعوته التشبيهات المثيرة للخيال في نفوس المتلقين، على أن يلائم بين هذه التشبيهات وبين الموضوع الذي يتحدث فيه، فلا يكون التشبيه الذي يتناوله بعيداً عن الفكرة التي يدعو إليها، فلكل موضوع ما يناسبه من التشبيهات، فتكون قوية في مجال الجهاد والتخويف والترهيب، وتكون سهلة رقيقة مؤثرة في مجالات الوعظ والرفاق، وتهذيب النفوس، وإصلاح القلوب، فإذا أراد الداعية مثلاً أن يدعو إلى الجهاد اختار ما يناسب ذلك من التشبيهات القوية المؤثرة، التي تثير المشاعر وتلهب الحماسة والشجاعة في نفوس المدعوين، وعلى الداعي أن يتعلم هذه الأساليب من الكتاب والسنة، فالقرآن عندما أراد أن يشجع المؤمنين على الجهاد في سبيل الله، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بُنِينَ مَرْصُومًا﴾<sup>(١)</sup>، فشبهت الآية الكريمة المجاهدين في سبيل الله بالبنين المحكم في شدة ترابطهم وتلاحمهم، وهذا تشبيه يعبر غاية التعبير عن شدة التلاحم والتماسك بين المؤمنين المجاهدين، وفيه ترغيب مؤثر في الدعوة إلى الجهاد للفوز بمحبة الله سبحانه وتعالى، ولما أراد النبي ﷺ دعوة الناس إلى لزوم كتاب الله والمداومة على تلاوته، شبه قارئ القرآن بالأترجة ذات الطعم الطيب، والريح الطيب، وهذا التشبيه فيه من الرقة واللفظ ما يجيب المؤمنين بتلاوة كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار. فعلى الداعي أن يستلهم من هذه التشبيهات الحكمة في اختيار تشبيهاته في الدعوة.

كما أن على الداعي أن يتحرى الواقعية في التشبيهات التي يستخدمها، فالتشبيهات الخيالية لا تتفق مع السهولة والوضوح، ولا تتفق أيضاً مع تقريب المعاني الذي هو هدف من أهداف التشبيه، وليس المقصود بالواقعية أن تكون التشبيهات ضخمة وعظيمة وكبيرة في نفوس الناس، وإنما المقصود أن تكون من واقع الحياة الإنسانية، بعيدة عن الخيال والمبالغات، وأن تكون معبرة ومناسبة للمعنى المراد توضيحه من خلال التشبيه، وليس من عدم الواقعية استخدام التشبيه بالأمر المحترقة أو التافهة، فإن الكفار اعترضوا على القرآن الكريم تناوله التشبيه بمثل هذه الأمور المحقرات، ورد عليهم ربنا بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ

(١) سورة الصف: ٤.

مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا ﴿١﴾ فالتشبيه وإن كان بالمحقرات، له أبلغ الأثر في التأثير والوصول إلى المدعويين.

#### خامساً: الابتعاد عن التشبيهات غير المناسبة و المبتذلة:

على الداعي عندما يستخدم أسلوب التشبيه أن يتخبر من التشبيهات الحسنة والجميلة والمعبرة والمؤثرة، ولا يليق أن يستخدم التشبيهات الغير مناسبة والمبتذلة، فإنه داعية إلى دين الله العظيم، الذي يتزّه عن اللغو والسفه. فالتشبيه ليس مقصوداً في ذاته، وإنما المقصود الهدف الذي يتحصّل من استخدامه في الخطاب الدعوي، فإنّ العوام كثيراً ما يستخدمون في كلامهم أسلوب التشبيه، ولكنهم قد يستخدمون التشبيهات السطحية، وهذا لا يليق بالداعية المسلم.

وهنا ينبغي التنبيه على بعض التشبيهات التي يستخدمها العامة، والتي أصبحت من الأمثال السائرة التي يتداولونها بينهم ويستشهدون بها في كلامهم؛ لأنّ بعض العامة يريد أن يمثل شيئاً بشيء، فيأتي بعبارات ركيكة، ومعانٍ سمجة، تحتوي في كثير من الأحيان على مخالفات شرعية، فهناك تشبيهات تحتويها بعض الأمثال الشعبية، تحمل مفاهيم سلبية، مخالفة للشريعة الإسلامية، ولا تتوافق مع أخلاقيات الإسلام ومبادئه، وكثير من الناس لا يميّزون بين الجيد والردىء منها، فعلى الداعي أن يقيس هذه التشبيهات بميزان الشرع قبل أن يعتمد عليها في خطابه الدعوي، ولا ينبغي للداعية أن يتزلق ويتفوّه بمثل هذه الأمثال، ولو كان يتكلّم باللهجة العامية، فإنّ البعض قد يتكلّم بمثل هذه الأمثال بحجة مراعاة أحوال المخاطبين، والتزول إلى مستواهم الفكري.

وكمثال على ذلك ما يتداوله بعض العامة في بعض البلدان من تشبيه ذوي القربى بالعقارب بقولهم: (الأقارب عقارب)، وذلك بهدف التحذير من غدر، وخيانة الأقارب. وهذا الكلام والتشبيه مخالفٌ لهدي القرآن الكريم وهدي النبي ﷺ، الذي كان يوصي بصلة الأرحام والإحسان إلى الأقارب، فالأقربون أولى بالمعروف، وهذا مأخوذٌ من قوله

(١) سورة البقرة: ٢٦.

سبحانه: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾<sup>(١)</sup> وقوله سبحانه: ﴿ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

لذلك على الداعي أن لا يكثر من الأمثال الشعبية، وحتى لو استخدمها في الدعوة أن يكون ذلك بعد التأكد من أنها موافقة للشرع، وعليه أن يتجنب ما حوته بعض الأمثال من المعاني والمبتذلة، وما تشتمل عليه من سوء أدب، أو إيذاء للأسماع، فإن ذلك سيؤثر على النفوس، وربما أدى إلى تثبيت وتأكيد مفاهيم اجتماعية خاطئة، أو مخالفة للشرع، ويكون الخطيب بذكرها أحد المروجين والناشرين لها.

سادساً: اختيار التشبيهات البعيدة عن التعقيد ليفضي المقصود منها إلى ذهن المدعويين: ينبغي على الداعي أن يكون كلامه واضحاً، مفهوماً لمن يخاطبهم من الناس، وذلك بتوخي الأساليب السهلة، واختيار اللفظ المناسب للمعنى المناسب، واستعمال الألفاظ الحية التي يألّفها الناس وتجري على ألسنتهم، وأن تكون التراكيب التي يستخدمها واضحة المعاني، محكمة الصياغة، سليمة من الضعف والتعقيد، مؤدبة المعاني التي يرمي الداعي إليها بما يناسبها من الجمال اللفظي والأسلوبي.

وكذلك كان كلام النبي الأكرم ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: { كان كلام رسول الله ﷺ كلاماً فصلاً، يفهمه كل من سمعه }<sup>(٣)</sup>.

وكذلك ينبغي على الدعاة عند استخدام أسلوب التشبيه أن يختاروا من التشبيه الحسن البسيط، والبعد عن التشبيهات المعقدة، رغم أن البلاغيين يقولون بأن من جودة التشبيه التباعد بين طرفي التشبيه وأن: (التباعد بين الشئيين كلما كان أشدّ كانت إلى النفوس أعجب، وكانت النفوس لها أطرب، وكان مكانها إلى أن تحدث أريحية أقرب، وذلك أن موضع الاستحسان، ومكان الاستظراف، والمثير للدفين من الارتياح، والمتألف للنافر من المسرة، والمؤلف لأطراف البهجة، أنك ترى بها الشئيين مثلين متباينين، ومؤتلفين مختلفين)<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة البقرة: ١٨٠.

(٢) سورة البقرة: ٢١٥.

(٣) صحيح أبي داود، باب الأدب، كتاب الهدى في الكلام، ص ٦٧٦/٢، رقم ٤١٩٩.

(٤) أسرار البلاغة، الجرجاني، ص ١٣٠.

فالداعي يهتم بجودة التشبيه من الناحية البلاغية واللغوية، بأن يكون التشبيه جميلاً وبلغياً، دون أن يهمل الغرض منه والأثر المترتب عليه في الدعوة على الله، فينبغي على الداعي أن يوظف أسلوب التشبيه في إيصال المعاني السامية إلى عقول الناس من أيسر طريق، حتى يعجب التشبيه البسطاء والعلماء على حدٍ سواء، و يجمع بين السهولة والبساطة مع ارتقاء المعاني، حتى يكون الوعظ بأجمل عبارة وأحسن إشارة، مع الاهتمام بأن يكون التشبيه قائماً على المسلّمات العقلية والبديهيّات، و الأدلة المنطقية المقبولة عند العقلاء.

### سابعاً: اختيار التشبيهات الملائمة لواقع بيئة المدعويين:

على الداعي أن يتخير من التشبيهات ما يلائم بيئة المدعويين، ويراعي بيئة كل مدعو، وضرب التشبيهات النافعة له من واقع بيئته، ولَفَتَ نظر المدعويين إلى نعم الله عليهم، وإحسانه إليهم دون قسوة أو غلظة، ويستشعر الداعية في نفسه موقف المدعو وكأنه هو، ولا ريب أن من أكثر التشبيهات تأثيراً في نفوس السامعين ما كان منتزِعاً من واقعهم وبيئتهم لصيقاً بعاداتهم، سائراً في حياتهم ومعبراً عن مشكلاتهم، وعلى الداعي الإلمام بالمعارف السائدة في أوساط الناس، ليتسنى له استخدامها في أوقاتها وظروفها المناسبة، حتى يكون التأثير في المدعويين أكبر.

فإذا كان الداعي في بيئة زراعية أهلها يشتغلون بالزراعة، فإن استخدام التشبيهات بالأموال التي يعرفونها ويعايشونها، يجعلهم قريين منه متودّدين إليه، لكن لو أتاهم الداعي بتشبيهات غريبة عن واقعهم وبيئتهم فلن تكون الفائدة من التشبيه نفسها، فلو استخدم تشبيهات من بيئة صناعية مثلاً، كأن يمثّل لهم بالآلات والمصانع ونحو ذلك، ربما عسر عليهم فهم المراد، ولم يتحقّق الهدف من التشبيه، وما يرمى إليه من الدعوة للحق والخير.

فاستخدام الداعي في تشبيهاته الصور الذهنية الراسخة لدى المدعويين يسهم في فهم الدعوة واستيعابها على الوجه المطلوب؛ لأنّ الداعية عندما يربط الفكرة المراد إيصالها للمدعويين، بصورة موجودة في أذهانهم معروفة لديهم، فإنهم حينئذ يفهمون ويدركون المراد من هذا التشبيه، فيؤتي ثماره ويؤدي غرضه.

والقرآن الكريم والسنة المطهرة قد حوت تشبيهاتٍ تصلح لكل الأزمنة والأمكنة والبيئات المختلفة، فقد ورد التشبيه بعناصر من البيئة الصحراوية والبحرية والعريية وغير

العربية، وقد ضربنا لذلك أمثلةً عدّة عند الكلام عن خصائص التشبيه في الدعوة إلى الله. وقد كان رسول الله ﷺ يستعين على توضيح المواعظ باستخدام التشبيه بعناصر مما يشاهده الناس بأبصار أعينهم، ويقع تحت حواسهم وفي متناول أيديهم، ليكون وقع الموعظة في النفس أشد، وفي الذهن أرسخ.

لذلك فالمطلوب من الداعي أن يتخيّر من التشبيهات ما يصلح للبيئة التي يدعو الله فيها، وعلى الداعي أن يدرك أنّ حالة كل مجتمع تختلف عن الآخر، ولهذا يجب عليه أن يختار الأسلوب المناسب لكل مجتمع يدعو فيه إلى الله، وعليه أن يعي بأنّ الدعوة عالمية وليست دعوة محلية، أو قبلية، قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾<sup>(١)</sup>، (ولأنّ الدعوة عالمية وشاملة لا بد أن يلزم الدعاة بأحوال العالم كلّ، واختلاف طبيعة كل مجتمع، وأنّ نعد لكلّ حالة ما يناسبها)<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الفرقان: ١.

(٢) المنتقى من فتاوى فضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ٢/٢١٨، رقم الفتوى ١٨٨.

## الخاتمة:

وتشمل النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

أولاً: إن الدعوة الإسلامية هي وظيفة الأنبياء والمرسلين، وقد حمل هذه الأمانة العظيمة الدعوة من بعدهم، لذلك يجب على الدعاة أن يقوموا بهذه المهمة العظيمة على أكمل وجه، ونظراً لأهمية الدعوة إلى الله لم يترك الشرع أمرها للناس بل جاء القرآن الكريم بقواعد وأسس ثابتة، وبيّن مبادئها ووسائلها وأساليبها، من خلال كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام القولية والفعلية، وبيّن أثرها في حياة المسلم، وقد جعل الله الدعوة إليه هي علة الخيرية في هذا الأمة، قال سبحانه: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾<sup>(١)</sup>، فالدعوة إلى الله هي عمل الربانيين من أمة محمد ﷺ، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ

دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: إن أساليب الدعوة في الكتاب والسنة، هي أفضل الأساليب التي يمكن أن يتبعها الدعاة إلى الله، فالأسلوب القرآني يتميز بمزايا فريدة عالية، في بلاغته وفصاحته، وفي تفرده عن أساليب أهل البيان وأهل الكلام، لا سيما فيما يتعلق بنظامه وتأليفه وترابط معانيه وتناسق آياته، وغير ذلك من وجوه الإعجاز التي لا تجدها في كلام آخر غير كلام رب العالمين. وكذلك فإن أسلوب النبي ﷺ في الدعوة إلى الله، متكاملًا متّسماً بالصدق والجمال وقوة المواجهة والإقناع، وكيف لا يكون كذلك وهو المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وكلامه وحي من الله سبحانه.

ثالثاً: إن أسلوب التشبيه من أهم الأساليب في الدعوة إلى الله تعالى، وقد ورد هذا الأسلوب كثيراً في نصوص الكتاب والسنة.

(١) سورة آل عمران : ١١٠.

(٢) سورة فصلت: ٣٣.

رابعاً: لقد قسّم علماء البلاغة التشبيه من حيث طرفيه إلى أربعة أقسام، وهي تشبيه المحسوس بالمحسوس، وتشبيه المعقول بالمعقول، وتشبيه المعقول بالمحسوس وتشبيه المحسوس بالمعقول، وإن تشبيهات الكتاب والسنة احتوت الأقسام الثلاثة الأولى، بينما خلت من القسم الرابع، والذي أشار علماء البلاغة إلى قبحه؛ لأنه يخرج الظاهر إلى الخافي.

خامساً: إن تشبيه المحسوس بالمحسوس والذي يكون فيه الطرفان المشبه والمشبه به حسيين مدركين بالحواس، قد استعمل كثيراً في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وهذا النوع من التشبيه له فائدة كبيرة، في الدعوة إلى الله، فاستخدام هذا الأسلوب من التشبيه يدل على بقاء الصورة ضمن سمة الوضوح؛ لأن ما تقع عليه الحاسة أوضح في الجملة مما لا تقع عليه، والمشاهد أوضح من الغائب، وما يدركه الإنسان بحواسه أوضح مما يعرفه من غيره، لذلك نجد أمثلة كثيرة لهذا الأسلوب في الدعوة إلى الله في نصوص الكتاب والسنة.

سادساً: إن أسلوب تشبيه المعقول بالمحسوس من أهم أقسام التشبيه التي تستخدم في الدعوة إلى الله، والمقصود به تشبيه الأمر المعنوي المجرد بأمر محسوس على وجه التشبيه والتمثيل، ولهذا الأسلوب آثارٌ عظيمة، ولعل من أهمها تقريب الفكرة إلى الذهن، بتحويلها من معنى ذهني مجرد، إلى صورة حسية مشاهدة، ونصوص الكتاب والسنة مليئة باستخدام هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله، ونجد هذا الأسلوب واضحاً جلياً في القرآن الكريم في التشبيهات التي تتناول الحياة الدنيا ونهايتها المحتومة، والتي تتناول المؤمنين والكافرين والمنافقين وأعمالهم ومآلهم، وقد استعرضنا خلال الدراسة الكثير من هذه الآيات، وألقينا الضوء على دقة وروعة وفائدة التشبيهات التي وردت فيها.

سابعاً: أسلوب التشبيه بضرب الأمثال من أبرز الأساليب التي لها تأثير إيجابي في العواطف والمشاعر، وفي تحريك نوازع الخير في النفس البشرية، وقد وردت كثيراً في الكتاب والسنة، وقد اعتنى العلماء بجمع أمثال القرآن في مصنفات خاصة، وكذلك أمثال السنة المطهرة، وقسّمها بعضهم إلى: أمثال موجزة سائرة، وأمثال قياسية مصرحة، وأمثال كامنة، وقد ضربنا أمثلة لكل من هذه الأقسام خلال هذه الدراسة، وذكر العلماء أن

الأمثال ينبغي أن تتسم بثلاث خصال هي إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وهذا كله لا يتخلف عن أمثال الكتاب، والسنة المطهرة.

**ثامناً:** إن تشبيهات الكتاب والسنة الدعوية، لم تأت عبثاً، وإنما كانت تهدف لحكمة بالغة وأغراض عظيمة، من أبرزها: الإيجاز والاختصار، البيان والتوضيح، الترغيب والترهيب، المدح والذم، الإقناع والتأثير الوجداني. ومن خلال استعراض ودراسة تشبيهات الكتاب والسنة نرى أن ما من تشبيه فيها إلا وهو يرمي لتحقيق هدف من هذه الأهداف وغيرها، وقد نجد أن التشبيه الواحد يحقق أكثر من هدف في آن واحد.

**تاسعاً:** تمتاز تشبيهات الكتاب والسنة بخصائص فنية وأسلوبية لا توجد في غيرها، فقد جمعت هذه التشبيهات بين البلاغة والجمال والروعة والدقة ما جعل أساطين البيان يقفون عاجزين مبهورين أمام هذا الأسلوب المعجز، ومن أهم هذه الخصائص، استمداد عناصر التشبيه من الطبيعة، الوضوح، الابتكار، المطلب، التناسق، الترابط، الدقة، وقد استعرضنا هذه الخصائص خلال الدراسة وضربنا أمثلة لذلك من الكتاب والسنة.

**عاشراً:** تعددت مجالات استخدام أسلوب التشبيه في الدعوة في الكتاب والسنة، فقد استخدم في الدعوة إلى كل المجالات، العقديّة والشرعية والأخلاقية والتربوية وغيرها. فقد استخدم في الدعوة إلى العقيدة الإسلامية، والإيمان بالتوحيد والنبوة والأنبياء والملائكة، وغيرها من المسائل الإيمانية والعقدية، والتي هي محور الدعوة الإسلامية، كما استخدم أسلوب التشبيه في الدعوة إلى الشريعة الإسلامية، وعلى رأسها العبادات كالصلاة والصيام والحج والصدقة، واستخدم في الدعوة إلى فعل الطاعات وترك المحرمات، واستخدم أيضاً في مجال الأخلاق والتربية والتهديب والدعوة إلى التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، والاتصاف بمكارم الأخلاق وتجنب ذميمةا، وقد أتت أساليب الدعوة والتربية التي استخدمها النبي ﷺ - وعلى رأسها أسلوب التشبيه - أكلها، فنشأ جيل الصحابة الذي رباه النبي ﷺ، فكان خير الأجيال بشهادة القرآن الكريم.

أحد عشر: إنَّ أسلوب التشبيه كأسلوب من أساليب الدعوة، هو فنٌّ من فنون البلاغة له ضوابط حدّدها علماء البلاغة، فربّ تشبيه يتزل من قيمة الكلام أدبياً وبلاغياً ولا يرفعه، ومن أهم ضوابط أسلوب التشبيه التي وضعها العلماء: استخدام نوع التشبيه الملائم للسياق، ظهور المشبه به في وجه الشبه عن المشبه، في ذهن المخاطب، عدم تساوي المشبه والمشبه به في كلِّ الوجوه. وإنَّ المتّبع لتشبيهات الكتاب والسنة يرى أنّها تمثّل النموذج الأرقى لأسلوب التشبيه من الناحية البلاغية والبيانية، إنَّ في سياقها، أو في العلاقة بين عناصر التشبيه المتمثلة، بالمشبه والمشبه به ووجه الشبه.

ثاني عشر: إنَّ أسلوب التشبيه من الأساليب الدعوية المهمّة والمفيدة التي استُخدمت في الكتاب والسنة، ويمكن الاستفادة من هذا الأسلوب بشكلٍ كبير في الدعوة في هذا العصر إذا أحسن استخدامه، وحتى يستطيع الداعية أن يستفيد من أسلوب التشبيه الاستفادة المثلى عليه أن يراعي بعض الأمور في ذلك من أهمها: الاعتدال في استخدام أسلوب التشبيه، واستنباط التشبيهات التي يستخدمها في دعوته من الكتاب والسنة، ثم من كلام السلف الصالح وعلماء الأمة الربانيين، ومن تجاربه وخبراته ومعارفه، وأنَّ يحرص على اختيار التشبيهات الملائمة لأحوال المدعوين من الناحية الاجتماعية والثقافية وغيرها، وأنَّ تكون التشبيهات ملائمة لواقع بيئة المدعوين، وأنَّ يحسن اختيار التشبيهات الملائمة للفكرة التي يدعو إليها، وأنَّ تكون بعيدةً عن التعقيد ليفضي المقصود منها إلى ذهن المدعوين، وأنَّ يتعد عن التشبيهات الساقطة والمبتذلة.

## ثانياً: التوصيات:

أولاً: الاهتمام من قِبَل القائمين على معاهد إعداد الدعاة، بتطوير أساليب الدعوة إلى الله، مع الحفاظ على الثوابت في فقه الدعوة، وعقد دورات تدريبية علمية وميدانية للعاملين في حَقْل الدعوة، لرفع مستواهم وتدريبهم كيفية استخدام الأساليب المناسب في الدعوة بحسب موقع كل منهم.

ثانياً: تركيز الاهتمام على تدريب الدعاة على أسلوب التشبيه في مخاطبة المدعويين، حيث إنَّ تشبيه المعقول بالمحسوس، قد يوصل الكثير من الأفكار، ويصحح الكثير من القناعات، وخاصة في هذا الزمن الذي طغت فيه المادة، على الفكر والروح.

ثالثاً: الاهتمام بتدريب الدعاة والمرشدين استخدام أسلوب التشبيه، وضرب الأمثال في تربية السلوك والإرادة الطيبة والتزوع إلى الخير، وذلك باستحضار التشبيهات القرآنية والنبوية في المواقف الحياتية والنشاطات المدرسية، والتعقيب عليها بذكر نتائجها السلوكية والاجتماعية، حيث ثبت أنَّ أسلوب التشبيه وضرب المثل من أبرز الأساليب التربوية الناجحة، والمؤثرة في التربية الأخلاقية والاجتماعية.

رابعاً: عمل دراسات جديدة في مجال استخدام أسلوب التشبيه في الدعوة إلى الله، تحدّد فيها تشبيهات وتمثيلات، وتصنّف بحسب ظروف الدعوة، والبيئة التي يعمل فيها الدعاة، وتبرز أهمية ذلك في ظل التطور الإعلامي الهائل في هذا العصر، حيث تنتشر فيه وسائل الإعلام بأنواعها، وتخطب جميع أجناس البشر، وحيث إنَّ الدعوة الإسلامية قد بلغت أرجاء العالم، وتنوعت أصناف المدعويين تنوعاً غير مسبوق، فقد أصبح لزاماً على الدعاة أن يستخدموا أساليب الدعوة الملائمة لهذه المجتمعات، وبالتالي يستخدموا الصور التشبيهية الملائمة لكل مجتمع منها، كل ذلك اهتداءً بفقه الدعوة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

## **الفهارس العامة**

- فهرس الآيات ال رأني .
- فهرس الأحاديث النبوي .
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

## فهرس الآيات ال رآنب

الصفحة	رقمها	جزء من الآية
سورة البقرة		
٣٠	٦	﴿ إِنَّا الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ ... ﴾
١٦٨	١٨	﴿ صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعِجُونَ ﴾
١٠٨	١٩	﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ ... ﴾
٢٥٨، ١٤٨، ٩٥	٢٦	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا ... ﴾
١٠٠	٦٨	﴿ قَالُوا أَدْخُ لِنَارِكَ يَبِينُ لِنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ ... ﴾
٢٦	٩١	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ... ﴾
١٤٣	١٤١	﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾
٢٢٠	١٥٥	﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ ... ﴾
١٧٣، ٥٣	١٧١	﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ ... ﴾
٢٩٥	١٨٠	﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ... ﴾
٢٥	٢١٢	﴿ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَسَخَرُونَ ... ﴾
٢٩٥	٢١٥	﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ ... ﴾
٩٩	٢١٦	﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالَ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ ... ﴾
١٩٩	٢٤٥	﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ... ﴾
١٩٨، ١٤٠	٢٦١	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾
٧٤	٢٦٤	﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ ... ﴾
٨٠، ٧٤	٢٦٥	﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ اتِّبَاعًا ... ﴾
٢٠٢	٢٧٥	﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا ... ﴾
٢٠١	٢٧٨	﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ... ﴾
سورة آل عمران		
١٧٥	١٩	﴿ إِنَّا الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ ... ﴾

الصفحة	رقمها	جزء من الآية
١٥٢	٥٩	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ...﴾
٥٦	٦١	﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ...﴾
١٧٥	٨٥	﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ...﴾
٩٩	٩٢	﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ...﴾
١	١٠٢	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفَقُوا اللَّهُ حَقَّ...﴾
١٦١	١١٠	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ...﴾
١٣٥	١١٧	﴿مِثْلَ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾
١٤	١٣٣	﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ...﴾
٢١	١٨٥	﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ...﴾
<b>سورة النساء</b>		
١	١	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنفَقُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن نَفْسٍ...﴾
١٢٤	٤٨	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ...﴾
٥٣	٥٦	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَائِدُنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا...﴾
٢٢٤	٥٨	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا...﴾
٥١	٧٧	﴿الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا...﴾
<b>سورة المائدة</b>		
١٧٥	٣	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا...﴾
٢٤	٣٢	﴿مِنَ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾
١٨١، ١٩٦	٤٨	﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا...﴾
١٧٦	٦٧	﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ...﴾
٩٩	١٠٠	﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ...﴾
<b>سورة الأنعام</b>		
١٨٧	١٤	﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ وَجْهًا وَجْهًا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾
٧٥	٧	﴿قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا...﴾

الصفحة	رقمها	جزء من الآية
٦٨	٩٧	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ... ﴾
<b>سورة الأعراف</b>		
١٣٧	٥٧	﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ ... ﴾
٢٢٢	١٥٠	﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ ... ﴾
٢٢٢	١٥٤	﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ ... ﴾
١٤٦	١٧٥	﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا ... ﴾
١٦٣	١٧٦	﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ... ﴾
<b>سورة التوبة</b>		
٢١٣	٣٦	﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ... ﴾
١٧٩	٤٥	﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ... ﴾
٢١٧	١٠٣	﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ... ﴾
١١٥	١٢٨	﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ... ﴾
<b>سورة يونس</b>		
٢٣٥	٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ ... ﴾
٢٣٥	١٢	﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ ... ﴾
٢٣٦	٢٢	﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ ... ﴾
٢٣٦ ، ٨٧	٢٣	﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ ... ﴾
١٧٠ ، ١٤٢ ، ٨٦ ، ٢٣٤ ، ١٧١	٢٤	﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ ... ﴾
٤٤	٣١	﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ ... ﴾
<b>سورة هود</b>		
١١١	٢١	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ ... ﴾
٩٩	٨١	﴿ قَالُوا يَا لَوْلَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّكَ لَنَبَصُلُوا إِلَيْكَ ... ﴾

الصفحة	رقمها	جزء من الآية
<b>سورة يوسف</b>		
٩٩	٤١	﴿يُصْحَبِ السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ...﴾
٩٩	٥١	﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَأَوْتَنِي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ...﴾
<b>سورة الرعد</b>		
١٨٧	١٤	﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا...﴾
٢٢٠	٢٢	﴿وَالَّذِينَ صَدَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ...﴾
<b>سورة إبراهيم</b>		
٧١	١٨	﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ...﴾
<b>سورة النحل</b>		
٢٥٠	١٧	﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا...﴾
١٨٣	٣٦	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ...﴾
٢٢٠	١٢٧	﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ...﴾
<b>سورة الإسراء</b>		
٦٧	١٦	﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا...﴾
٩٩	٣٩	﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا...﴾
٩٠	٨٩	﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ...﴾
١٠٠	١١٠	﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ...﴾
<b>سورة الكهف</b>		
٢٣٣، ١٧٠	٤٥	﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنْ...﴾
١٨١	٥٤	﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ...﴾
<b>سورة مريم</b>		
٢٣٨	١٢	﴿يَبِيحُنِي خُذِ الْعِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ...﴾
<b>سورة الأنبياء</b>		
١٨٣	٢٥	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي...﴾

الصفحة	رقمها	جزء من الآية
١٥١	١٠٤	﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ...﴾
<b>سورة الحج</b>		
١٨٢	٥	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ...﴾
١٨٨	٣١	﴿خُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ...﴾
٥٩	٤٧	﴿وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ...﴾
<b>سورة النور</b>		
٢٤٥، ١٠٠	٣٥	﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ...﴾
٢٣٨	٣٦	﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكِّرَ فِيهَا...﴾
١٣١، ٧٢، ١٣	٣٩	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كَسْرِبٍ يَبيعَةٍ...﴾
<b>سورة الفرقان</b>		
٢٦١	١	﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ...﴾
٧١	٢٣	﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً...﴾
١٠٠	٦٧	﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا...﴾
<b>سورة الشعراء</b>		
١٩١	١٩٢	﴿وَلَقَدْ نَزَّلَ رَبِّيَ الْعَالَمِينَ﴾
١٥١	٢٢٤	﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾
<b>سورة النمل</b>		
١٥٠	١٤	﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَقِنتَها أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا...﴾
<b>سورة القصص</b>		
٢٢٦	٨٣	﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ...﴾
<b>سورة العنكبوت</b>		
١٨٦، ٧٦	٤١	﴿مِثْلُ الَّذِينَ أَنحَضُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾
<b>سورة الروم</b>		
٢٢٨	٢١	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ...﴾

الصفحة	رقمها	جزء من الآية
<b>سورة الأحزاب</b>		
٢٥٣	٢١	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ... ﴾
١٢٢	٤١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا ﴾
١	٤٥	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا ... ﴾
١	٧٠	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا ... ﴾
<b>سورة فاطر</b>		
١٣٠	١٩	﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴾
٩٩	٤٣	﴿ أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَجِئُ ... ﴾
<b>سورة يس</b>		
١٠٠	١٣	﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا ... ﴾
<b>سورة الصافات</b>		
٤٨	٤٨	﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْإِطْرِفِ عِينٌ ﴾
١٤١	٦٥	﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾
<b>سورة الزمر</b>		
١٥٢	٩	﴿ أَمَّنْ هُوَ قَلْبِنَا ءِإِنَّهُ أَلْبَلٌ سَاجِدًا وَقَائِمًا ... ﴾
٩٧	٢٧	﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِنْ كُلِّ ... ﴾
<b>سورة فصلت</b>		
٢٦٢	٣٣	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ ... ﴾
<b>سورة الشورى</b>		
١٩٢	٥١	﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ ... ﴾
<b>سورة الجاثية</b>		
١٧٠	٢٤	﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا ... ﴾
<b>سورة محمد</b>		
٧٨	١٢	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... ﴾

الصفحة	رقمها	جزء من الآية
<b>سورة الفتح</b>		
١٤٥ ، ١٠٩	٢٩	﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ... ﴾
<b>سورة الحجرات</b>		
١٩٨	١٢	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّهُ ... ﴾
١٧٩	١٥	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ... ﴾
<b>سورة ق</b>		
٢١	١٩	﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ مَأْكُتٌ مِّنْهُ ... ﴾
<b>سورة القمر</b>		
٥٧	١٨	﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدْنِي وَنُدْرِ ﴾
<b>سورة الرحمن</b>		
٥٤	٣٧	﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ... ﴾
١٣٥ ، ٤٨	٥٨	﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾
<b>سورة الواقعة</b>		
٥٠	٢٢	﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾
<b>سورة الحديد</b>		
١٧١ ، ١٤٢ ، ٨٨ ، ٢٣٣	٢٠	﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ ... ﴾
١٥	٢١	﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ... ﴾
<b>سورة الحشر</b>		
٢٢٩	٨	﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ... ﴾
٩٧	٢١	﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا ... ﴾
<b>سورة الصف</b>		
١٧٢	٤	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ ... ﴾
<b>سورة الجمعة</b>		
١٧٢ ، ١٤٧ ، ٧٦	٥	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ... ﴾

الصفحة	رقمها	جزء من الآية
سورة المنافقون		
٢٤٣	٤	﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا ... ﴾
سورة القلم		
٢١٨	٤	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾
٨٦	١٤	﴿ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾
٥٩	١٧	﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا ... ﴾
سورة المعارج		
٥٤	٨	﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالذَّهَبِ ﴾
سورة المدثر		
٩٥	٣١	﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا ... ﴾
١٦٤	٤٦	﴿ وَكَأَنَّهُمْ كَذِبُ أُولَىٰ الَّذِينَ ﴾
١٦٨	٥٠	﴿ كَانَهُمْ حَمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴾
سورة القيامة		
١٩٣	٢٢	﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴾
سورة المرسلات		
١٥٧ ، ٥٢	٣٢	﴿ إِنَّمَا تَرْمِي بِشَرِّ رِيحٍ كَالْفِطْرِ ﴾
سورة الغاشية		
١٥٧	١٧	﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾
سورة القارعة		
١٧٢ ، ٥٦	٤	﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾

## فهرس الأحاديث الشريف

الصفحة	النص
٢٠٦	(اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم....
٢٠٨	(أحد جليل يحبنا ونحبه)
١٨٤، ١٨٥	(أخبروني عن شجرة تشبه.....
٢٠٤	(أرايتم لو أن نهرأ بياب أحدكم....
٦٢	(اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم....
٢٠٣	(... ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده...)
٢٠٩، ١٢٢	(ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها....
٢٠١	(ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت....
٦٢	(إن أحدكم مرآه أخيه فإن رأى.....
١٥٣	إن أبي أدركه الإسلام وهو شيخ كبير....
١٣٨، ١٢٤	(إن الحلال بين والحرام بين....
٣٥، ٢٣٤	إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله....
٢١٦	(إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس)
١١٨	(إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس....
٢٥٥	(إن الله يبغض البليغ من الرجال....
٢٢٨	(إن المرأة خلقت من ضلع لن...ز
١٩٣	أن أناساً قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال:(هل تضارون.....
٥٠	(إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف...)
٢٢١	أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني، قال: ( لا تغضب).....
١٩٢	(إن روح القدس نفث في روعي أن....
١١٥	إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل....
٣٥	إن من أحبكم إلي وأقربكم مني....

الصفحة	النص
١٧	(إن من الشجر شجرة لا يسقط....
١٥٧، ٨٣	(إنما الناس كالإبل المائة....
٢١٨	(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق
١١٢، ٨٥	(إنما مثل العبد المؤمن حين يصيبه.....
١١٤	(إنما مثلي ومثل الناس كرجل.....
٢٢٦	(أول الناس يقضى يوم القيامة عليه:(رجل...)
٢١٣	(أي يوم هذا؟ فسكتنا حتى....
٢١٤	(إياكم والدخول على النساء.....
٢٢٤	(آية المنافق ثلاث:.....
١٧٨	(الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه....
٢٣٢، ٣٥	(بعثت بجوامع الكلم)
١٧٥	(بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد.....
٦٤، ١٥	(تدني الشمس يوم القيامة من الخلق....
٢٢٦	( تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة إن أعطي رضي ...
١٨٩	(ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة.....
٢٥٣	(خيركم قرني ثم الذين...)
٢٠٥	(الذي تفوته صلاة العصر.....
٢١٨	سئل الرسول صلى الله عليه وسلم أي المؤمنين أفضل إيماناً....
١٢١	(الصدقة تطفىء الخطيئة كما....
٦٣	(صنفان من أهل النار لم أرهما....
٢٠٨	(الصيام جنة)
٥٣	ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد....
٣٦	قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام....
٢٢٣	(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس....
١٤٨	كان رسول الله ﷺ إذا ذهب إلى قباء يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه...)

الصفحة	النص
١٢٣_٦٠	(كن في الدنيا كأنك غريب....)
٢٠٠	لما نزلت: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) قال أبو الدحداح الأنصاري: يا رسول الله....
٥٠	(ليدخلن الجنة من أمي سبعون ألفاً...)
٢٢٩	(المؤمن للمؤمن كالبنيان....)
١٢٦	(مثل الجليس الصالح والجليس....)
١٤٣	(مثل الذي يتصدق بالصدقة، ثم....)
٢٠٩	(مثل الذي يذكر ربه....)
١٦٦، ٨٤	(مثل الذي يعين قومه على غير....)
١٢٣	(مثل الذي يقرأ القرآن كالأترجة....)
١٤٣	(مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال....)
١١٧	(مثل المؤمنين في توادهم....)
٧٩	(مثل المنافق كمثل الشاة العائرة....)
٨٢	(مثل أمي مثل المطر لا يدرى....)
١١٣	مثلي ومثل ما بعثني الله كمثل....)
١٣٢	(المدينة كالكبير تنقي حبشها....)
١١٦	(المرء على دين خليله....)
٢٠٦	(من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة....)
٢١٠	(من تصدق بعدل تمرة من كسب....)
٢٠٧	(من صلى على جنازة كان له قيراط....)
٢١٥	(من لعب بالنردشير فكأنما....)
٥١	(موضع سوط في الجنة خير من الدنيا....)
١٢١، ٣٧	هذا حين حمي الوطيس....)
٥٢	(والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل...)
١١٨	(وأمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك...)
١١٨	وأمركم بذكر الله عز وجل كثيراً....)
٦١	يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء؟....)

الصفحة	النص
٧٠	يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية..
١٩١	(يا عبادي لو أن أولكم و آخركم ...
١٨٥	(يخرج من النار من قال لا إله إلا الله....
٨٠	(يقبض الصالحون الأول فالأول....
٢٢٤	(ينام الرجل النومة، فتقبض....

## فهرس المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- الإقتان في علوم القرآن، السيوطي، دار إحياء العلوم، د.م، ط٣، ١٩٩٢م.
- ٣- أثر التشبيه في تصوير المعنى، عبد الباري طه سعيد، ط١، ١٤١٢ هـ، م١٩٩٢.
- ٤- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤٠٤، ١هـ، ١٩٨٤م.
- ٥- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق ط١، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ٦- أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، دار الكتب العلمية. بيروت لبنان، د. ط، ٢٠٠٣م.
- ٧- الأذكار، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، ت: أحمد عبد الله باجور، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨ هـ.
- ٨- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المعروف بتفسير أبو السعود، أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
- ٩- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان دار ابن الجوزي، الرياض، ط٤، ١٤٢٠هـ - م١٩٩٩.
- ١٠- أساليب الإقناع في القرآن الكريم، بن عيسى باطاهر، دار الضياء للنشر، الأردن، ط١، ٢٠٠٦م.
- ١١- الأساليب التربوية والوسائل التعليمية في القرآن الكريم، شاهر ذيب، دار جرير، د. م، ط١، ٢٠٠٥م.
- ١٢- أساليب التصوير في خطابة صدر الإسلام، عدنان محمد أحمد، دار التراث العربي، دمشق، د. ط، ١٤٢٠هـ.
- ١٣- أساليب التصوير في خطابة صدر الإسلام، عدنان محمد أحمد، دار التراث

العربي، دمشق د. ط، د. ت.

١٤- أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، زياد العاني، دار عمار، عمان، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٥- أساليب القران، عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية، د. م، ط١، ١٣٨٩هـ.

١٦- أسباب السلامة من أهوال القيامة، طه العفيفي، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط١، ١٤٠٣هـ.

١٧- أسرار البلاغة، عبدا لقاهر الجرجاني، تحقيق محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

١٨- أسرار التنوع في تشبيهات القرآن الكريم، ملك حسن بنخش، دار المجتمع، جدة، ط١، ١٤١٠هـ.

١٩- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، مجيد ناجي، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

٢٠- أسلوب الترغيب في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، مفهومه مجالاته آثاره، سليمان عبد العزيز بن أحمد الدويش، بحث مقدم إلى قسم الدعوة والاحتساب لنيل درجة الماجستير، ١٤١٦هـ.

٢١- أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البياني، عمر محمد عمر باحاذق، دار المأمون للتراث، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٢٢- الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقران الكريم، محمد الكواز، جمعية الدعوة، د. م، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢٣- إشكالات التكامل المعرفي، محبوب محمد ادم، بحث مقدم للمؤتمر العلمي العالمي الثاني، التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم الكون، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، محرم ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٢٤- أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان،، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م.

٢٥- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار

- الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ.
- ٢٦- إعجاز القرآن البلاغي ودلائل مصدره الرباني، صلاح الخالدي، دار عمار، عمان، ط ١، ١٤٢١ هـ.
- ٢٧- إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ م.
- ٢٨- الإقناع أسسه وأهدافه في ضوء أسلوب القرآن الكريم، دراسة وصفية تحليلية، خالد حسين حمدان، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م.
- ٢٩- أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، عبد الرحمن حسن حبنكة، دارالقلم، دمشق، ط ٢، ١٤١٢ هـ.
- ٣٠- الأمثال القرآنية القياسية المتعلقة بكتب الله تعالى ورسله، للأستاذ عبد العزيز بن جليدان الظفيري، رسالة ماجستير مقدمة بكلية الدعوة بالمدينة المنورة، سنة ١٤٢٤ هـ.
- ٣١- الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للأيمان باليوم الآخر للأستاذ محمد رفيق، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الدعوة وأصول الدين قسم العقيدة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، سنة ١٤٢٤ هـ.
- ٣٢- الأمثال في القرآن الكريم، منصور بن عون العبدلي، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط ١، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٥ م.
- ٣٣- الأمثال من الكتاب والسنة، محمد بن عيسى، ت علي محمد البجاوي، القاهرة، دار نهضة مصر الفجالة. ١٣٩٥ هـ، ١٩٧٥ م.
- ٣٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٩ م.
- ٣٥- البحث العلمي، الدكتور عبد العزيز الربيعة، د. ن، الرياض، ط ٤، ١٤٢٧ هـ.
- ٣٦- البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ت: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت،

- ط ١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.
- ٣٧- البرهان في علوم القرآن، محمد الزركشي، ت محمد أبو الفضل، دار المعرفة، بيروت، د.ط، ١٣٩١ هـ.
- ٣٨- البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، ت إبراهيم الكيلاني، دار أطلس، د. م، ط ١، ١٩٦٤م.
- ٣٩- البلاغة التطبيقية دراسة تحليلية لعلم البيان، محمد الجربي، مكتبة أنجلو المصرية، مصر، د. ط، ٢٠٠٠م.
- ٤٠- البلاغة العربية، أسسها، وعلومها، وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة، ج ٢، دار القلم، دمشق، ١٤٢٦هـ، ١٩٩٦م.
- ٤١- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٨م.
- ٤٢- البلاغة فنونها وأفانها، فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، د.ط، د. ت.
- ٤٣- البلاغة القرآنية، محمد القاسم، الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢٦هـ.
- ٤٤- بمحة قلوب الأبرار وقررة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط ٤، ١٤٢٣هـ.
- ٤٥- بيان إعجاز القرآن للخطابي (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، الخطابي، ت محمد خلف الله احمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، د. ط، ١٩٨٦م.
- ٤٦- البيان النبوي، محمد رجب البيومي، دار الوفاء، المنصورة، ط ١، ١٤٠٧هـ.
- ٤٧- البيان في روائع القرآن، تمام حسين، عالم الكتب، القاهرة، دط، ١٩٩٣م.
- ٤٨- البيان في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، مصر، ط ١، ١٩٨٤م.
- ٤٩- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت: فوزي عطوي، دار صعب ط ١، ١٩٦٨م.

- ٥٠- البيان والقرآن، أمين أبو ليل، دار البركات، عمان، ط١، ١٤٢٧هـ.
- ٥١- تأملات ابن القيم في الأنفس والأفاق، انس عبد الحميد، دار الهدى للنشر، د. م، ط١، د. ت.
- ٥٢- التحرير والتنوير من التفسير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، د. ط، ١٩٨٤م.
- ٥٣- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، محمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت.
- ٥٤- تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علماء السلف، احمد فريد، دار القلم، بيروت، د. ط، د. ت.
- ٥٥- التشبيه التمثيلي في الصحيحين، فائزة سالم صالح يحيى أحمد، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، ١٤٠٥هـ، ١٤٠٦هـ.
- ٥٦- التشبيه والاستعارة منظور مستأنف، يوسف أبو العدوس، دار المسيرة، عمان، ٢٠٠٧م، ١٤٢٧م.
- ٥٧- التشبيهات القرآنية عن ابن نايقا البغدادي، دراسة تحليلية، للأستاذة بلقيس بنت محمد الطيب، رسالة ماجستير مقدمة لقسم اللغة العربية بكلية التربية للبنات بجدة، ١٤٠٧هـ.
- ٥٨- التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، واجدة الاطرقجي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، د. ط، ١٩٧٨م.
- ٥٩- التصوير الفني في الحديث النبوي، محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م.
- ٦٠- التغيير في حياة الأمم أحمد وعوامل الثبات والاهتزاز، محمد العسال، د. م، د. ط.
- ٦١- تفسير ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي ابن أبي حاتم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م.
- ٦٢- تفسير أبو السعود، أبي السعود محمد بن محمد العمادي، المكتب الاسلامي، بيروت، د. ط، د. ت.

- ٦٣- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي  
الدمشقي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢،  
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٦٤- تفسير اللباب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي، دار  
الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ.
- ٦٥- تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.م،  
د.ط، ١٩٩٠م.
- ٦٦- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار  
الفكر المعاصر، دمشق، ط ٢، ١٤١٨هـ.
- ٦٧- التلازم بين الشريعة والعقيدة، ناصر بن عبد الكريم العقل، د. ن، د. م.
- ٦٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي،  
ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ -  
٢٠٠٠م.
- ٦٩- جامع البيان عن تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الإعلام، دم،  
دط، ٢٠٠٢م.
- ٧٠- جامع بيان العلم وفضله، للحافظ ابن عبد البر، ت: أبي الاشبال الزهيري، دار  
ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٤هـ.
- ٧١- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ت: أحمد عبد العليم اليردوني، دار  
الشعب، القاهرة، ط ٢، ١٣٧٢هـ.
- ٧٢- الجدول في إعراب القرآن، محمود بن عبد الرحيم صافي، دار الرشيد،  
دمشق، ط ٤، ١٤١٨هـ.
- ٧٣- حاشية السيوطي على سنن النسائي، عبد الرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل  
السيوطي، ت: عبد الفتاح أبو غده، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب  
ط ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٧٤- الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، عز الدين علي السيد، دار  
اقرأ، بيروت، ط ٤، ١٩٩٨م.

- ٧٥- الحديث النبوي رؤية جمالية فنية، صابر عبد الدايم، دار الوفاء، الإسكندرية، دط، دت، ص.٥٧.
- ٧٦- الحديث النبوي، محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٥، ١٤٠٧هـ، ص٩٧.
- ٧٧- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، ج٢، مكتبة وهبة، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
- ٧٨- خصائص القرآن الكريم، فهد الرومي، د. ن، د. م، ط٤، ١٤٠٩هـ، ص٤٥.
- ٧٩- الخصائص الموضوعية والأسلوبية في حديث القرآن عن القرآن، عبد العزيز العمار، دن، دم، ط١، ١٤٢٨هـ.
- ٨٠- خصائص تبليغ الدعوة إلى الله، نذير محمد، دار البشائر، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ص١٠٨.
- ٨١- دراسات بلاغية في القرآن الكريم والحديث الشريف، محمد شرشر، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٩٧٨م، ص١٣٧، ١٣٨.
- ٨٢- دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن، عبد العزيز الحناوي، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، د. ط، ١٩٨٤م، ص١٥٦.
- ٨٣- دراسات في القرآن والسنة، أحمد العمري، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م.
- ٨٤- دفاع عن البلاغة، أحمد حسن الزيات، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٦٧م.
- ٨٥- الديباج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، عبد الرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.
- ٨٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
- ٨٧- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.

- ٨٨- سر الفصاحة، عبد الله بن سنان الخفاجي، تحقيق علي فوده، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٥٠هـ، ١٩٣٢م.
- ٨٩- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الألباني، المكتب الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ.
- ٩٠- السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، د. ط، د.ت.
- ٩١- سنن الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، مكتبة الباي، مصر، ط٢، ١٣٩٧هـ.
- ٩٢- سنن النسائي، أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي، دار البشائر، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ.
- ٩٣- شرح ابن بطلال على صحيح البخاري، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.
- ٩٤- شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.
- ٩٥- الصحاح، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٩٩٩م.
- ٩٦- صحيح أشراط الساعة، مصطفى شلبي، مكتبة السوادني، جده، ط١، ١٤١٣هـ.
- ٩٧- صحيح البخاري، ابو عبدالله البخاري، عالم الكتب، بيروت، ط٥، ١٤٠٦هـ.
- ٩٨- صحيح مسلم، أبو الحسين النيسابوري، دار الفكر، بيروت، ط٣، د.ت
- ٩٩- الصدقات وأثرها على الفرد والمجتمع، إبراهيم بن محمد الضبيعي، مطابع الوطن الفنية، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ١٠٠- الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبي هلال الحسن العسكري، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.
- ١٠١- الصورة الأدبية في القرآن الكريم، صلاح الدين عبد التواب، الشركة المصرية

- العالمية للنشر، القاهرة، ط١٩٩٥، م١.
- ١٠٢- الصوره بين البلاغة والنقد، احمد بسام، المناره للطباعة والنشر، د. م، ط١، ١٤٠٤هـ.
- ١٠٣- ضرب الأمثال في القرآن، أهدافه التربوية وآثاره، عبد المجيد البيانوني، دار القلم، دمشق ١٤١١هـ.
- ١٠٤- الطراز، يحي العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٧، د. ت.
- ١٠٥- الطرق التربوية وعلم النفس من القرآن الكريم، أحمد الحبابي، مؤسسة سعيدان، ط٤، ٢٠٠٩م.
- ١٠٦- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن القيم الجوزية، ت: أحمد الزعبي، دار الأرقم للطباعة، الأردن، ط١، ٢٠٠١م.
- ١٠٧- طرق العرض في القرآن، بن عيسى باطاهر، مجلس النشر العلمي، الكويت، د. ط، ١٤٢٢هـ.
- ١٠٨- ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة وكلام العرب، مصطفى عيد الصياصنة، دار المعراج الدولية للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.
- ١٠٩- عارضة الأحوذى، أبو بكر بن العربي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م.
- ١١٠- عبقرية محمد، عباس العقاد، المكتبة العصرية، دم، ط١، ٢٠٠٠م.
- ١١١- العصر الجاهلي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٣م.
- ١١٢- علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، بسيوني عبد الفتاح بسيوني، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.
- ١١٣- علم البيان وبلاغة التشبيهات في المعلقات السبع، مختار عطية، دار الوفاء، الإسكندرية، د ط، د. ت.
- ١١٤- علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، ٢٠٠٢م.
- ١١٥- عمدة القارئ، بدر الدين العيني، دار الفكر، بيروت، ط١، د. ت.

- ١١٦- العمدة، ابن رشيق القيرواني، ت محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٤، د. ت.
- ١١٧- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الفكر، لبنان، ط٣، ١٤١٥هـ.
- ١١٨- غاية البيان في أمثال القرآن، صابر حسن محمد أبو سليمان، دار عالم الكتب، ط١، ٢٠٠١م.
- ١١٩- غرائب القرآن، نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
- ١٢٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، ت: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، دار الفكر، دمشق، د. ط، د. ت.
- ١٢١- الفروسية، ابن القيم الجوزية، تحقيق مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان، دار الأندلس، السعودية، حائل، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ١٢٢- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، ت إحسان عباس، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٧١م.
- ١٢٣- فضل الجهاد والمجاهدين، عبد العزيز بن باز، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الإدارة العامة للطبع والترجمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١١هـ.
- ١٢٤- فقه الدعوة إلى الله، علي محمود، دار الوفاء، المنصوره، ط٤، ١٤١٣هـ.
- ١٢٥- فن التشبيه، علي الجندي، مكتبة نهضة مصر، ط١، ١٩٥٢م.
- ١٢٦- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ت محمد عثمان، مكتبة القرآن، القاهرة، د. ط، د. ت.
- ١٢٧- الفوائد، ابن القيم الجوزية، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.
- ١٢٨- في الإعجاز البلاغي للقران الكريم، وليد قصاب، دار القلم، الإمارات،

ط ١، ١٤٢١هـ،

١٢٩- فيض الباري شرح البخاري، محمد أنور الكشميري، دار الكتب العلمية

للنشر، بيروت، ٢٠٠٥م

١٣٠- فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، دط،

١٤١٥هـ.

١٣١- القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي، دار المعرفة، ط ٢، ٢٠٠٧م .

١٣٢- القرآن المعجزة الكبرى، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، مصر، د.ط،

١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م،

١٣٣- القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، عالم الكتب، ط ٢، ١٤٠٥هـ،

١٩٨٥م

١٣٤- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، محمد بن أبي بكر ابن القيم

الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، ٢٠٠٣م.

١٣٥- الكشاف، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت عبد الرزاق المهدي،

دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.

١٣٦- كثر العمال، المتقي الهندي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٨هـ.

١٣٧- كيفية مكافحة المفاسد الأخلاقية، هارون خليف جيلي، دار الكتب العلمية،

بيروت، د. ط.

١٣٨- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي، دار صادر، بيروت،

ط ١، د. ت.

١٣٩- مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، شعيب بن

محمد بن أحمد الغزالي، رسالة دكتوراه في البلاغة والنقد، جامعة أم

القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ - ١٤٢٥هـ.

١٤٠- مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة

منها، عبد الكريم ناصر العقل، دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤١٢هـ.

١٤١- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم دم، ط ٤، ٢٠٠٠م.

- ١٤٢- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لأبي الفتح ضياء الدين المعروف (بابن الأثير)، تحقيق محمد عبدا حميد، المكتبة المعاصرة، بيروت، ط٢، ١٤١٦هـ.
- ١٤٣- المثل الصريح وما يجري مجراه، سالم مرعي الهدروسي، د.ن، د. ط.
- ١٤٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
- ١٤٥- مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، ٣١٩٣هـ، ١٩٧٣م.
- ١٤٦- مدارك التزويل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، ت: مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- ١٤٧- المدخل إلى الشريعة والفقہ الإسلامي، عمر الأشقر، دار النفائس، ط١، ١٤٢٥هـ.
- ١٤٨- المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ١٤٩- مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين، فضل الهي، إدارة ترجمان الإسلام، باكستان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ١٥٠- مرعاه المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، عبيد الله الرحمانى المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، الهند، ط٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ١٥١- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ملا علي القاري، دار الكتب العلمية، ت: جمال العتيابي، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ١٥٢- المستدرک، الحافظ بن عبدالله النيسابوري، دار المعرفة، بيروت، د. ط، د. ت.
- ١٥٣- المسند، احمد بن حنبل، ت: احمد بن شاكر، دار المعارف، مصر، ط٤، د. ت.

- ١٥٤- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، ١٩٩٩م.
- ١٥٥- معالم التزليل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، ت: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧م.
- ١٥٦- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، ت احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
- ١٥٧- المعجم الوسيط، دار المعارف، القاهرة، د. ط، ١٩٧٣م.
- ١٥٨- المعركة الأدبية بين العقاد وشوقي، محمد عمار، دار عالم الكتب، السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ.
- ١٥٩- مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ.
- ١٦٠- مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف أبي بكر محمد السكاكي، ص ٣٣٢، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٦١- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت .
- ١٦٢- المفردات، الراغب الأصفهاني، ت: نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، د. ت.
- ١٦٣- مفهوم الحكمة في الدعوة، صالح بن عبد الله بن حميد، دار العاصمة، الرياض، د.ط، د. ت.
- ١٦٤- من أخلاق النبي ﷺ، احمد الحوفي، نهضة مصر، مصر، ط١، د. ت.
- ١٦٥- من أساليب التعبير القرآني، طالب الزوبعي، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- ١٦٦- من أساليب القرآن، محمد علي، دار البشائر، بيروت، د.ط، ١٣٩٨هـ.
- ١٦٧- من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر، مصر، ط٣، ٢٠٠٥م.
- ١٦٨- من بلاغة القرآن، محمد شعبان علوان، نعمان شعبان علوان، الدار العربية للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ٢٠٠٠م.

- ١٦٩- المنافقون وشعب النفاق، حسن عبد الغني، دار الثقافة، قطر، ط٢، ١٤٠٧هـ.
- ١٧٠- المنتقى من فتاوى فضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، جمع و إعداد عادل الفريدان، مكتبة الغرباء الأثرية، ط٢، ١٤١٧هـ.
- ١٧١- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- ١٧٢- الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، المكتبة التوفيقية، القاهرة د. ت.
- ١٧٣- موسوعة الأمثال القرآنية، محمد عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الآداب، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ١٧٤- نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث، عبد المجيد محمود عبد المجيد، مكتبة البيان، الطائف، ١٤١٣هـ. نظرات في الإعجاز البياني في القرآن الكريم، نظرياً وتطبيقياً، سامي محمد هشام حريز، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ٢٠٠٦م.
- ١٧٥- نظرات في التمثيل البلاغي، محمود السيد شيخون، دن، د. ط.
- ١٧٦- نظرات في القرآن، محمد الغزالي، نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- ١٧٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ١٧٨- النكت في إعجاز القرآن، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ت: محمد زغلول سلام، محمد خلف الله أحمد، دار المعارف، ط٤، ١٩٧٦م.
- ١٧٩- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- ١٨٠- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٢١هـ.
- ١٨١- نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، دار الكتب

العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.

١٨٢- الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم الجوزية، ط١، تحقيق محمد عبد

الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
١	المقدمة.
٣	أهمية الموضوع.
٣	أسباب الاختيار
٣	أهداف الموضوع.
٤	تساؤلات البحث.
٥	الدراسات السابقة.
٦	منهج البحث.
٧	شكر وعرفان.
٨	تقسيمات الدراسة.
<b>الفصل التمهيدي</b>	
٩	المبحث الأول
	أهمية التشبيه في الدعوة إلى الله تعالى
١٠	أهمية التشبيه في الدعوة إلى الله.
١٠	أولاً: أقوال بعض العلماء في أهمية التشبيه.
١١	ثانياً: أهمية أسلوب التشبيه في الدعوة.
١٣	ثالثاً: أهمية التشبيه في القرآن الكريم.
١٥	رابعاً: أهمية التشبيه في السنة المطهرة.
١٩	المبحث الثاني
	مزايا الأسلوب القرآني والنبوي في الدعوة إلى الله تعالى
٢٠	المطلب الأول: مزايا الأسلوب القرآني في الدعوة إلى الله تعالى.
٢٠	أولاً: نظامه الصوتي.
٢٤	ثانياً: الأسلوب الفريد.

الصفحة	الموضوع
٢٨	ثالثاً: تداخل المعاني والأفكار.
٢٩	رابعاً: المناسبة بين المعاني ( الترابط ) .
٣١	خامساً: تأثيره النفسي.
٣٣	المطلب الثاني: مزايا الأسلوب النبوي في الدعوة إلى الله تعالى.
٣٣	أولاً: الجزالة والوضوح.
٣٤	ثانياً: الإيجاز.
٣٦	ثالثاً: الأصالة.
٣٩	الفصل الأول
	أنواع التشبيه في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة
٤١	أولاً: تشبيه المحسوس بالمحسوس.
٤٢	ثانياً: تشبيه المعقول بالمعقول.
٤٣	ثالثاً: تشبيه المعقول بالمحسوس.
٤٣	رابعاً: تشبيه المحسوس بالمعقول.
٤٥	المبحث الأول
	التشبيه بالمحسوس في الدعوة إلى الله
٤٥	المطلب الأول: أثر تشبيه المحسوس بالمحسوس بالدعوة إلى الله.
٤٧	المطلب الثاني نماذج من التشبيه بالمحسوس في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة.
٤٧	أولاً: تشبيهات نعيم أهل الجنة.
٥٢	ثانياً: التشبيهات في وصف النار وأهلها.
٥٤	ثالثاً: التشبيهات في وصف أهوال يوم القيامة.
٥٧	رابعاً: التشبيهات في وصف عقاب الله للكافرين.

الصفحة	الموضوع
٦٦	المبحث الثاني
	التشبيه بالمعقول في الدعوة إلى الله
٦٦	المطلب الأول: أثر تشبيه المعقول بالمحسوس في الدعوة إلى الله تعالى.
٧٠	المطلب الثاني: نماذج تشبيه المعقول بالمحسوس في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة.
٧٠	أولاً: تشبيهات الكافرين.
٨٠	ثانياً: تشبيهات المؤمنين.
٨٦	ثالثاً: تشبيهات الحياة الدنيا.
٩٠	المبحث الثالث
	التشبيه بالمثل في الدعوة إلى الله تعالى
٩٢	المطلب الأول: أثر التشبيه بالمثل في الدعوة إلى الله تعالى.
٩٧	المطلب الثاني: نماذج للتشبيه في المثل في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة.
١٢٧	الفصل الثاني
	أهداف التشبيه في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة وخصائصه
١٢٨	المبحث الأول
	أهداف التشبيه في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة
١٢٩	المطلب الأول: الإيجاز والاختصار.
١٣٠	أولاً: نماذج الإيجاز والاختصار في التشبيه في القرآن الكريم.
١٣٢	ثانياً- نماذج من الإيجاز والاختصار في التشبيه من سنة النبي ﷺ.
١٣٤	المطلب الثاني: البيان والتوضيح.
١٣٩	المطلب الثالث: الترغيب والترهيب.
١٤٥	المطلب الرابع: المدح والذم.
١٥٠	المطلب الخامس: الإقناع والتأثير الوجداني.

الصفحة	الموضوع
١٥٥	المبحث الثاني
	خصائص التشبيه في الدعوة إلى الله تعالى
١٥٦	المطلب الأول: التشبيه يستمد عناصره من الطبيعة.
١٦١	المطلب الثاني: الوضوح.
١٦٣	المطلب الثالث: الابتكار.
١٦٥	المطلب الرابع: التناسق.
١٦٨	المطلب الخامس: الترابط.
١٧٠	المطلب السادس: الدقة في التشبيه.
١٧٤	الفصل الثالث
	مجالات التشبيه في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة
١٧٨	المبحث الأول
	مجالات التشبيه في الدعوة إلى العقيدة
١٨٠	المطلب الأول: أهمية الدعوة إلى العقيدة في الإسلام.
١٨٣	المطلب الثاني: أمثلة لاستعمال أسلوب التشبيه في الدعوة إلى العقيدة في الكتاب والسنة.
١٩٠	الإيمان بكرم الله وقدرته.
	المبحث الثاني
	مجالات التشبيه في الدعوة إلى الشريعة
١٩٥	المطلب الأول: الدعوة للشريعة في الإسلام.
١٩٧	المطلب الثاني: أمثلة استعمال أسلوب التشبيه في الدعوة إلى الشريعة.
٢٠٤	بيان أهمية الصلوات الخمس المكتوبة.
٢١٨	المبحث الثالث
	مجالات التشبيه في الدعوة إلى الأخلاق

الصفحة	الموضوع
٢٣٠	الفصل الرابع ضوابط التشبيه في الدعوة إلى الله وأوجه الاستفادة منه في العصر الحاضر
٢٣١	المبحث الأول ضوابط التشبيه في الدعوة إلى الله تعالى
٢٣٢	المطلب الأول: استخدام نوع التشبيه الملائم للسياق.
٢٤١	المطلب الثاني: عدم تساوي المشبه مع المشبه به في كل الوجوه.
٢٤٨	المطلب الثالث: ظهور المشبه به في وجه الشبه عن المشبه، في ذهن المخاطب.
٢٥١	المبحث الثاني أوجه الاستفادة من التشبيه في الدعوة إلى الله في العصر الحاضر
٢٥١	أولاً: الاعتدال في استخدام أسلوب التشبيه.
٢٥٢	ثانياً: على الداعي أن يستنبط تشبيهاته من الكتاب والسنة، ثمَّ من كلام السلف الصالح.
٢٥٥	ثالثاً: اختيار التشبيهات الملائمة لأحوال المدعويين.
٢٥٧	رابعاً: اختيار التشبيهات الملائمة للفكرة التي يدعو إليها.
٢٥٨	خامساً: الابتعاد عن التشبيهات الساقطة والمبتذلة.
٢٥٩	سادساً: اختيار التشبيهات البعيدة عن التعقيد ليفضي المقصود منها إلى ذهن المدعويين.
٢٦٠	سابعاً: اختيار التشبيهات الملائمة لواقع بيئة المدعويين.
٢٦٢	الخاتمة.
٢٦٢	أولاً: النتائج.
٢٦٦	ثانياً: التوصيات.

الصفحة	الموضوع
٢٦٧	الفهارس.
٢٦٧	فهرس الآيات.
٢٧٦	فهرس الأحاديث.
٢٨٠	فهرس المصادر والمراجع.
٢٩٥	فهرس الموضوعات.